



جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي

معهد العلوم الإسلامية



قسم أصول الدين

## الرأي العام في الإسلام

### المحددات المعرفية والتنزيلات الواقعية في المرحلة المدنية

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماجستير  
في العلوم الإسلامية . تخصص: دعوة وإعلام واتصال

إشراف الأستاذ:

عبد الرحمن طيبي

إعداد الطالب:

سعد عي

#### لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة	الرتبة	إسم ولقب الأستاذ
رئيسا	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	أستاذ محاضر	د. رشيد خضير
مقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	أستاذ مساعد (أ)	أ. عبد الرحمن طيبي
ممتحننا	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	أستاذ محاضر	د. معمر قول

السنة الجامعية: 1436-1437هـ/2015-2016م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الإهداء

إلى أمي الكريمة التي حوتني بحنانها ومحبتها ودعائها

إلى زوجتي العزيزة التي عانت معي الصعاب وشاركتني الهموم

إلى بناتي الحبيبات: سارة وشيماء ونور الهدى

إلى حفيدتي وقرة عيني: أميمة

إلى جميع إخواني وإخوتي وأفراد الأسرة الكريمة

إلى كل من علمني حرفا أصبح سنا برقه يضيئ الطريق أمامي

إلى جميع أساتذتي وزملائي

أهدي ثمرة جهدي في هذا البحث، راجيا من الله عز وجل أن يجد القبول والنجاح.

## شكر وتقدير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير الكبير إلى جميع أساتذتنا الكرام على ما قاموا به من جهود مخلصـة وعطاء ملحوظ خلال المواسـم الدراسية الماضية، فكانوا نعم الشموع المحترقة التي أضاءت لنا دروب النجاح.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع الزملاء والإخوان والأصدقاء وكل من قدم لنا يد المساعدة حتى خرج هذا العمل إلى النور في أبهى صورة وأزهى حلة.  
لكم مني جميعاً كل التقدير والاحترام، وجزاكم الله عني كل خير.

## ملخص البحث

يتناول البحث دراسة الرأي العام في الإسلام من الجانبين النظري والواقعي، وذلك من خلال فصلين، الفصل الأول: يتضمن المحددات المعرفية، أي الجانب النظري بدءاً من بيان مفهوم الرأي العام مروراً بتوضيح نشأته وإبراز أهم ملامحه من القرآن والسنة وبعض مصادر التشريع، ثم الوقوف عند مقوماته وأهميته ودوره في المجتمع، كذا أهم عوامل تكوينه كالحرية والشورى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأساليب التي اعتمدها الإسلام والتي نبذها في تشكيل الرأي العام، ثم ينتهي الفصل الأول ببيان أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بين الرأي العام في الإسلام والرأي العام في الأيديولوجيات الأخرى. أما الفصل الثاني فيتناول التنزيلات الواقعية للرأي العام الإسلامي في المرحلة المدنية، وذلك بمحاولة تتبع ملامحه من خلال بعض المحطات التاريخية في هذه المرحلة، كتسليط الضوء على بعض النماذج في مرحلة تأسيس المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة، واختيار بعض الغزوات المهمة ودور الرأي العام فيها، كما تضمن موقف الرأي العام من بعض تصرفات اليهود والمنافقين، فضلاً عن دوره في جملة من الحوادث الأخرى المتفرقة.

### Research Summary

This research deals with the study of ' public opinion in Islam ' from both theoretical and realistic sides, and that, through two chapters: The first chapter includes cognitive determinants, i.e. the theoretical side, starting from the statement of the concept of public opinion, and passing through clarifying its inception and highlighting the most important features of the Qur'an and Sunnah and some of the sources of legislation, and then, standing at its constituents , its importance and its role in the society, as well as the most important factors of its constitution such as freedom, Shura and the Promotion of Virtue and Prevention of Vice, and the methods adopted by Islam, which started discarded in shaping public opinion. Then, the first chapter ends with a statement on the agreement aspects and the differences between public opinion in Islam and public opinion in other ideologies. The second chapter deals with realism downloads of Islamic public opinion in the civil phase, and that by trying to keep track of the features through some historical stations at this stage, as focusing on some models in the establishment of the Islamic community in Medina stage, the choice of some important invasions and the role of public opinion, which, as public opinion of some Jews' and hypocrites' actions not included, as well as its role in a number of other sporadic incidents

## قائمة الرموز والإشارات

جزء	ج
صفحة	ص
هجري	هـ
ميلادي	م
توفي	ت
لا ناشر	لا.ن
لا مكان طبع	لا.م
بدون ذكر تاريخ	د.ت
لا طبعة	لا.ط

# المقدمة

## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وبعد:

الرأي العام ظاهرة قديمة متجددة واكبت رحلة الإنسان منذ فجر التاريخ، وتبلورت مفاهيمه ومضامينه على امتداد العصور والأيام وأصبح اليوم اصطلاحات نرددها في أحاديثنا العامة والخاصة وفي مختلف الميادين وفي جميع وسائل الإعلام والاتصال.

وإذا كان الرأي العام ظاهرة إنسانية يوجد أينما وجد مجتمع إنساني متفاعل، يظهر وينمو بناء على الواقع والقيم والمبادئ التي تحكم سيره، فإن المجتمعات الإسلامية لا تشذ عن ذلك، ينشأ فيها الرأي العام وفقاً لتفاعله مع الأحداث والوقائع المتجددة، مستنداً إلى القيم والأعراف الإسلامية، وهو الأمر الذي جعلنا نستخدم عليه بـ "الرأي العام في الإسلام" أو "الرأي العام الإسلامي".

وتظهر لنا أبرز معالم الرأي العام الإسلامي من خلال تطبيقاته في مجتمع المدينة المنورة منذ الهجرة إلى وفاة الرسول ﷺ؛ في تلك المرحلة أرسيت دعائم الدولة الإسلامية النموذجية، واكتمل بناؤها، وظهرت معالم المجتمع الإسلامي الحقيقي بوضوح، وتميز نظامه السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي عن غيره من المجتمعات الأخرى، ولذلك فإن الآراء والمواقف الجماعية - وهو ما يستخدم عليه بالرأي العام - التي صدرت عن هذا المجتمع الفاضل هي ترجمة لحقيقة الإسلام وتعبير عن روحه، وإرساء لنظمه وتشريعاته، وبالتالي يمثل صورة حقيقية للرأي العام في الإسلام.

ولذلك فإن أهمية البحث في هذا الموضوع تكمن في أنه يسلط الضوء على جانب مهم في معرفة أسرار تغير المجتمعات الإسلامية نحو الأفضل أو الأسوأ، كما يندرج ضمن الدراسات الإسلامية التي تتناول المواضيع ذات البعد الإنساني العالمي، وهو نوع من تكريس الأبحاث والدراسات ذات المواضيع الكلية الشمولية (المجتمع كنظام)، والابتعاد عن الدراسات الجزئية (الفقه الجزئي) مع أهميته، فضلاً عن حاجة الأمة الملحة لمثل هذه الدراسات في العصر الحديث.

والبحث يحاول الإجابة عن الإشكالية التالية:

ما حقيقة الرأي العام في الإسلام؟ وما الأسس التي يستند عليها في تشكله وتميزه؟ وما هي أهم معالمه من خلال المرحلة المدنية؟ وما السبيل لتحقيق رأي عام مؤثر في الأحداث وفق المنهج الإسلامي في العصر الحديث؟

أما أسباب اختيارنا للموضوع تعود إلى أمرين:

أولاً: أن هذا الموضوع بالذات لم يجد العناية الكافية من الباحثين في الشأن الإسلامي علمياً أو سياسياً أو ثقافياً، فضلاً عن كون جل دراستهم تنصب على مواضيع قديمة مكررة بأساليب جديدة، ولا يتطرقون إلى المواضيع المعاصرة ذات البعد الإنساني أو الاجتماعي أو السياسي أو الثقافي، التي تهدف إلى تغيير واقع الناس المتردي وفق منهج إسلامي رفيع.

ثانياً: قلة الدراسات الجادة لموضوع الرأي العام وتأثيره في المجتمعات العربية والإسلامية، وإن وجدت فهي تركز على المفاهيم والمرجعيات الغربية، دون مراعاة الفروق الجوهرية بين العالمين.

ويهدف البحث إلى تحقيق جملة من المقاصد نختصرها فيما يأتي:

1 . اكتشاف مكامن القوة في المجتمعات الإسلامية واستثمارها في حركة التغيير، اعتماداً على التأثير في الرأي العام أو توجيهه وفق رؤية إسلامية واضحة لا تحمل التقنيات والمناهج الحديثة في هذا المجال.

2 . إعادة بعث الروح الجماعية في الرقابة على الانحرافات المختلفة والتعاون على تقويمها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفق آليات حديثة ومنظمة ومناسبة.

3 . تنبيه العاملين في الحقل الدعوي إلى أهمية الرأي العام، واعتباره الثابت الأساسي في معادلة التغيير المنشود.

4 . المساهمة في بناء الجهود التأصيلية الإسلامية للرأي العام النظري.

## 5. بيان المنظور الإسلامي وعلاقة بعض القيم الإسلامية بظاهرة الرأي العام.

وفي ذلك كله ننتقل من فرضية: أن الرأي العام في المجتمعات الإسلامية يختلف عن غيره في جوانب كثيرة، وذلك راجع إلى تأثير الإسلام وهيمنته على حياة الناس بتفاصيلها، وأن القيم الإسلامية لا تتعلق بالمادة وحدها أو بالحياة فقط، بل إنها تعتمد على المزاجية بين المادة والروح، وبين عالم الغيب والشهادة، وبين الحياة الدنيا والآخرة. ولذلك فعلى كل مهتم بالرأي العام الإسلامي أن يراعي هذه الجوانب في تصورات الناس وميراثهم الفكري ومنطلقاتهم العقائدية، حتى يصل إلى تكوين رأي عام إسلامي أو التأثير فيه أو تغييره بأقل جهد وتكاليف وفي أسرع وقت، ليصل إلى أفضل النتائج.

وإنه كلما كانت القيم الإسلامية هي المهيمنة على المجتمع، كلما كان الرأي العام بارزا ويؤدي دوره التغييري والرقابي والمحاسبي على أكمل وجه.

كما يجدر التنبيه إلى أن موضوع الرأي العام ليس جديداً، وأن الدراسات في هذا المجال أكثر من أن تعد، لكن تناوله من وجهة نظر إسلامية قليلة جداً، فالباحثون الذين تناولوا دراسة الرأي العام في الإسلام هم المهتمون بالدراسات الإسلامية أو بعض المختصين في العلوم الإسلامية، أمثال الدكتور محيي الدين عبد الحلیم الذي ألف كتابه: "الرأي العام في الإسلام"، و الدكتور محمد عبد الرؤوف بهنسي ألف كتاباً بنفس العنوان، والدكتور إسماعيل صيني وكتابه: "مدخل إلى الرأي العام والمنظور الإسلامي"، كما تطرق الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني إلى "الرأي العام في المجتمع الإسلامي" من خلال كتيب نشرته الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة 1984م، ما عدا ذلك لا يعدو أن يكون محصوراً في بعض المقالات منشورة هنا وهناك في بعض المواقع الإلكترونية.

ومما يلاحظ أن جل هذه الدراسات تركز على الجانب النظري للرأي العام الإسلامي ومحاولة مقارنته بالمفاهيم الغربية، دون الغوص في عمق الواقع الإسلامي قديماً وحديثاً، لاستنتاج صورة مثلى للرأي العام في الإسلام، ما عدا بعض الاستشهادات من هنا وهناك لم تعط الصورة الكاملة لهذا الرأي العام الإسلامي على حقيقته أو المنشود، وفي هذه الدراسة حاولنا أن نزاوج بين الجانب

النظري والجانب الواقعي التطبيقي للرأي العام الإسلامي من خلال مرحلة تاريخية معينة وهي "المرحلة المدنية".

أما المنهج المعتمد في البحث هو المنهج التحليلي، حيث أننا نأتي بالنصوص والقواعد والأمثلة الشرعية أو النماذج التاريخية أو أقوال العلماء والباحثين . بما يتطلبه المبحث أو المطلب . التي تتطرق بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى الرأي العام، ونحاول أن نحللها ونوضحها ونستخرج من خلالها قواعد وأصول تبين لنا بوضوح ملامح وعناصر الرأي العام في الإسلام.

ولقد جعل البحث في فصلين، الفصل الأول يتضمن الجانب النظري للرأي العام في الإسلام،

أما الفصل الثاني يتضمن التنزيل الواقعي للرأي العام الإسلامي في المرحلة المدنية، وقد اخترنا هذه المرحلة كنموذج تطبيقي للرأي العام الإسلامي باعتبارها المرحلة المثالية للمجتمع الإسلامي، والرأي العام فيه يعكس جزءا من الحياة المثالية في هذه المرحلة.

وقد اعتمدنا في الاستشهاد بالآيات القرآنية على مصحف المدينة الإلكتروني برواية حفص، وفي الهامش نذكر السورة ورقم الآية. أما بالنسبة للأحاديث النبوية فإننا نذكر في الهامش تخريج الحديث والمرجع وجميع البيانات المتعلقة به فضلا عن ذكر الجزء والصفحة وترقيم الحديث من مصدره الذي أخذ منه.

أما فيما يخص تهميش المراجع والمصادر فإننا اعتمدنا طريقة الأستاذ الدكتور إبراهيم رحمان في كتابه "خطوط رئيسية في كتابة البحوث الجامعية" ( مطبعة سخري، ط: 2013 )

وقد جاء البحث في فصلين وثمانية مباحث وفق الخطة الآتية:

## المقدمة

### الفصل الأول: الرّأي العامّ في الإسلام (المحددات المعرفية)

المبحث الأول: تعريف الرّأي العامّ، نشأته، ملامحه وأقسامه في الإسلام

المطلب الأول: تعريف الرّأي العامّ.

المطلب الثاني: نشأة الرّأي العامّ.

المطلب الثالث: ملامح الرّأي العامّ في الإسلام.

المطلب الرابع: أقسام الرّأي العامّ في الإسلام.

## المبحث الثاني: مقوّمات الرّأي العامّ، أهمّيّته، مكانته، دوره ومظاهره في الإسلام

المطلب الأول: مقوّمات الرّأي العامّ في الإسلام.

المطلب الثاني: أهميّة الرّأي العامّ في الإسلام.

المطلب الثالث: مكانة الرّأي العامّ في الإسلام.

المطلب الرابع: دور الرّأي العامّ في الإسلام.

المطلب الخامس: مظاهر الرّأي العامّ في الإسلام.

## المبحث الثالث: عوامل وأساليب تكوين الرّأي العامّ في الإسلام

المطلب الأول: عوامل تكوين الرّأي العامّ في الإسلام.

المطلب الثاني: أساليب تكوين الرّأي العامّ في الإسلام.

## المبحث الرابع: الرّأي العامّ في الإسلام والأيديولوجيات المعاصرة

المطلب الأول: الرّأي العامّ في النّظم الديمقراطيّة المعاصرة.

المطلب الثاني: الرَّأي العامّ في التّظّم الاستبدادية.

المطلب الثالث: الرَّأي العامّ في الإسلام.

المطلب الرابع: أوجه الاتّفاق والاختلاف بين الرَّأي العامّ في الإسلام والمفاهيم الحديثة.

## الفصل الثاني: التنزيلات الواقعية للرَّأي العامّ في المرحلة المدنية

### المبحث الأول: الرَّأي العامّ في مرحلة تأسيس المجتمع الإسلاميّ

المطلب الأول: واقع الرَّأي العامّ في المدينة عند الهجرة

المطلب الثاني: بناء المسجد النبوي.

المطلب الثالث: المؤاخاة بين المسلمين.

المطلب الرابع: ميثاق التحالف.

المطلب الخامس: توطيد الصلة ورفع المعنويات.

### المبحث الثاني: الرَّأي العامّ والغزوات

المطلب الأول: الرَّأي العامّ والاستعداد للجهاد.

المطلب الثاني: غزوة بدر والرَّأي العامّ.

المطلب الثالث: غزوة أحد والرَّأي العامّ.

المطلب الرابع: غزوة الأحزاب والرَّأي العامّ.

المطلب الخامس: غزوة مؤتة والرأي العام.

المطلب السادس: فتح مكة والرأي العام.

### المبحث الثالث: تعامل الرأي العام الإسلامي مع اليهود والمنافقين في المدينة

المطلب الأول: تعامل الرأي العام الإسلامي مع اليهود.

المطلب الثاني: مجابهة الرأي العام الإسلامي لدعاية المنافقين.

### المبحث الرابع: نماذج لقضايا الرأي العام في المرحلة المدنية

المطلب الأول: نماذج تشريعية.

المطلب الثاني: نماذج سياسية.

المطلب الثالث: نماذج نفسية واجتماعية.

### الخاتمة

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أشكر السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على الاهتمام والحفاوة التي حظي بها البحث من قبلهم، كما تسرني جميع ملاحظاتهم وإرشاداتهم حول البحث، متعهدا بالالتزام بها وتثبيتها، والانتفاع بها في البحوث القادمة بحول الله تعالى. وفقكم الله وسدد خطاكم لما فيه خير الإسلام والمسلمين وخدمة العلم والدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# الفصل الأول:

## الرأي العام في الإسلام ( المحددات المعرفية)

المبحث الأول: تعريف الرّأي العامّ، نشأته، ملامحه وأقسامه في الإسلام

المبحث الثاني: مقوّمات الرّأي العامّ، أهمّيّته، مكانته، دوره ومظاهره في الإسلام

المبحث الثالث: عوامل وأساليب تكوين الرّأي العامّ في الإسلام

المبحث الرابع: الرّأي العامّ في الإسلام والأيديولوجيات المعاصرة

## المبحث الأول: تعريف الرَّأي العام، نشأته، ملامحه، وأنواعه في الإسلام

## المطلب الأول: تعريف الرَّأي العام

## الفرع الأول: التَّعريف اللغوي

## 1. الرَّأي:

تأتي كلمة الرَّأي في اللغة بعدة معاني، منها:

. الرؤية بالعين أي النظر والإبصار، وقد تأتي بمعنى البصيرة بالقلب، يقول ابن فارس:

"(رَأَى): الرَّاءُ وَالْهَمْزَةُ وَالْيَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى نَظَرٍ وَإِبْصَارٍ بَعِينٍ أَوْ بَصِيرَةٍ. فَالرَّأْيُ: مَا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ فِي الْأَمْرِ" <sup>1</sup>

ويقول ابن منظور: "وَيُقَالُ: رَأَيْتُهُ بَعِينِي رُؤْيَةً وَرَأَيْتُهُ رَأْيِي الْعَيْنِ أَي حَيْثُ يَفْعُ الْبَصْرُ عَلَيْهِ. وَيُقَالُ: مِنْ رَأْيِ الْقَلْبِ ارْتَأَيْتُ؛ وَأَنْشَد:

أَلَا أَيُّهَا الْمُرْتَبِي فِي الْأُمُورِ \*\*\* سَيَجْلُو الْعَمَى عَنْكَ تَبْيَاهُ" <sup>2</sup>

. وقد يأتي بمعنى العلم والخبر، قال ابن منظور: "ورأيت زيدا حليماً: عَلِمْتُهُ ... وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ <sup>3</sup>)؛ قِيلَ: مَعْنَاهُ أَلَمْ تَعْلَمْ أَي أَلَمْ يَنْتَه عِلْمُكَ

إِلَى هَؤُلَاءِ، ... وَقَالَ بَعْضُهُمْ: (أَلَمْ تَرَ <sup>4</sup>) أَلَمْ تُخْبِرْ. <sup>5</sup>

وقال أيضاً: "والرَّأي: معروف، وجمعه أراء، وآراءه أيضاً مقلوبٌ ... يقال: فلانٌ من أهل الرَّأي

<sup>1</sup> أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج 2 (لا.ط،

لا.م، دار الفكر، 1399هـ/1979م) ص 472

<sup>2</sup> جمال الدين محمد بن مكرم أبو الفضل (ابن منظور)، لسان العرب، ج 14 (ط:3، بيروت، دار صادر، 1414 هـ/

1993م)، ص 295

<sup>3</sup> سورة آل عمران، الآية: 23

<sup>4</sup> سورة آل عمران، الآية: 23

<sup>5</sup> ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج 14، ص 299

أَيُّ أَنَّهُ يَرَى رَأْيِي الْخَوَارِجَ وَيَقُولُ بِمَذْهَبِهِمْ، وَهُوَ الْمُرَادُ هَاهُنَا، وَالْمُحَدِّثُونَ يُسَمُّونَ أَصْحَابَ الْقِيَاسِ أَصْحَابَ الرَّأْيِ يَعْنُونَ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ بِأَرَائِهِمْ فِيمَا يُشْكَلُ مِنَ الْحَدِيثِ أَوْ مَا لَمْ يَأْتِ فِيهِ حَدِيثٌ وَلَا أَثَرٌ. وَالرَّأْيُ: الْاِعْتِقَادُ، اسْمٌ لَا مَصْدَرٌ، وَالْجَمْعُ آرَاءٌ... وَيُقَالُ: فُلَانٌ يَتَرَاءَى بِرَأْيِي فُلَانٍ إِذَا كَانَ يَرَى رَأْيَهُ وَيَمِيلُ إِلَيْهِ وَيُقْتَدِي بِهِ. "1

. كما يأتي بمعنى المشورة أو الاستشارة: "واستترأيت الرجل في الرأي أي استشرته ورايته وهو يُرأيه أي يشاوره."2

. ويأتي بمعنى الرياء وطلب السمعة: "وأزأى الرجل إذا أظهر عملاً صالحاً رياءً وسُمعةً."3

. ويأتي بمعنى الظن: "قال ابن الأثير: رُؤِيَ فِعْلٌ لَمْ يَسَمَّ فَاعِلُهُ مِنْ رَأَيْتَ بِمَعْنَى ظَنَنْتَ ... وَقِيلَ رُؤِيْتُ، وَهُوَ بِمَعْنَى الظن."4

نُحْصِ إِلَى أَنْ كَلِمَةَ الرَّأْيِ لَهَا عِدَّةٌ مَعَانِي لُغَوِيَّةٍ أَهْمُهَا؛ الرَّؤْيَةُ بِالْعَيْنِ؛ أَي الْإِبْصَارُ، أَوْ بِالْقَلْبِ بِمَعْنَى الْبَصِيرَةِ، أَوْ بِمَعْنَى الْعِلْمِ أَوْ الْخَبْرِ، وَهُوَ يُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى رَأْيِ أَهْلِ مَذْهَبٍ مَعِينٍ، أَوْ اِعْتِقَادِهِمْ، أَوْ طَرِيقَتِهِمْ فِي الْاِجْتِهَادِ، كَمَا يُطْلَقُ عَلَى الْمَشُورَةِ أَوْ الْاِسْتِشَارَةِ، وَالرِّيَاءِ أَوْ السُّمْعَةِ، وَالظَّنَّ الْغَالِبَ.

## 2. العام:

من عمَّ يعُمُّ فهو عامٌّ: وتأتي بعدة معاني أهمها:

. الطول والكثرة والعلو: قال ابن فارس: "عمَّ) العَيْنُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الطُّوْلِ وَالْكَثْرَةِ وَالْعُلُوِّ."5

. وكذلك بمعنى الجماعة: وجاء في لسان العرب: "العُمُّ: الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ."1 و"الأعمُّ: الْجَمَاعَةُ."2

1 المرجع نفسه، ج 14، ص 300 - 301

2 المرجع نفسه، ج 14، ص 302

3 المرجع نفسه، ج 14، ص 302

4 المرجع نفسه، ج 14، ص 304

5 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج 4، ص 15

. وكذلك بمعنى الجمع أو الجميع، قال ابن فارس: "وَمِنَ الْجَمْعِ قَوْلُهُمْ: عَمَّنَا هَذَا الْأَمْرُ يُعْمَنَّا عُمُومًا، إِذَا أَصَابَ الْقَوْمَ أَجْمَعِينَ."<sup>3</sup>

. وإذا أطلق العام على الشخص يقصد به السيد الذي يعم خيره على الناس، يقول ابن منظور: "وأصله من العموم. وَرَجُلٌ مِعْمٌ: يَعْمُ الْقَوْمَ بِخَيْرِهِ. وَقَالَ كُرَاعٌ: رَجُلٌ مِعْمٌ يَعْمُ النَّاسَ بِمَعْرُوفِهِ أَيْ يَجْمَعُهُمْ، وَكَذَلِكَ مُلِمٌ يَلْمُهُمْ أَيْ يَجْمَعُهُمْ... وَيُقَالُ: قَدْ عَمَمْنَاكَ أَمْرًا أَيْ أَلْزَمْنَاكَ، قَالَ: وَالْمِعْمَمُ السَّيِّدُ الَّذِي يُقَلِّدُهُ الْقَوْمُ أُمُورَهُمْ وَيَلْجَأُ إِلَيْهِ الْعَوَامُّ."<sup>4</sup>

. كما يطلق على الكثرة بعد قلة أو على الحدث الذي يعم الجميع، فنقول: "عَمَمَ الرَّجُلُ إِذَا كَثُرَ جَيْشُهُ بَعْدَ قِلَّةٍ. وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ: عَمَّ ثُوبَاءُ النَّاعِسِ؛ يُضْرَبُ مَثَلًا لِلْحَدَثِ يَحْدُثُ بِبِلْدَةٍ ثُمَّ يَتَعَدَّهَا إِلَى سَائِرِ الْبُلْدَانِ. وَفِي الْحَدِيثِ: (( سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِسَنَةِ عَامَّةٍ ))<sup>5</sup> أَيْ بِفَحْطِ عَامٍ يَعْمُ جَمِيعَهُمْ."<sup>6</sup>

ونخلص إلى أن ( العام ) بمعنى الجماعة والكثرة والأمر الظاهر، والشخص العام هو سيد قومه، والحدث العام هو الذي يعم الجميع.

إذا فالرأي العام لغة: هو الاعتقاد أو العلم أو الظن أو الاجتهاد الذي تتبناه الجماعة أو الأغلبية ويكون ظاهرا يعم الجميع.

## الفرع الثاني: التعريفات الاصطلاحية

### 1. تعريف الرأي العام عند الغربيين:

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ج4، ص 17

<sup>2</sup> ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج12، ص427

<sup>3</sup> ابن فارس، مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج4، ص 18

<sup>4</sup> ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج12، ص 427 بتصرف

<sup>5</sup> أخرجه مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله

ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج4، (لا.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب

هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ص 2215، بترياق: 2889

<sup>6</sup> ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج12، ص 427

. يقول الأستاذ ألبيج<sup>1</sup>: "إن الرّأي العامّ ينتج عن تفاعل أفكار الأفراد في أي شكل من أشكال الجماعة."<sup>2</sup>

يؤخذ على هذا التعريف أنه يتحدث عن سبب تشكيل الرّأي العامّ فقط، ويقف عند تفاعل أفكار الأفراد بصورة جماعية لينتج عنها بعد ذلك الرّأي العامّ، وتفاعل الأفكار سابق للرّأي العامّ.

. يقول السياسي الألماني بسمارك<sup>3</sup>: "يتكون الرّأي العامّ الحقيقي في باطن حياة الشعب وتكونه عناصر سياسية ودينية واجتماعية."<sup>4</sup>

ويؤخذ على هذا التعريف أنه يتحدث فقط عن منشأ الرّأي العامّ وعناصره التي يتكون منها، ولا يعطي محدّدات دقيقة للرّأي العامّ.

. ويقول دوفيفات<sup>5</sup>: "إن الرّأي العامّ . كوحدة أو كدرب واحد لخط سير الجماعة بأكملها - لا وجود له، غير أنّ هناك رأياً ظاهراً من بين آراء الجميع، رأياً غالباً على ما حوله من آراء، أمّا أن يقال إن هناك رأياً عاماً واحداً يعبر عن عقيدة وإرادة الجماعة كلها ويقرّه كل فرد فيها فهذا ما لا وجود له."<sup>6</sup>

واضح أن هذا التعريف يحصر الرّأي العامّ في الرّأي الغالب في الجماعة، أو ما يسمّى بالأغلبية في المجتمع، وينكر أن يكون هناك إجماع في الرّأي العامّ على الإطلاق.

## 2. تعريف الرّأي العامّ عند العرب والمسلمين:

<sup>1</sup> وليام ألبيج (William albig) أستاذ الرّأي العامّ الأمريكي

<sup>2</sup> مختار التهامي وعاطف عدلي العبد، الرّأي العامّ، (ط:01، لا.م، لا.ن، 1426هـ/ 2005 م)، ص 18

<sup>3</sup> أوتو إدوارد ليوبولد فون بسمارك، بالألمانية (Otto von Bismarck) :رجل دولة وسياسي ألماني، أشرف على توحيد الولايات الألمانية وتأسيس الإمبراطورية الألمانية أو ما يسمى بـ "الرايخ الألماني الثاني"، وأصبح أول مستشار لها بعد قيامها في عام 1871، أثرت أفكاره على السياسة الداخلية والخارجية لألمانيا في نهاية القرن التاسع عشر، لذا عرف بسمارك بلقب

"المستشار الحديدي". ويكيبيديا الموسوعة الحرة، تاريخ النشر فبراير 2016، تاريخ التصفح: مارس 2016

<sup>4</sup> مختار التهامي وعاطف عدلي العبد، الرّأي العامّ، مرجع سابق، ص 18

<sup>5</sup> إميل دوفيفات Emile Dovifat مدير معهد الصحافة بجامعة برلين .

<sup>6</sup> مختار التهامي وعاطف عدلي العبد، الرّأي العامّ، مرجع سابق، ص 18

. يقول مختار التهامي<sup>1</sup>: "الرأي العام هو الرأى السائد بين أغلبية الشعب الواعية في فترة معينة بالنسبة لقضية أو أكثر يحدث فيها الجدل والنقاش وتمسُّ مصالح هذه الأغلبية أو قيمها الإنسانية الأساسية مساً مباشراً."<sup>2</sup>

يكاد يكون هذا التعريف للرأي العام أكمل التعاريف الموجودة لشموله على معظم العناصر المكونة للرأي العام في الدولة الحديثة.

لكن نأخذ على هذا التعريف في الجوانب الآتية:

\* أنه أهمل جانب الإجماع الذي هو أقوى مظاهر الرأي العام واقتصر فقط على رأي الأغلبية وإن كان هذا صحيحاً أيضاً.

\* أهمل جانب الاختيار في الرأي العام واقتصر فقط على الوعي.

\* أهمل الرأي العام المستمر واقتصر فقط على الرأي العام في فترة معينة.

\* اقتصر فقط على القضايا مثار النقاش والجدل الحاد، ولم يدرج القضايا ذات البعد الديني.

. عرف محيي الدين عبد الحلیم<sup>3</sup> الرأي العام بأنه: "الاتجاه السائد بين جماعة من الناس، تربطهم مصلحة مشتركة نحو قضية تهمُّ أفراد هذه الجماعة في وقت معيّن، على أن يتمّ التعبير عن هذا الاتجاه من خلال الحوار الواعي والنقاش الموضوعي والجدال المنطقي، الذي تتنافس فيه الآراء المختلفة، حيث يسود رأي منها تقتنع به الأغلبية، شريطة أن تتبنّاه الأغلبية والأقلية معاً، عن رضا واقتناع."<sup>4</sup>

<sup>1</sup> مختار التهامي أستاذ الرأي العام بقسم الصحافة وعميد لكلية الإعلام بجامعة القاهرة، سابقاً .

<sup>2</sup> مختار التهامي وعاطف عدلي العبد، الرأي العام، مرجع سابق، ص 22

<sup>3</sup> محيي الدين عبد الحلیم ( 1941 . 2011 م )، أستاذ جامعي بالأزهر، وهوخبير إعلامي في المنظمة الإسلامية للعلوم والتربية والثقافة، وهوأول من أنشأ قسماً للصحافة والإعلام الإسلامي في جامعة الأزهر ثم بعد ذلك في الجامعات الإسلامية بالدول العربية، من أهم مؤلفاته: الاتصال بالجمهير والرأي العام - الأصول والفنون، وخطبة الجمعة والاتصال بالجمهير، والرأي العام في الإسلام، والإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، والدعوة الإسلامية والإعلام الدولي... المصدر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة، <https://ar.wikipedia.org/wiki> تاريخ النشر: يوم 24 فيفري 2015 الساعة 23:15. تاريخ التصفح: 05

مارس 2016 م

<sup>4</sup> محيي الدين عبد الحلیم، الرأي العام في الإسلام، (ط: 02، لا.م، دار الفكر العربي، 1410 هـ/ 1990 م)، ص 30

يعد هذا التعريف أشمل وأكمل التعاريف التي رأيناها لأنه يشمل جميع عناصر الرّأي العامّ الجزئية إلا أنه يلاحظ عليه؛ اعتباره الاتجاه السائد في المجتمع هو نفسه الرّأي العامّ، وقد ذهب بعض العلماء والمفكرين إلى أن الاتجاه يختلف عن الرّأي العامّ ولا بد أن نفرق بينهما وذلك لأن "الاتجاه هو السلوك الذي يسلكه النّاس إزاء موضوع معين.. كاحترامهم لشخص أو احتقارهم له دون أي ترتيب مسبق بينهم. أما الرّأي العامّ فعبارة تستعمل عادة للدلالة على تكامل آراء النّاس وليس مجرد التقاء آرائهم أو تجمعها، وذلك بشأن مسألة أو مسائل تعني المجتمع الذي يحتوي هؤلاء النّاس على نحو من الأنحاء.. وعلى هذا الأساس يمكن أن يعتبر الرّأي العامّ صورة من صور السلوك الجماعي تمخضت عن جدل بين أفراد متعددين تعنيهم المسألة التي يتعلق بها هذا السلوك أو هذه المناقشة ويتجهون لتحقيق هدف أو غاية مشتركة."<sup>1</sup>

ومع ذلك فإن " الخلط بين الاتجاه والرّأي العامّ وإن كان خطأ واضحاً، فإنه يبرز العلاقة الوثيقة بينهما، فالإتجاه قد يكون المصدر الحقيقي للرّأي، أي أن الرّأي قد يقوم جزئياً على الإتجاه ويرتبط به، لكن لا يعني ذلك أن الرّأي يصبح مرادفاً للإتجاه."<sup>2</sup>

وأيضاً فإن "الرّأي العامّ الظاهر ليس بالضرورة تعبيراً صادقاً عن الإتجاه ذلك أنه كثيراً ما يخفي الفرد اتجاهه الحقيقي ولا يفصح عنه لأسباب متعدّدة كالخوف أو الحفاظ على سرية مسألة معينة أو غير ذلك من الأسباب."<sup>3</sup>

كما يشترط الكاتب تبني الأقلية لرأي الأغلبية حتى يصبح رأياً عاماً، وهذا - في رأينا - ليس ضرورياً لسيادة الرّأي العامّ، لأن هذا الأخير هو الرّأي الظاهر في الجماعة وإن كان البعض منها لا يؤيده.

. ويعرف إبراهيم زيد الكيلاني<sup>1</sup> الرّأي العامّ الإسلاميّ بأنه: " ثمرة ارتباط أفراد المجتمع الإسلاميّ برباط ثقافي موحد، مستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن شأن أفرادها أن يرجعوا إلى حكم الله

<sup>1</sup> تشكيل الرّأي العامّ، موقع الإتحاد العامّ للطلاب السودانيين الخرطوم،السودان

(<https://www.facebook.com/SudaneseStudent>)، تاريخ التصفح: 2016/03/05م.

<sup>2</sup> صبحي عسيلة، الرّأي العامّ، دورية مفاهيم الأسس العلميّة للمعرفة، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية بمصر،

العدد: 23، السّنة الثانية، نوفمبر 2006 م، ص 17

<sup>3</sup> محيي الدّين عبد الحلّيم، الرّأي العامّ في الإسلام، مرجع سابق، ص 22

فيما يعرض لهم من حوادث، وأن ينطلقوا من القيم الإسلامية مهتدين بهديها، ليكون الرأى العام فيها وليد عقيدتهم، راجعاً إلى هدى كتاب الله وسنة رسوله ع. " 2

بالرغم من أن هذا التعريف أضاف جملة من العناصر التي تتعلق بالمجتمع المسلم كالمرجعية الإسلامية وقيم الأمة وعقيدها، إلا أنه يركز فقط على المصدر المؤثر في تكوين الرأى العام بين أفراد المجتمع المسلم ولم يتطرق إلى المحددات الأخرى التي وردت في التعريفين السابقين.

### 3. التعريف الإسلامي للرأى العام:

يمكن أن نخلص من خلال ما عرضنا في التعريفات السابقة وما رصدناه من مآخذ عليها إلى تعريف الرأى العام في الإسلام أو في المجتمع الإسلامي كما يأتي:

هو الرأى أو الموقف السائد بين أغلبية أو جميع أفراد المجتمع المكلفين، الذين تربطهم ثقافة موحدة مستمدة من القيم الإسلامية، عن وعي، واختيار، في فترة معينة أو بصفة مستمرة، لقضية أو أكثر، قام حولها نقاش وجدال أو لم يقم، تمس مصالح المجتمع أو قيمه الأساسية.

واضح من خلال هذا التعريف المختار أنه يتميز عن التعاريف السابقة بجملة من المحددات وهي بمثابة الخصائص التي تميز الرأى العام الإسلامي عن غيره. وإن كان يشترك معها في عدة عناصر. وتختصرها فيما يأتي:

. الرأى أو الموقف: أي أن الرأى العام في الإسلام ليس حكماً ولا مبدأً ولا عقيدة ولا قيمة أخلاقية ولا عادات أو تقاليد، لأن قيم الأمة ومبادئها وتقاليدها لا تعد رأياً عاماً وإنما هي مؤثرات أو مقومات للرأى العام.

<sup>1</sup> إبراهيم زيد الكيلاني ( 1937 . 2013 م )، مفكر إسلامي أردني، حاصل على دكتوراه في علم التفسير من جامعة الأزهر الشريف، عميد كلية الشريعة في الجامعة الأردنية سابقاً، المصدر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة (<https://ar.wikipedia.org/wiki>)، تاريخ التصفح: 05 مارس 2016 م .

<sup>2</sup> إبراهيم زيد الكيلاني، الرأى العام في المجتمع الإسلامي، (ط: السنة السادسة عشرة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، محرم - صفر - ربيع الأول 1404هـ/1984م) ص 02

. أن يكون الرّأي أو الموقف ظاهراً معلناً: فسكوت النَّاس عن تصرّف أو ظاهرة معيّنة في المجتمع ليس بالضرورة تعبيراً عن الرضا أو السخط.

. أغلبيّة أو جميع أفراد المجتمع: يمكن أن يتبنى الأغلبيّة رأياً أو موقفاً معيّناً في المجتمع الإسلاميّ بغضّ النظر عن صحّته أو خطئه، كما يمكن أن يجمع المجتمع على موقف واحد وهو ما لا يتحقّق في المجتمعات الأخرى .

. المكلفون: فالتكليف عنصر أساسي في الاعتبار الإسلاميّ، لأنه شرط في جميع التكاليف الشرعيّة، أي اعتبار الأشخاص البالغين والعاقليين والأحرار.

. الاختيار: فالرّأي أو الموقف الذي صدر عن الشّعب تحت الضّغط أو الإكراه أو الخوف لا اعتبار له في الإسلام<sup>1</sup>.

. الوعي: الوعي بحقائق الإسلام ومبادئه، وكذا بحقيقة القضية والرّأي المثار، لأن الجهل بالشّيء يجعل الخلاف حوله أشد، ولا يمكن أن يتبلور حوله رأي عامّ موحد.

. القيم الإسلاميّة: وهي المرجعيّة الأساسيّة لجميع مواقف الشّعب الإسلاميّة.

. التّوقيت والاستمراريّة: الرّأي العامّ في الإسلام قد يكون مؤقتاً إزاء حادثة معينة ينتهي بانتهاؤها، وقد يكون مستمراً يأخذ شكل الحكم العامّ كقضية خلق القرآن أو قضية الإساءة للرّسول P.

. الرّأي العامّ حول قضية قام الجدل حولها أو لم يقم: لا يشترط في القضية التي لتفّ حولها الرّأي العامّ أن تكون محل جدل أو نقاش، كما هو الحال في قضية توريث الجدة الشّمس في عهد أبي بكر الصديق - رضي الله عنه

. أن يكون الرّأي العامّ حول القضايا التي تمس مصالح المجتمع الدنيويّة والدينيّة.

<sup>1</sup> مثال ذلك: قصة مروان (مروان بن الحكم: رابع خلفاء الدّولة الأموية ) مع خطبة العيد: أورد مسلم عن طارق بن شهاب قال:

أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصّلاة مروان، فقام إليه رجل فقال: الصّلاة قبل الخطبة، فقال: قد ترك ما هناك، فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه سمعت رسول الله P يقول: ( من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه = فإن لم يستطع فبقلمه وذلك أضعف الإيمان ). يقول الإمام النووي: وفي هذا الحديث دليل على أنه لم يعمل بذلك أحد قبل مروان .

نقول: أن مروان قد خالف الرّأي العامّ السائد آنذاك: وهو إجماع الأمّة على أن صلاة العيد قبل الخطبة، ورغم ذلك فإن النَّاس قد صلوا كما أراد مروان، فهل فعلهم هذا الذي كان تحت الضّغط والخوف من السلطان يعد رأياً عاقماً ؟. القصة أوردتها ابن دقيق العيد: ( ابن دقيق العيد، شرح متن الأربعين حديثاً النبويّة، ( ط: 06، بمكة المكرمة، المكتبة الفيصلية، مؤسّسة الريان،

## المطلب الثاني: نشأة الرّأي العامّ

## الفرع الأول: نشأة الرّأي العامّ في الغرب

الرأي العام مصطلح غربي المنشأ، وهو "عبارة أثارت اهتمام الكتاب والمفكرين والسياسة في نهاية القرن الثامن عشر، كما استرعت انتباه الدول على اختلاف أوضاعها والأيدولوجيات السائدة فيها، وذلك على الرغم من أن عبارة الرّأي العامّ من المصطلحات الحديثة التي ولدت مع نهاية القرن الثامن عشر نتيجة للأحداث الكبيرة التي طرأت على الصعيد العالمي في تلك الفترة، من أبرزها الثورتان الفرنسية والأمريكية"<sup>1</sup> ثم إن الثورة الصناعية في أوروبا وما تلاها من تغيّرات اجتماعية واقتصادية كان لها الأثر الكبير في ظهور وتبلور مفهوم الرّأي العامّ وبروز أهميته، يقول محيي الدّين عبد الحلّيم في هذا الشّأن: "والتغيّرات الاقتصادية الضّخمة التي أعقبت الثّورة الصناعية، ثم المتغيّرات الاجتماعية التي ترتبت على ذلك، وظهور عدد من المفكرين الذين أسهموا بكتاباتهم وأفكارهم في إبراز أهميّة الرّأي العامّ ووضعها في المكان اللائق به من أمثال جان جاك روسو<sup>2</sup> ومونتيسكيو<sup>3</sup> وغيرهما، وما نجم عن ذلك من ظهور الأفكار الجديدة كالحريّة، وحقوق الإنسان، والمساواة، مما أدى إلى بروز قوة الرّأي العامّ ودفع الحكومات إلى محاولة ترويضه أو السيطرة عليه أو النزول لتحقيق رغباته ومسايرته"<sup>4</sup>، وفي كل الحالات فقد برز الرّأي العامّ كقوة يحسب حسابها، وأصبح مصطلح الرّأي العامّ يتردد كل يوم على ألسنة الزعماء والقادة والعلماء، وهل معنى هذا أن الرّأي العامّ لم يكن معروفاً قبل هذا الوقت؟ إن "هذا لا ينفي أن مضمون الرّأي العامّ كان معروفاً ومتداولاً في الحضارات القديمة كالحضارة اليونانية والرومانية والمصرية، وتؤكد دوره المؤثر والفعال في الحضارة الإسلاميّة، هذا على الرغم من اختلاف

<sup>1</sup> محيي الدّين عبد الحلّيم، الرّأي العامّ في الإسلام، مرجع سابق، ص 17

<sup>2</sup> جان جاك روسو (1712-1778) كاتب وأديب وفيلسوف وعالم نبات سويسري، ساعدت فلسفة روسو في تشكيل الأحداث السياسيّة، التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية. حيث أثرت أعماله في التعليم والأدب والسياسة. (المصدر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، <https://ar.wikipedia.org/wiki>)، تاريخ التصفح: 2016/03/08م

<sup>3</sup> شارل لوي دي سيكوندا المعروف باسم (مونتيسكيو) بالإنجليزية (Montesquieu) (1689-1755) ، فيلسوف فرنسي صاحب نظرية فصل السلطات الذي تعتمده غالبية الأنظمة السياسية حالياً. (المصدر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، <https://ar.wikipedia.org/wiki>)، تاريخ التصفح: 2016/03/08م .

<sup>4</sup> محيي الدّين عبد الحلّيم، الرّأي العامّ في الإسلام، مرجع سابق، ص 17

الصياغات التي تعكس هذا المضمون، كالاتِّفاق العامّ، أو الاتجاهات السائدة أو صوت الجمهور أو صوت الشعب<sup>1</sup> وغيرها من هذه المصطلحات السائدة آنذاك .

وقد أسهمت نخبة من المفكرين الذين ظهوروا في القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر في ترسيخ مفهوم الرّأي العامّ وتوسيع قاعدته من أمثال جان جاك روسو وجون لوك وكوندرايسيد وغيرهم من الكتاب والساسة، "وذلك أن هذا المصطلح لم يكن قبل ذلك محل اهتمام وليس له تأثير يذكر على واضعي السياسات المختلفة، كما لعبت الثورة الأمريكية وبعدها الثورة الفرنسية دوراً مميّزاً في هذا الصدد وحققت انتصاراً حافلاً للرّأي العامّ في العالم أجمع، وأصبحت عبارة الرّأي العامّ تستخدم على نطاق واسع مع مطلع القرن الثامن عشر، ثم جاءت الثورة الصناعية والتقدم التكنولوجي ثم ثورة الاتّصالات، وظهور النظريات الجديدة والمجالس النيابية"<sup>2</sup> فكلها مكنت للرّأي العامّ، وجعلته صاحب السّلطة الفعلية في حياة الأمم التي تحكمها النّظم الديمقراطية.

### الفرع الثاني: نشأة الرّأي العامّ عند العرب قبل الإسلام

تبلور الرّأي العامّ العربي قبل الإسلام من خلال بعض المؤسّسات القبلية، كمجلس الملاء، أو مجلس شورى القبيلة، المتكون من رؤساء الأقبام أو الأسر الممثلين لقبائلهم، كدار الندوة التي اتّخذت مركزاً يجتمع فيه شيوخ قريش إذا ما طرأ لهم أمر ما. وكان سوق عُكاظ الشهير صورةً حيّةً من صور مؤسّسات الرّأي العامّ كوعاءٍ أوسع يجمع كل عرب الجزيرة العربية، وكانت سوق عُكاظ بجانب أغراضه التجارية معرضاً عامّاً ومجمعاً لغويّاً (رسميّاً)، له محكمون تُضرب عليهم القباب، فيعرض شعراء كل قبيلة عليهم شعرهم وأدبهم، فما استجدوه فهو الجيّد، وما بهرجوه فهو الرّائف. وتذكر المصادر التاريخية أن النشاط الأدبي والسياسي تغلّب على التجارة في هذا السوق، وهذا ما تميّز به عُكاظ عن غيره من الأسواق في ذلك الوقت. وكان سوقاً حددت قريش زمانه ومكانه (في الأشهر الحُرْم وفي

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 18

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 18 . 19 بتصرف

مكان بين الطائف ومكة) بعد أن رأت أن الخطر يهددها من الأحباش وغيرهم. وأراد رؤساؤها جمع العرب على كلمة واحدة ضد هذا الغرض وغيره بعد عام الفيل. وعُكَّاز بهذا تُعتبر ندوة سياسية كبرى تقضى فيها أمور كثيرة بين القبائل: فمن أراد إعلان حربٍ على قومٍ أعلنها في هذا السوق، حتى هيئة الأمم المتحدة وما قامت به من مجهود (رسمي) في سبيل السلم الدولي، كان لها صورة مصغرة تشبهها بحسب الظاهر (لا في الحقيقة، لأن عُكَّاز لم تُراء لتبرّر للقوي أكل الضعيف)<sup>1</sup>

### الفرع الثالث: نشأة الرأي العام في الإسلام

إذا كان الرأي العام ينشأ من خلال وجود جماعة من الناس يتم الاتصال بينهم، وتجمعهم

قواسم مشتركة دينية وثقافية واجتماعية، فيمكننا القول إن الرأي العام شهد أوج ازدهاره وظهر بوضوح وبجميع عناصره المتفق عليها حديثا عند المسلمين الأوائل.

في سنة 610 للميلاد، بدأ نزول القرآن وبدأت تتشكل معالم الجماعة المسلمة في المرحلة المكية للدعوة الإسلامية، وعندما اجتمع المسلمون الأوائل حول رسول الله ﷺ الذين صدقوه وآمنوا به وبما جاء من عقيدة التوحيد وما تبعها من القيم الأخلاقية والاجتماعية المخالفة لما هو سائد في المجتمع الجاهلي آنذاك، وحينها بدأ يتشكل رأي عام جديد سرّياً في دار الأرقم، وراح ينمو شيئاً فشيئاً على حساب الرأي العام القديم المبني على الشرك والجاهلية، حتى ظهر للعيان عند الجهر بالدعوة بعد ثلاث سنوات من السرية، فانقسم الرأي العام في قريش بين دار الأرقم ودار الندوة، لكن الأول ظل يتزايد على حساب الثاني، فشعر قادة الرأي العام في قريش من أصحاب دار الندوة بالخطر على كيانهم وسطوتهم واضطراب موقفهم، وخاصة أنهم متصدرون للزعامة الدينية في جزيرة العرب، ومحتلين مركزها الرئيس، ضامنين حفظ كيانها، الأمر الذي جعلهم يواجهون جماعة المسلمين بكل قوة وبجميع الأساليب إلى درجة الاضطهاد والقتل والتنكيل والطرده من البلاد للحد من انتشار القيم الجديدة التي

<sup>1</sup> انظر موقع الإتحاد العام للطلاب السودانيين، تشكيل الرأي العام، مرجع سابق، ص 02 .

من شأنها أن تغير الرّأي العامّ السائد رأساً على عقب<sup>1</sup>. في هذه الأثناء وبعداً عن مكة بخمسمائة كلم كان هناك رأي عامّ آخر بدأ يتشكل بكل حرّية وجهاً في المدينة المنورة من قبل الأوس والخزرج.

وبعد 13 سنة من الدعوة، ولما لم يعد بإمكان المسلمين تغيير الواقع في مكة باكتساب مناصرين جدد للدعوة الإسلاميّة خوفاً من الاضطهاد، اضطروا للهجرة إلى المدينة المنورة، حيث واقع جديد وأرض جديدة ومناخ جديد، وتمكنوا بالفعل من إيجاد مجتمع مسلم متميز برأي عامّ متميز أساسه التوحيد وأخلاق الإسلام وشريعته ومبادئه، ورغم وجود اليهود والمنافقين في هذا المجتمع إلا أن الرّأي العامّ الإسلاميّ قد اكتمل وأصبح المسيطر والغالب والموجّه للأحداث في أغلب الأحيان.

### المطلب الثالث: ملامح الرّأي العامّ في الإسلام

#### الفرع الأول: ملامح الرّأي العامّ في القرآن

لم يرد مصطلح الرّأي العامّ في القرآن بالصورة المعروفة حالياً، ولكن تعدد ذكر ما يدل عليه من الإجماع وموقف الأغلبية أو الرّأي السائد، كالقوم، والملأ، والأمة، وأولي الأمر...ومن هذه الآيات ما يأتي:

1 . قال تعالى: ( قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ )<sup>2</sup>

ابتدأت الآية الخطاب بالنداء للمجتمع الإنساني ككل، وتهدف إلى تكوين رأي عامّ إنساني جامع حول الإيمان بالله تعالى وتوحيده وتصديق رسوله عليه الصلّاة والسّلام، باتباع أسلوب المحاجة والنقاش لإثبات ذلك.

<sup>1</sup> انظر المرجع نفسه، ص 03

<sup>2</sup> سورة الأعراف، الآية: 158

جاء في تفسير الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبّيه محمد ع: (قل)، يا محمد للناس كلهم (إني رسول الله إليكم جميعاً)، لا إلى بعضكم دون بعض، كما كان من قبلي من الرُّسل، مرسلًا إلى بعض الناس دون بعض. فمن كان منهم أرسل كذلك، فإن رسالتي ليست إلى بعضكم دون بعض، ولكنها إلى جميعكم... يقول جل ثناؤه: قل لهم: فصلِّقوا بآيات الله الذي هذه صفته، وأقروا بوحدانيته، وأنه الذي له الألوهة والعبادة، وصدقوا برسوله محمد ع أنه مبعوث إلى خلقه، داع إلى توحيدهِ وطاعته." <sup>1</sup>

ومثل هذه الآية التي تخاطب المجتمع الإنساني كثيرة جدا في القرآن الكريم.

2. قال تعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ) <sup>2</sup>

وهنا ابتدأت الآية الخطاب بالنداء لمجتمع المؤمنين، وتهدف إلى توجيه الرأي العام من المؤمنين في المدينة المنورة حول موقف موحد نهائي حول جملة من القضايا الاجتماعية التي كانت محل نقاش وجدل منذ المرحلة المكيّة، وهي الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، فأرشدتهم إلى الامتناع عنها وتحريمها نهائياً، فكانت الاستجابة الفورية من جميع المؤمنين في المجتمع، وإن هذه الاستجابة لم تأت إلا بعد مراحل من التربية الإيمانية وتغلغل التوحيد في قلوب المسلمين ونبد الشرك ورواسبه.

يقول سيد قطب . رحمه الله تعالى: "لقد كانت الخمر والميسر والأنصاب والأزلام من معالم الحياة الجاهلية، ومن التقاليد المتغلغلة في المجتمع الجاهلي. وكانت كلها حزمة واحدة ذات ارتباط عميق في مزاولتها، وفي كونها من سمات ذلك المجتمع وتقاليد... ولم يبدأ المنهج الإسلامي في معالجة هذه التقاليد في أول الأمر، لأنها إنما تقوم على جذور اعتقادية فاسدة فعلاجها من فوق السطح قبل علاج جذورها الغائرة جهد ضائع. حاشا للمنهج الرباني أن يفعل! إنما بدأ الإسلام من عقدة النفس البشرية الأولى. عقدة العقيدة. بدأ باجتثاث التصور الجاهلي الاعتقادي جملة من جذوره وإقامة التصور الإسلامي الصحيح." <sup>3</sup> فلما طهرت قلوب المؤمنين من رواسب الجاهلية وامتألت بنور الإيمان

<sup>1</sup> محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج13، (ط: 01، ل.م، مؤسسة الرسالة، 1420هـ، 2000م) ص 170

<sup>2</sup> سورة المائدة، الآية: 90

<sup>3</sup> سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، ج02، (ط: 17، بيروت . القاهرة، دار الشروق، 1412هـ)، ص 973

والتوحيد سهل عليها الانقياد والطاعة الفورية لأوامر الله تعالى، يقول سيد قطب . رحمه الله : " حتى إذا خلصت نفوسهم لله وأصبحوا لا يجدون لأنفسهم خيرة إلا ما يختاره الله.. عندئذ بدأت التكليف- بما فيها الشعائر التعبدية- وعندئذ بدأت عملية تنقية رواسب الجاهلية الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والأخلاقية والسلوكية.. بدأت في الوقت الذي يأمر الله فيطيع العباد بلا جدال.<sup>1</sup> وتلك هي القاعدة الذهبية لتكوين الرأي العام في الإسلام، حيث تبدأ بالتربية الإيمانية والتكوين العقائدي ثم التوجيه السلوكي.

3. قال تعالى: ( لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ )<sup>2</sup>

قال سيد قطب . رحمه الله . وهو يبين أن رسالة الرسل جميعا إلى أقوامهم واحدة، وكان كل رسول يجد الصدود والتكذيب من قومه، ومنهم نوح . عليه السلام : "ولقد أرسل كل رسول من هؤلاء إلى قومه. فقال: ( يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ )...وفي كل مرة وقف (الملا) من علية القوم وكبرائهم في وجه كلمة الحق هذه ورفضوا الاستسلام لله رب العالمين.<sup>3</sup>

لقد أشارت الآيات إلى الرأى العام السائد في قوم سيدنا نوح . عليه السلام . وهو الشِّرْك بالله تعالى، وليس هذا فقط، بل اعتبار أنفسهم أنهم على الحق وأن نوحا في ضلال، وهو ما عبّر عنه بـ"الملا من قومه " و"الملا" هم عليّة القوم الذين يشكلون رأى عامّ الفئة المتسلطة وباقي القوم تُبَعّ بدليل أن سيدنا نوح رد على الملا بصيغة العموم لا الخصوص بقوله: ( يا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ ) لعلمه عليه السلام أن القوم كلهم على موقف الملا .

هذه عينة من الآيات التي تبرز ملامح الرأى العام في القرآن الكريم، وأمثلتها كثيرة جدا لا يمكن الوقوف عليها جميعا.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ج02، ص 974

<sup>2</sup> سورة الأعراف، الآيات: 59 . 60 . 61

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج03، ص 1305

ونتعرض الآن إلى مثالين من قضايا الرأي العام التي تناولها القرآن وعمد إلى تغيير موقف الرأي العام عما كان عليه ألا وهما؛ نظرة الإنسان إلى الحياة، ونظرته إلى القتال والحرب.

### 1 . تغيير القرآن نظرة الإنسان للحياة التي كانت سائدة في الجاهلية:

إن المثل الأعلى للرجل في الجاهلية كان يمثله شعر " طرفة بن العبد" في الأبيات التالية من معلقته:

ولولا ثلاث هن من لذة الفتى \*\*\* وجدك لم أحفل متى قام عودي<sup>1</sup>

فمنهن سبق العاذلات بشربة \*\*\* كमित متى ما تعل بالماء تزبد<sup>2</sup>

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب \*\*\* بهكنة تحت الطراف المعمد<sup>3</sup>

وكرى إذا نادى المضيف مجنبا \*\*\* كسيد الغضا ذي السورة المتورد<sup>4</sup>

وهي صورة رجل يقول إنه لا يعيش حياته إلا لغايات ثلاث:

. الغاية الأولى: والتي عبر عنها البيت الثاني، وهي شرب الخمر يعلوها الزبد متى علاها الماء .

. الغاية الثانية: والتي عبر عنها البيت الثالث، وهي الجلوس إلى الحسناء في اليوم الغائم تحت الخيمة

القائمة على العممد.

<sup>1</sup> معناه ولولا ثلاثة أشياء تقوم عليها حياتي لم أهتم متى جاء الأجل وتركني جميع من يعودوني في المرض. (المرجع: عبد اللطيف

حمزة، الإعلام في صدر الإسلام، ( لا.ط، القاهرة، دار الفكر العربي، 1970 م )، ص 46 )

<sup>2</sup> أول هذه الأشياء الثلاثة إسكات العاذلات والعدل الذين يلوموني على شرب الخمر المعتقة التي يعلوها الزبد متى ما علاها الماء.

( نفس المرجع، ص 46 )

<sup>3</sup> الدجن: الغيم، وبهكنة: المرأة الحسناء، والمعمد: القائم على أعمدة، والمعنى: أن الشيء الثاني من هذه الأشياء الثلاثة التي أعيش

من أجلها هو قضاء اليوم الغائم الجميل مع المرأة الحسناء في خيمة كبيرة ذات أعمدة. ( نفس المرجع، ص 47 )

<sup>4</sup> كرى: من الكر وهو الجري، والمضيف: اللاجئ أو المستنجد ، والمجنب ( بكسر النون المشددة ): المنحني من شدة الضعف أو

الخوف، وسيد الغضا ( بكسر السين ): هو الذئب المختفي وراء الأشجار استعدادا للهجوم على فريسته، وذو السورة : معناه ذو

الغضب الشديد، والمتورد: أي الوارد على عجل . ( نفس المرجع، ص 47 )

والمعنى: إن الشيء الثالث من الأشياء التي يعيش من أجلها وثوبه لنجدة من يستنجد به كما يثب الذئب على فريسته. ( نفس

المرجع، ص 47 )

. الغاية الثالثة: والتي عبر عنها البيت الأخير، وهي نجدة كل من يستجد به والهجوم على من يتعدى على الضعيف هجوم الذئب على فريسته<sup>1</sup>.

ذلك هو المثل الأعلى للرجل العربي في العصر الجاهلي، أما المثل الأعلى الذي رسمه القرآن للرجل المسلم يبينه عبد اللطيف حمزة بقوله: "أما المثل الأعلى الذي رسمه القرآن للرجل المسلم فإنه يظهر في آيات كثيرة ليس من السهل أن نحصرها، ومنها على سبيل المثال قوله تعالى:

( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ<sup>2</sup> ]

ومعنى ذلك أن المثل الأعلى للرجل في الإسلام هو مخافة الله تعالى مخافة تحول بينه وبين معصية الله ورسوله<sup>3</sup> وكذلك قوله تعالى يشرح معنى التقوى التي هي المثل الأعلى: [ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ]<sup>4</sup>

"الحق لقد كان الإسلام في ذاته ثورة كبيرة، وكان لابد لهذه الثورة أن تكون مقرونة بطائفة من القيم الجديدة والمفاهيم الجديدة، ومثل جديدة يقوم عليها المجتمع الجديد، ويصبح بها مغايرا كل المغايرة للمجتمع الذي سبقه إلى الوجود، وهو المجتمع الجاهلي."<sup>5</sup>

إذا كان تغير الرأي العام يبدأ بتغيُّر التصور والفكر لدى الفرد حتى ينعكس مواقف وأعمالا لدى الجماعة كلها، ففي اعتقادنا أن هذا هو الذي سعى إليه القرآن منذ البداية.

## 2. تغيير القرآن نظرة الإنسان للقتال والحرب:

<sup>1</sup> انظر عبد اللطيف حمزة، الإعلام في صدر الإسلام، مرجع سابق، ص 47

<sup>2</sup> الحجرات: 13

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 47

<sup>4</sup> البقرة: 177

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 48

كانت نظرة الجاهلية للقتال حمية وفخرا ودفاعا، وهو الرأى العام السائد في كل مواجهة

قتالية، فجاء الإسلام بغير هذا التصور ليصبح القتال في نظر المسلمين جهادا في سبيل الله وإعلاء كلمة الإسلام والموت في سبيل ذلك شهادة وحياة أخروية ينعم فيها الشهيد بجنات النعيم، قال تعالى: [ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ]<sup>1</sup>

يقول عبد اللطيف حمزة: "إن الروح المعنوية بين المسلمين كانت تعلق بهذه الآيات إلى الدرجة التي كانوا فيها يتسابقون إلى الموت في سبيل الله وإلى الدرجة التي لم يشهد لها التاريخ مثيلا في غير عهد النبي ﷺ"<sup>2</sup>

### الفرع الثاني: ملامح الرأى العام في السنة

يمكن أن نستخلص بوضوح ملامح الرأى العام في أحاديث الرسول ﷺ منها ما يأتي:

1 . عن النعمان بن بشير . رضي الله عنه . قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَا حَرْفْنَا فِي نَصِينِنَا حَرْقًا وَمَ نُنُودِ مَنْ فَوْقَنَا؟ فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَّوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا))<sup>3</sup>

<sup>1</sup> سورة التوبة، الآية: 111

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 50

<sup>3</sup> أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه

وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ج3، (ط: 01، لا.م، دار طوق النجاة، 1422هـ)، كتاب

الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، ص 139، بترقيم: 2493

وفي هذا الحديث: السفينة تمثل المجتمع المسلم الذي يشتمل على فئات متعدّدة من الآراء، وفيه أيضا توجيه المسلمين إلى أن يكونوا إيجابيين لا سلبيين اتجاه الآراء والتصرفات المنحرفة حتى لا يتشكل رأيي عامّ غالب من المفسدين يعثم المجتمع فيهلك الناس جميعا.

قال بن حجر العسقلاني أثناء شرح الحديث: "وَهَكَذَا إِقَامَةُ الْحُدُودِ يَحْتَضِرُ بِهَا النَّجَاةَ لِمَنْ أَقَامَهَا وَأَقِيمَتْ عَلَيْهِ وَإِلَّا هَلَكَ الْعَاصِي بِالْمَعْصِيَةِ وَالسَّائِكُ بِالرِّضَا"<sup>1</sup>

2. عن أبي سعيد الخدري . رضي الله عنه . قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (( مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ ))<sup>2</sup>

في هذا الحديث حثّ لجميع الأفراد في المجتمع الإسلامي أن يساهموا في تغيير المنكر كل بحسب استطاعته، وليس لأحد من المسلمين إذا بلغه المنكر أو علمه أن يبقى مكتوف الأيدي يقف موقفا سلبيا منه، بل إن درجة إيمانه تقاس بحسب قيامه بواجبه اتجاه المنكرات، فأعلى درجاته ما يدل عليه التغيير باليد، ثم ما يدل عليه من تغيير باللسان، والذي لا يستطيع بهما عليه أن ينكر ذلك بقلبه ولا يرضى به، وهو الأمر الذي يريي المسلم شعوريا بعدم قبول المنكرات في المجتمع المسلم، وهذا في حد ذاته خطوة إيجابية نحو تشكيل اتجاه عام يرفض الانحرافات والآفات الاجتماعية.

ولذلك فإن الرأي العام كله مشارك في إزالة المنكرات ولو بالقلب.

" فإن قيل: الإنكار بالقلب ليس فيه تغيير المنكر، فما معنى قوله ع: فبقلمه؟. وجوابه: أن المراد أن ينكر ذلك ولا يرضاه."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ج5، ( لا.ط، بيروت، دار المعرفة، 1379هـ )، ص 296

<sup>2</sup> أخرجه مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج1، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، ص 69، بتقييم: 49

<sup>3</sup> محمود بن الجميل أبو عبد الله، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ( ط: 01، الجزائر، دار الإمام مالك، 1428هـ / 2007م ) ص 369

3 . عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه . قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ: مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ: تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى))<sup>1</sup>

وفي هذا الحديث يمثل تماسك المجتمع وترابطه الشعوري والعاطفي الذي يعكس بالضرورة التلاحم الفكري والعقائدي لهذا المجتمع، وهي عناصر أساسية في تكوين رأي عام موحد .

"والإنسان مدني اجتماعي بطبعه، محتاج إلى غيره، بقدر احتياج غيره له، وكلما تكاتف مجتمع صار قويا، وكلما عطف بعضه على بعض، وأحس بعضه بالآلام بعض صار في منعة وحصانة."<sup>2</sup>

4 . عن ابن عمر - رضي الله عنهما . أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي - أَوْ قَالَ: أُمَّةَ مُحَمَّدٍ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَيُدُّ اللَّهُ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَدَّ شَدًّا إِلَى النَّارِ))<sup>3</sup>

فقد دل الحديث على أن الرأي المجمع عليه في الأمة الإسلامية هو الصواب الذي ينبغي الالتفاف حوله، وأمر بلزومه وعدم الخروج عنه، حتى وإن كان للفرد رأي مخالف، لئلا يشق الرأي العام المستقر .

وما يؤكد هذا المعنى ما جاء في تحفة الأحوذى في شرح الحديث: "يُدُّ اللَّهُ عَلَى الْجَمَاعَةِ أَيَّ حِفْظُهُ وَكَلَاءَتُهُ عَلَيْهِمْ يَعْنِي أَنَّ جَمَاعَةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي كَنْفِ اللَّهِ فَأَقِيمُوا فِي كَنْفِ اللَّهِ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ وَلَا تُفَارِقُوهُمْ (وَمَنْ شَدَّ) أَي انْفَرَدَ عَنِ الْجَمَاعَةِ بِاعْتِقَادٍ أَوْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ لَمْ يَكُونُوا عَلَيْهِ (شَدَّ إِلَى النَّارِ) أَي انْفَرَدَ فِيهَا وَمَعْنَاهُ انْفَرَدَ عَنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَالْقِيَامَةِ فِي النَّارِ"<sup>4</sup> وهو الأمر الذي يدل على

1 . أخرجه مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج4، كتاب الصلة والبر والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ص 1999، بترقيم: 2586

2 موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ج10، (ط: 1، القاهرة، دار الشروق، 1423هـ / 2002م) ص 59

3 أخرجه الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبوعيسى، سنن الترمذي تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، ج4، (ط: 02، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1395هـ / 1975)، أبواب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، ص 466، بترقيم: 2167، قال الترمذي: حديث غريب . وقال الألباني: صحيح دون ومن شد .

4 محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، ج6، (لا.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت) ص 322

مدى خطورة شق صف الجماعة والخروج عنها، كما يؤكد على حرص الإسلام على وحدة الصف والموقف في جماعة المسلمين.

5. عن ابن مسعود . رضي الله عنه . قال: ((فَمَا رَأَهُ الْمُؤْمِنُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَهُ الْمُؤْمِنُونَ قَبِيحًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ قَبِيحٌ))<sup>1</sup>

وفي هذا الأثر أن الرأي الذي اجتمع عليه المسلمون هو المعبر عند الله والذي ينبغي إشاعته والتزامه.

6. عن عائشة . رضي الله عنها . أن النبي ﷺ قال لها: ((يَا عَائِشَةُ، لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ، فَهَدِمَ، فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أَخْرَجَ مِنْهُ، وَأَلْزَقْتُهُ بِالْأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ، بَابًا شَرْقِيًّا، وَبَابًا غَرْبِيًّا، فَبَلَغْتُ بِهِ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ))<sup>2</sup>

في هذا الحديث يظهر بوضوح مدى مراعاة النبي ﷺ للرأي العام السائد آنذاك والذي لا يزال متأثراً بالتصورات الجاهلية عن البيت الحرام، وخشية أن لا تبلغ عقول الناس المغزى الحقيقي لتغيير بعض أصول الكعبة، أثر الرسول ﷺ بقاء البيت على ما هو عليه من الخطأ على أن يؤلب الرأي العام، لما سيحدث ذلك من جلبة وربما فتنة بين الناس، الإسلام في غنى عنها.

قال بن حجر: " لِأَنَّ قُرَيْشًا كَانَتْ تُعْظِمُ أَمْرَ الْكَعْبَةِ جِدًّا فَحَشِيَ ﷺ أَنْ يَطْنُوا لِأَجْلِ قُرْبِ عَهْدِهِمْ بِالْإِسْلَامِ أَنَّهُ غَيَّرَ بِنَاءَهَا لِيَنْفَرِدَ بِالْفَخْرِ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ، وَيُسْتَفَادَ مِنْهُ تَرْكُ الْمَصْلَحَةِ لِأَمْنِ الْوُقُوعِ فِي الْمَفْسَدَةِ، وَمِنْهُ تَرْكُ انْكَارِ الْمُنْكَرِ حَشِيَّةَ الْوُقُوعِ فِي أَنْكَرٍ مِنْهُ، وَأَنَّ الْإِمَامَ يَسُوسُ رَعِيَّتَهُ بِمَا فِيهِ إِصْلَاحُهُمْ وَلَوْ كَانَ مَفْضُولًا مَا لَمْ يَكُنْ مُحْرَمًا. " <sup>3</sup> وقال أيضا مبينا ما يستفاد من الحديث: "وَهُوَ تَرْكُ بَعْضِ الْإِخْتِيَارِ مَخَافَةَ أَنْ يَقْصُرَ عَنْهُ فَهَمُّ بَعْضِ النَّاسِ، وَالْمُرَادُ بِالْإِخْتِيَارِ فِي عِبَارَتِهِ الْمُسْتَحَبُّ، وَفِيهِ

<sup>1</sup> أخرجه الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبوالقاسم الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ج9، (ط:01، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، 1415هـ/1994م)، باب العين، باب خطبة ابن مسعود ومن

كلامه، ص 112، بتقييم: 8583

<sup>2</sup> أخرجه البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنائها، ج2، ص147، بتقييم: 1586

<sup>3</sup> ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج1، قوله باب من خص بالعلم قوم دون قوم، ص

اجْتَنَابُ وِلْيِ الْأَمْرِ مَا يَتَسَرَّعُ النَّاسُ إِلَىٰ إِنْكَارِهِ وَمَا يُحْشَىٰ مِنْهُ تَوَلُّدُ الضَّرْرِ عَلَيْهِمْ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا، وَتَأَلُّفُ قُلُوبِهِمْ بِمَا لَا يُتْرَكُ فِيهِ أَمْرٌ وَاجِبٌ، وَفِيهِ تَقْدِيمُ الْأَهَمِّ فَأَلْهَمَ مِنْ دَفْعِ الْمَفْسَدَةِ وَجَلْبِ الْمَصْلَحَةِ وَأَتَّهَمَا إِذَا تَعَارَضَا بُدِئَ بِدَفْعِ الْمَفْسَدَةِ " 1

تلك بعض الأحاديث التي يستنبط منها ملامح الرأي العام في الإسلام وغيرها كثير لا يمكن الإمام به في هذا المطلب.

### الفرع الثالث: ملامح الرأي العام في بعض مصادر التشريع

لو تأملنا مصادر التشريع الإسلامي لوجدنا بعضها يعمل على إنشاء رأي عام في المجتمع الإسلامي ، وبعضها يراعي الرأي العام الموجود، وبعضها يعمل على تغييره. ومن هذه المصادر: الإجماع والمصلحة المرسلّة والعرف.

#### 1. الإجماع:

الإجماع: "هو اتّفاق جميع المجتهدين من المسلمين في عصر من العصور بعد وفاة الرسول ρ

على حكم شرعيّ في واقعة." 2

نلاحظ عناصر الرأي العام في الإجماع تتمثل في:

1 . اتّفاق العلماء: وهم صفوة الأئمة وأولي الأمر فيها وأن رأيهم هو رأي الأمة ممثلة في علمائها، واتّفاقهم يعني اتّفاق الأمة كلها.

2 . في عصر من العصور: أي زمن محدد، وهو زمن حدوث الواقعة أو المسألة.

3 . حدوث واقعة محل الاجتهاد والتي قام حولها النقاش والجدال.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ج 3، قَوْلُهُ بَابُ فَضْلِ مَكَّةَ وَبُنْيَانِهَا وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا، ص 440

<sup>2</sup> عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، (ط: 08، مصر، مكتبة الدعوة، شباب الأزهر، د.ت)، ص 45

وبالتالي فإن الإجماع إذا حدث يوحد موقف الرأي العام الإسلامي حول هذه القضية، إذ صار حكماً شرعياً قطعياً لا يجوز مخالفته في أي عصر من العصور، وكذا لا يجوز أن تكون هذه القضية المجمع عليها محل اجتهاد أو نقاش مرة أخرى.

ومنه فإن الإجماع شكل رأياً عاماً مستمراً ودائماً، وهو ما يتميز به الرأي العام الإسلامي عن غيره في النظم الأخرى.

## 2. العرف:

العرف: "هو ما تعارفه الناس وساروا عليه من قول أو فعل أوترك... ولا يخالف دليلاً شرعياً... كتعارف الناس عقد الاستصناع، وتعارفهم تقسيم المهر إلى مقدّم ومؤخّر وتعارفهم أن ما يقدمه الخاطب إلى خطيبته من حلّي وثياب هو هديّة لا مهراً"<sup>1</sup>...

إذن فالعرف يشكل رأياً عاماً حول جملة من القضايا الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية، ينبغي مراعاته حتى في سنّ الأحكام الشرعية، ولا أدل على ذلك أن الإمام مالك بنّى كثيراً من أحكامه على عمل أهل المدينة، وأبو حنيفة وأصحابه اختلفوا في أحكام بناءً على اختلاف أعرافهم، والشافعي لما هبط إلى مصر غير بعض الأحكام التي كان قد ذهب إليها وهو في بغداد لتغير العرف<sup>2</sup>

وإذا كان العرف عند المختصين في الرأي العام لا يعد رأياً عاماً، فإنه لا شك يساهم في تشكيله والتأثير فيه ويساعد على بلورته.

## 3. المصلحة المرسلّة:

المصلحة المرسلّة: "هي المصلحة التي لم يشرع الشارع حكماً لتحقيقها، ولم يدل دليل شرعي على اعتبارها أو إلغائها وتُسمّى مطلقة لأنها لم تقيد بدليل اعتبار أو دليل إلغاء. ومثالها: المصلحة التي شرع

<sup>1</sup> انظر المرجع نفسه، ص 89

<sup>2</sup> انظر المرجع نفسه، ص 90

لأجلها الصحابة اتخذ السجون، أو ضرب النقود، أو إبقاء الأرض الزراعية التي فتحوها في أيدي أهلها ووضع الخراج عليها.<sup>1</sup>

يقول عبد الوهاب خلاف: "وتوضيح هذا التعريف أن تشريع الأحكام ما قصد به إلا تحقيق مصالح الناس، أي جلب نفع لهم أو دفع ضرر أو رفع حرج عنهم، وأن مصالح الناس لا تنحصر جزئياتها، ولا تتناهى أفرادها وأنها تتجدد بتجدد أحوال الناس وتتطور باختلاف البيئات، وتشريع الحكم قد يجلب نفعاً في زمن وضرراً في آخر، وفي الزمن الواحد قد يجلب الحكم نفعاً في بيئة ويجلب ضرراً في بيئة أخرى." <sup>2</sup>

فعلاقة المصلحة المرسله بالرأي العام تكمن في أن الناس يجتمعون دائماً حول ما يحقق مصالحهم الدنيوية والدينية إن عاجلاً أو آجلاً، وهو الأمر الذي رعاه الإسلام وحرص عليه، ومنه كان المقصد العام للتشريع في الإسلام هو ( جلب المنفعة ودرء المفسدة).

#### المطلب الرابع: أقسام الرأي العام في الإسلام

يمكن تقسيم الرأي العام بحسب نظرة الإسلام للمجتمعات البشرية المتنوعة وما يتبلور فيها من قضايا مصيرية يجتمعون حولها بغض النظر عن صحتها وفسادها، وبناء عليه يمكن تقسيم الرأي العام بحسب ستة اعتبارات، وكل قسم يحتوي جملة من الأنواع، نلخصها فيما يأتي:

**الفرع الأول: أقسام الرأي العام باعتبار الإيمان:** وهو ينقسم إلى خمسة أنواع، هي:

**1 . الرأي العام الإنساني:** ويمثله الخطاب القرآني الذي يتدأ بقوله تعالى: " يا أيها الناس " مثل قوله تعالى: [ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 84

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 84

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ<sup>1</sup>

فقيمة التعارف والتواصل بين البشر جميعا باختلاف دياناتهم من الأمور التي يجتمع حولها الرأي العام الإنساني .

2. الرأي العام الإسلامي: وتمثله الآيات الكريمة التي تبتدئ الخطاب بقوله تعالى:

( يا أيها الذين ءامنوا )<sup>2</sup> لأن أشرف رباط يربط المؤمنين بعضهم ببعض هو الإيمان .

3. الرأي العام الوثني: وتمثله الآيات الكريمة التي تبتدئ الخطاب بقوله تعالى:

( قل يا أيها الكافرون )<sup>3</sup> أو التي خاطبت أهل الكفر في المجتمع المكّي أو غيره ب: " الكفار " أو "المشركون"

4. الرأي العام الذمي: والذي يمثله أهل الكتاب من اليهود والنصارى باعتبارهم كيانا

متميّزا بديانتههم ومعاملاتهم وآرائهم في المجتمع الإسلامي، وتمثله الآيات التي تبتدئ النداء بقوله

تعالى: [ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ]<sup>4</sup>

ويؤكد ذلك أيضا فعل رسول الله ﷺ فالبند الأول من المعاهدة التي أبرمها مع اليهود يقول: (إن يهود بني عوف أمّة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم، وكذلك لغير بني عوف من اليهود.)<sup>5</sup>

<sup>1</sup> سورة الحجرات، الآية: 13

<sup>2</sup> سورة المائدة، الآيات: 94. 95. 99. ....، وسورة النساء، الآيات: 135. 136. .... وسورة الأنفال، الآيات: 20. 21 ... وغيرها كثير جدا

<sup>3</sup> سورة الكافرون، الآية: 01

<sup>4</sup> سورة آل عمران، الآيات: 64. 65. 70. 98. 99. .... وسورة النساء، الآية: 171، وسورة المائدة، الآيات: 15. 59. 68 ... وغيرها كثير جدا

<sup>5</sup> صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ( ط: 02، المنصورة، دار الوفاء، 1420هـ/ 2000 م )، ص 212

**5 . رأي عامّ المنافقين:** لا يخفى على مسلم أن المنافقين في المدينة المنورة شكلوا كيانا خاصا بهم داخل المجتمع المدني، وكان له بالغ الأثر في بعض المحطات التاريخية ومثال ذلك دورهم في حادثة الإفك ودورهم في الوقعة بين المهاجرين والأنصار، وغيرها .. مما أحدث تغيرا في الرّأي العامّ لبعض الوقت لولا نزول الوحي الذي برأ أمّ المؤمنين عائشة . رضي الله عنها .، وتدخل النبيّ  $\rho$  الذي أنقذ الموقف بين المهاجرين والأنصار، لكان لدورهم بعدا لا يعلمه إلا الله تعالى .

### الفرع الثاني: أقسام الرّأي العامّ باعتبار السبق

أي باعتبار السبق في الإسلام وهم المهاجرون والأنصار، ففضل السابق ليس كاللاحق، وإن كان لكل منهم أجره ومكانته، ولذلك يمكن تقسيم هذا الرّأي إلى نوعين:

**1 . رأي عامّ المهاجرين:** وكان لرأي المهاجرين وموقفهم ثقله في المجتمع الإسلاميّ الأول وبرز ذلك بشكل واضح بعد وفاة الرسول  $\rho$  وفي بيعة أبي بكر الصديق . رضي الله عنه . .

**2 . رأي عامّ الأنصار:** وإن كان الإسلام آخى بين المهاجرين والأنصار وجعلهم جسدا واحدا، إلا أن بعض المحطات التاريخية تبرز تميزهم عن غيرهم وتشكل لديهم رأي عامّ مخالف ولكن بشكل محدود جدا زمانيا ومكانيا .

### الفرع الثالث: أقسام الرّأي باعتبار المذهبية

وينقسم إلى قسمين:

**1 . رأي عامّ أهل السنّة والجماعة:** ويتنوع هذا القسم إلى المذاهب الفقهية الأربع المشهورة: الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، وكل مذهب يلتف حوله جمهور كبير من المسلمين

**2 . رأي عامّ الشيعة:** ويتنوع هذا القسم إلى المذاهب الشيعية المشهورة:

الزيدية والإثنا عشرية والرافضة.

### الفرع الرابع: أقسام الرّأي العامّ باعتبار الفئويّة

ويتنوع إلى ثلاثة أقسام:

- 1 . رأي عامّ العلماء والفقهاء: وعادة يكون هو الغالب في المجتمعات الإسلاميّة لمكانة العلماء في قلوب العامّة .
- 2 . رأي عامّ الحكام والأمراء: وهذا الرّأي له تأثيره الواضح في تغيير المواقف أو تعزيزها، وقضيّة خلق القرآن في عهد المأمون تدل على ذلك .
- 3 . رأي عامّ العامّة: وهو الرّأي الغالب، وهو ما يعبر عنه في التراث الإسلاميّ بالعرف .

### الفرع الخامس: أقسام الرّأي العامّ باعتبار الكمّ

وينقسم إلى ثلاثة أقسام وهي:

- 1 . رأي عامّ إجماعيّ: وهو إجماع الأمة على قضيّة ما أو موقف محدد، ونعتقد أن هذا الأمر لم يتسنّ إلا لأمة الإسلام .
- 2 . رأي عامّ الأغليبيّة: الذي لم يبلغ حد الإجماع، لكن يمثل الرّأي الغالب، وهو ما يعبر عنه أحيانا برأي الجمهور .
- 3 . رأي عامّ الأقلّيّة: وعادة ينشأ في الكيانات التي لها خصوصيتها الدّينيّة أو المذهبيّة أو العرقيّة داخل المجتمع الإسلاميّ، لكن لا تأثير له في أغلب الأحيان .

### الفرع السادس: أقسام الرّأي العامّ باعتبار الزمن

وهو قسمان:

**1 . رأي عام مؤقت:** وهو الرّأي العامّ الذي يقوم لبعض الوقت وينتهي بإنهاء الحادثة، مثل حادثة الإفك، أو حادثة الثلاثة الذين خلفوا.

**2 . رأي عام دائم أو مستمر:** وهو الذي يتعلق بقضايا الأمة الكبرى، كقضية فلسطين مثلاً.

## المبحث الثاني: مقوّمات الرّأي العامّ، أهمّيّته، مكانته، دوره ومظاهره في الإسلام

### المطلب الأول: مقوّمات الرّأي العامّ في الإسلام

ونقصد بالمقومات الأسس التي يقوم عليها الرّأي العامّ في المجتمع الإسلاميّ ، ويمكن تلخيصها في العناصر الآتية:

#### الفرع الأول: الوحي

أهم مقوّمات الرّأي العامّ الإسلاميّ هو الوحي (القرآن والسنة) وما يتضمنه من أحكام وتوجيهات شرعيّة للمؤمنين لا يتقدمون عنها ولا يتأخرون، وخاصّة في القضايا التي تقع في المجتمع المسلم ولا تجد لها حلاً أو الأسئلة التي تثار ولا تجد لها جواباً ويقع الخلاف والنقاش حولها فينزل

القرآن مبيناً ومجيباً، فينتهي الخلاف وتزول الحيرة ويجتمع المسلمون حول حكم القرآن دون تردّدٍ، قال تعالى: [ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ]<sup>1</sup>، وقال رسول الله ﷺ: ((وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللَّهِ))<sup>2</sup>، وفي رواية: ((تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ))<sup>3</sup>.

"وفي الحقيقة أن القرآن الكريم يأتي على رأس العوامل التي تسهم في تشكيل الاتجاهات الجماهير المسلمة، وإذا كانت كافة العوامل الأخرى التي اتفق عليها الخبراء والباحثون، والتي تتفاعل سويًا لتشكيل هذه الاتجاهات تلعب دورًا مؤثرًا في هذا الصدد إلا أن الأثر الذي تحدّثه هذه العوامل محدود ومحكوم عليه بنظرة الجمهور... فقد ترفض الجماهير أوامر الزعماء القادة، وقد تثور على العادات والتقاليد السائدة في المجتمع، وقد لا تثق فيما تعرضه وسائل الاتصال من أخبار وأفكار ولكنها لن تتجرأ أبداً على إعادة النظر فيما أنزل الله"<sup>4</sup> وذلك لأن "القرآن الكريم يحتل مكانة مقدسة ويتبوأ منزلة سامية في قلوب وعقول جماهير المسلمين، وإذا حدّد القرآن منهجاً معيناً نحو مسألة فإن الرأي العام المسلم لن يقنعه قانونٌ وضعيٌّ، أو حجّةٌ فلسفيّةٌ، أو مرسومٌ ملكيٌّ، أو قرارٌ جمهوريٌّ، إلا إذا انسجم مع ما ورد في القرآن"<sup>5</sup>، والحال نفسه يقال على السنّة النبويّة فهي الرافد الثاني للوحي، وهي الشارحة والمفسّرة والمفصّلة والمقيّدة لما جاء في كتاب الله تعالى، فهما (القرآن والسنّة) الدستور الشامل الجامع لكافة أمور الجماهير، المنظّم لشؤون المسلمين، الذي يحوي كل ما يهم الجماعة المسلمة من عقائد، وفضائل إسلامية، وأحكام عمليّة وقصص الأولين أفراداً وجماعات. وبالتالي فإن هذا الدستور هو الإطار المنظم للسلوك الإنساني في الإسلام، وهو العامل المؤثر في تكوين الاتجاهات العقلية داخل المجتمع المسلم، كما يلعب الدور الفعال في البناء النفسي والروحي والجسمي، ولذلك

<sup>1</sup> سورة الأحزاب، الآية: 36

<sup>2</sup> أخرجه مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج2، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، ص 890، بتقييم: 1218

<sup>3</sup> أخرجه الإمام مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عاقر الأصبحي المدني، موطأ الإمام مالك، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، ج2، (لا.ط، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، سنة: 1406هـ / 1985م)، كتاب

القدر، باب النهي عن القول بالقدر، ص 899، بتقييم: 03

<sup>4</sup> محيي الدّين عبد الحلّيم، الرّأي العامّ في الإسلام، مرجع سابق، ص 168. 169، بتصرف

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 169 - 170

فكل ما جاء به دستور الإسلام المتمثل في القرآن والسنة من عقيدة وشريعة وأخلاق ومعاملات لا يسع الجمهور المسلم إلا التسليم به وقبوله عن رضى وطواعية ولا مجال فيه للجدل والنقاش، لأنه هناك ثقة مطلقة في مصدره ومضمونه<sup>1</sup>. ولذلك فما ورد في القرآن والسنة من أحكام وغيرها لا يطرح أمام الرأي العام للجدل أو النقاش بغية إعادة النظر فيه أو تغييره أو التحوير والتحويل، وإنما يكون الوحي عاملاً أساسياً في توجيه الرأي العام نحو الصواب أثناء إثارة قضية ذات بعد اجتماعي أو سياسي أو فكري أو في أي مجال من مجالات المعاملات المباحة التي تحقق مصلحة عامة للأمة.

### الفرع الثاني: وحدة الدين والعقيدة

العقيدة الواحدة المشتركة بين جميع الشعوب الإسلامية من أهم الأسس لبلورة رأي عام مشترك وخاصة في القضايا المصيرية المتعلقة بقيم الأمة ومبادئها، ورسخ هذا عقيدة الولاء والبراء المستمدة من قوله تعالى: [ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ]<sup>2</sup>

وقوله تعالى: [ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ]<sup>3</sup>

وإن الموقف الموحد لجماهير المسلمين في أصقاع الأرض ضد الصور المسيئة للرسول  $\rho$  الأكبر مثال على ذلك . وكذلك موقف جماهير المسلمين من الاحتلال الصهيوني لفلسطين أو العدوان الصهيوني على غزة... كل ذلك نابع من صميم العقيدة والروح الإسلامية التي تملأ قلوب الجماهير المسلمة .

### الفرع الثالث: وحدة اللغة

<sup>1</sup> انظر المرجع نفسه، ص 166 . 194

<sup>2</sup> سورة المائدة، الآية: 54

<sup>3</sup> سورة النساء، الآية: 144

إن وحدة اللسان العربي يسهل على الشعوب العربية التواصل السريع فيما بينهم وينمّي الشعور بالانتماء لهذا الفضاء العربي مما يجعلهم يتقاربون في الرؤية والمواقف، وهو الأمر الذي سهل وجود تكتلات إقليمية لها أثرها البالغ في بلورة مواقف معينة عبر جملة من الأحداث التي مر بها العالم العربي، "ومما لا شك فيه أن التكتلات الشعبوية الإقليمية كاتحاد الصحفيين العرب، واتحاد المحامين العرب والأطباء العرب والطلبة والعمال والسينمائيين العرب.. إلخ لها هي الأخرى آثارها القوية في التأثير على الرأي العام العربي وبلورته ولا نزال نذكر كيف وقفت كافة الشعوب العربية بشجاعة تساند مصر ضد العدوان الثلاثي عام 1956م، وتقطع أنابيب البترول وإمداداته عن المعتدين، وهو الأمر الذي تكرر بصورة أكثر فعالية في حرب أكتوبر 1973م."<sup>1</sup>

والموقف الموحّد الذي تفقه الشعوب العربية كافة منذ عام 1948م اتجاه العدوان على فلسطين مثل آخر على مدى ترابط الرأي العام العربي، وذلك نتيجة وحدة مقوماته الأساسية.

### الفرع الرابع: الإنسان

إن الوحدة الأساسية في الرأي العام. وفي أغلب القضايا. هي الإنسان. فالإنسان هو الذي يُصدر الرأي، وهو الذي يُنسّق الآراء ويبرمجها، وهو الذي يحكم على الأحداث، وهو الذي يقرّر ولذلك فلا غرو أن تجد الإسلام يركز على الإنسان في الإصلاح والتوجيه، بل إن نزول الوحي وإرسال الرسالات وقيام الدعوات الغاية منه الإنسان، ولذلك كانت منزلته في الإسلام أشرف المنازل ومرتبته أعظم المراتب، ليس لكونه إنسانا فحسب بل لكونه مخلوقا مكلفا أيضا، يقول عباس محمود العقاد: "مكان الإنسان في القرآن الكريم هو أشرف مكان له في ميزان العقيدة وفي ميزان الفكر وفي ميزان الخليقة التي توزن طبائع الكائن بين عامّة الكائنات.. هو الكائن المكلف."<sup>2</sup> وبهذا التكليف تنصب المسؤولية على الإنسان كونه وسيلة وغاية في نفس الوقت، فهو الذي تقوم عليه عمليّة الإصلاح والتّغيير ولأجله أيضا.

<sup>1</sup> مختار التهامي وعاطف عدلي العبد، الرأي العام، مرجع سابق، ص 23

<sup>2</sup> عباس محمود العقاد، الإنسان في القرآن الكريم، (لا.ط، القاهرة، مصر، دار العلوم للطباعة، سنة: 1973م)، ص 21

ولذلك نجد أن اللوم في الانحراف ينصب على الإنسان، يقول تعالى: ( يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)<sup>1</sup> لأن بداية الإصلاح تكون به، ونهايته تكون له، وأنه لا إصلاح للجماعة إلا إذا صلح الفرد، ولا إصلاح للفرد إلا إذا صلح باطنه، لقوله تعالى: ( وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا )<sup>2</sup>. لأن صلاح الدنيا بأكملها لا يتم إلا إذا صلح الإنسان نفسه، لأنه لا معنى لتكديس أشياء الدنيا بين يدي إنسان فاسد، فهو لا يجر إلا لمزيد من الفساد، وهذا شاهد عيان على ما وصلت إليه الحضارة المادية في الغرب "فيقول (فيشر) وهو يعلق على مشاهداته الميدانية في الأرض السوفياتية: ( لقد بدأ فكري يزعجني، وبدأت أتساءل، ألم أكن أعجب الفولاذ والكيلووات، وأنسى الإنسان؟ وأن كل الأحذية والمدارس والكتب والجرارات والضوء الكهربائي والأنفاق الأرضية التي في الدنيا لا تساوي شيئاً إذا كان الجهاز الذي ينتجها فاسداً شريراً.

3"

ولأجل تجنب هذا المصير فإن الإسلام هدف إلى إيجاد الإنسان المؤمن الذي يركز على الفضيلة ويرعاها وينمي مظاهر الخير في المجتمع وينشر الأخلاق والعفة ويلتزم كل ما فيه نفع للغير، ويرفض الانحراف والظلم والتسلط والفساد بكل ألوانه وأشكاله، وهذا الإنسان هو الذي يعول عليه في قيام رأي عامٍ سديد يعمل على تغيير المنكر والتعاون على البر والتقوى ويعمل على توجيه المجتمع إلى التعاون والتآزر والتفاعل مع الواقع تفاعلاً إيجابياً، وانظر إلى النبي ﷺ كيف كان يوجه الرأي العام المسلم أمام حادثة شغلت باله آنذاك: عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي التَّمَارِ<sup>4</sup> أَوَالْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلَّ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا رَأَى مِنْهُمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ حَرَجَ، فَأَمَرَ بِأَلَا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ حَطَبَ فَقَالَ: ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا

<sup>1</sup> سورة الانفطار، الآية: 06

<sup>2</sup> سورة الشمس، الآيات: 10. 07

<sup>3</sup> عماد الدين خليل، الرؤية الإسلامية، ( لا.ط، الدوحة، دار الثقافة، د.ت)، ص 134

<sup>4</sup> (مجتابي النمار): أي لابسها خارقين أو ساطها مقورين، يقال اجتبت القميص أي دخلت فيه، والنمار: جمع نمره وهي ثياب صوف فيها تنمير وقيل هي كل شملة مخططة من مآزر الأعراب كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض، أراد أنه جاءه قوم لابسي أزر مخططة من صوف. ( شرح محمد فؤاد عبد الباقي، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج2، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمر، أو بكلمة طيبة وأنها حجاب من النار، ص 704، برقم: 1017)

رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ<sup>1</sup> إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)<sup>2</sup> وَالْآيَةُ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: (اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ)<sup>3</sup>

تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجُرُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (( مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ ))<sup>4</sup>

### المطلب الثاني: أهمية الرأي العام في الإسلام

يقول عاطف عدلي العبد: " يتفق العلماء والمفكرون والباحثون على أهمية الرأي العام ويؤكدون على الطبيعة المائعة للرأي العام، فهو قوة حقيقية شأنه شأن الريح له ضغط وثقل عظيم لكن لا تراه، وهو كالريح لا تمسك بها ولكنك تحي لها الرأس وتطيع"<sup>5</sup>

ويقول محيي الدين عبد الحلیم مبرزا أهمية الرأي العام : " اعترف العلماء والساسة بأهمية الرأي العام ومكانته الكبيرة في حياة المجتمع البشري بعدما أكد وجوده ودوره المؤثر والفعال في تاريخ الأمم والشعوب، وبعدها أكدت هذه الحقيقة الدراسات العلمیة الحديثة التي أجراها الخبراء والباحثون في حقل الإعلام والاتصالات بالجماهير، والضاربون في ميادين علم النفس الاجتماعي والعلوم السلوكية بل العلوم الاجتماعية بصفة عامة."<sup>6</sup>

<sup>1</sup> سورة النساء، الآية: 01

<sup>2</sup> سورة النساء، الآية: 01

<sup>3</sup> سورة الحشر، الآية: 18

<sup>4</sup> أخرجه مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج2، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو بكلمة طيبة وأنها حجاب من النار، ص 704، برقم: 1017

<sup>5</sup> عاطف عدلي العبد ونهى عاطف العبد، الرأي العام والفضائيات، ( ط: 01، القاهرة، مصر، دار الإيمان للطباعة، توزيع دار

الفكر العربي، 2007م)، ص 09

<sup>6</sup> محيي الدين عبد الحلیم، الرأي العام في الإسلام، مرجع سابق، ص 34

يعتبر الرّأي العامّ قوة ذات أثر كبير في حياة النّاس اليوميّة.. فهو الذي يبني الشهرة ويهدمها. ويؤازر هيئات الخدمة العامّة ويضع القوانين ويلغيها، كما هو الذي يرعى التقاليد الاجتماعيّة والمبادئ الأخلاقيّة أو يتنكر لها، وينفخ في الرّوح المعنويّة أو يُنَبِّطها. وليس غريباً أن يوصف بأنه أكبر قوة عرفها البشر طوال تاريخهم الطويل، وأنه يمثل الإرادة الواحدة للجماعة الإنسانيّة. ويمثّل أيضاً القوّة المعنويّة التي تتحقّق بها الأهداف المشتركة لكل جماعة منها. وإذا تحولت هذه القوّة المعنويّة إلى قوة ماديّة في ظروف معيّنة، أصبحت كالطوفان، واكتسحت أمامها كل شيء ولم تبال بأي شيء. وكون الرّأي العامّ نتاج جمعي، فهو ييسّر تنسيق العمل الذي لا يشترط أن يقوم على الإجماع، أي أن الرّأي العامّ يتجه دائماً نحو اتخاذ قرار رغم أنه لا يتّسم بالإجماع<sup>1</sup>.

ومن هنا نتبين أهميّة الرّأي العامّ في جميع المجتمعات البشريّة، ومنها المجتمع الإسلاميّ بصورة خاصّة، ونلخص أهميّة الرّأي العامّ فيه من خلال العناصر الآتية:

- 1 . يعمل على نشر وحماية الدعوة الإسلاميّة داخل وخارج المجتمع، ولا أدل على ذلك أن المسلمين لم يتعرضوا للاضطهاد بعد الهجرة، بل انتشر الإسلام في ربوع الأرض حتى بلغ مكة نفسها.
- 2 . حراسة المبادئ الإسلاميّة وصيانتها ومساندة القائمين على الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر .
- 3 . استشارة مشاعر الأُمّة للقيام بواجب معين كالجهاد وغيره.
- 4 . الرّأي العامّ في الإسلام بيده الحل والعقد عن طريق ممثليه في مجالس الشورى أو العلماء والقادة.
- 5 . الرّأي العامّ في الإسلام بإمكانه تنصيب الأمراء بالبيعة أو خلعهما إذا أخلّوا بشروطها.
- 6 . يمثل الرّأي العامّ في الإسلام جهازاً رقابياً قوياً على الأفراد والجماعات.
- 7 . حماية المجتمع من انتشار الانحرافات الخلقية والدعوات الهدّامة والغزو الفكري.
- 8 . تقوية الروح المعنويّة للأفراد والشعور بالقوّة والعزّة بانتمائهم للجماعة المسلمة.

<sup>1</sup> انظر الإتحاد العامّ للطلاب السودانيين، تشكيل الرّأي العامّ، مرجع سابق، ص 04 .

9. تحصين الأفراد ضد الانحراف والانحلال الخلقي وتشجيعهم على الطاعة .

### المطلب الثالث: مكانة الرأي العام في الإسلام

من البديهيات المعروفة والتي لم تعد مثارا للجدل والنقاش تميّز الدين الإسلامي بالتكامل، حيث إن هذه الرسالة الخالدة أخذت على عاتقها حياة الإنسان من جميع الوجوه وقامت بصياغة كافة اهتماماته، فلم تترك شيئا يحفل به البشر إلا وتناولته سواء بشكل تفصيلي أو بشكل مجمل، يؤكد ذلك قول الحق جلّ وعلا: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>1</sup> وتنطوي تحت هذا المعنى كافة شؤون الدنيا والآخرة، فالإسلام دين ودولة وليس عبادة ومناسك فقط، وكان الرأي العام أحد الجوانب الحيوية التي تبوّأت مكانة بارزة في الدين الإسلامي وأعطته هذه الرسالة اهتماما كبيرا وعالجت مختلف جوانبه، ولو استعرضنا ما قدمته رسالة الإسلام في هذا الحقل سواء في القرآن الكريم أو في سنة الرسول ﷺ أو في سيرة السلف الصالح، وما أفرزته اجتهادات ودراسات أعلام الفكر الإسلامي، نستطيع أن نقول بأيّ مقياسٍ علميٍّ أن دين الإسلام سبق سائر العلماء والمفكرين والمحدثين، والذين أسهموا بأبحاثهم العلمية المتقدمة في تناوله لشتّى جوانب هذه الدراسات وفي تأكيده لأهمية الرأي العام ومكانته السامية وحقه في الحكم على مختلف الأمور والأحوال، وقد أعزّ الإسلام الرأي العام ورفع منزلته فأعطاه حقّ النظر في سائر الأعمال وتقومها والحكم عليها، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>2</sup> .

وقد كان الله عز وجل يأمر رسوله ﷺ أن يعمل على كسب ثقة الرأي العام والتودد إليه مستخدما في ذلك لين الحديث وسماحة النفس ورقة القلب فيخاطبه قائلا: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ هُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾<sup>3</sup>... ويشبهه محمد عبد الله دراز<sup>4</sup> الرأي العام في

<sup>1</sup> سورة الأنعام: الآية 38

<sup>2</sup> سورة التوبة: الآية 105

<sup>3</sup> سورة آل عمران: الآية 159

<sup>4</sup> محمد عبد الله دراز ( 1894 . 1958 م )، حصل على شهادة الدكتوراه برتبة الشرف العليا من "السوربون" عام 1947م،

اشتغل بالتدريس في "جامعة القاهرة" وفي "دار العلوم" وفي كلية "اللغة العربية" بعد عودته، نال عضوية كبار العلماء عام

1949م، وأهم كتبه: النبأ العظيم، الدين: بحوث ممهدة لتاريخ الأديان. أما بحوثه فأبرزها: الربا في نظر القانون الإسلامي، مبادئ

الإسلام بأنه مثل المحكمة المركزية غير الرسمية في المجتمع، تلك المحكمة المهيبة الجانب ذات التأثير الفعال، ذلك أن الرأي العام قادر على أن يرفع أناسا ويخفض آخرين، وهو صوت الأمة على الرغم من أنه وجودٌ معنويٌّ لا نراه، شأنه في ذلك شأن الضَّغط الجوي الذي لا نراه ولكنه موجود بمعدل ستة عشر رطلا على البوصة المربعة<sup>1</sup> .

### المطلب الرابع: دور الرأي العام في الإسلام

"إذا كان العلماء والساسة في العصر الحديث حددوا مهام الرأي العام بما يقوم به من الضَّغط الاجتماعي على الأفراد والجماعات لالتزام مواقف محدَّدة، والإسهام في دعم الوحدة الاجتماعية أو القوميَّة، كما يعمل على دعم القرارات التي تتخذها القيادة، وصناعة هذه القرارات، ويسهم في حل المشكلات العالقة، واقتراح القوانين والقرارات السياسيَّة التي تحقق المصلحة العامَّة، ومواجهة الأخطار التي تهدد الأمة، واختيار القيادات ذات الكفاءة للوظائف الرسميَّة في الدولة، ومراقبة ما يجري على الساحتين السياسيَّة والاجتماعية"<sup>2</sup>، فإن مهام الرأي العام في الإسلام لا تخرج عن ذلك، بل تزيد عليه بشيء من التفصيل كما يأتي:

### الفرع الأول: رعاية تطبيق الأحكام الشرعيَّة

خوطبت الأمة الإسلاميَّة جميعها بتطبيق الأحكام الشرعيَّة، والخطاب في القرآن في هذا المجال يتناول أفراد الأمة جميعاً. فقوله تعالى في سورة النور مثلاً: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا

القانون الدولي العام في الإسلام. (المصدر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة: <https://ar.wikipedia.org/wiki/> تاريخ

التصفح: 15 مارس 2006م)

<sup>1</sup> انظر محيي الدِّين عبد الحليم، الرأي العام في الإسلام، مرجع سابق، ص 43 . 44 .

<sup>2</sup> سعيد إسماعيل صيني، مدخل إلى الرأي العام والمنظور الإسلامي، ( لا.ط، لا.م، مؤسَّسة الرِّسالة، 2000م )، ص 39 . 40

بتصرف

مِائَةٌ جَلْدَةٌ<sup>1</sup> ﴿ موجّه لكل فرد في الأمة. ونظراً لأن الأفراد لا يستطيعون القيام بهذه المسؤولية متجمعين فلا بد أن يختاروا من يقوم عنهم بهذه المهمة وهو الحاكم أو الإمام فالحاكم في الدولة الإسلامية وكيل الأمة في إقامة أحكام الله المطلوبة منهم جميعاً<sup>2</sup> .

ومن هنا كان للرأي العام سلطاناً في دعوة الحكومة لتطبيق أحكام الله تعالى والتقيّد بها وعدم الخروج عنها إلى قوانين وضعية أو مشاريع مستوردة.

يقول الإمام النسفي في تفسير قوله تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةً

جَلْدَةٌ<sup>3</sup> : "والخطاب للأئمة لأن إقامة الحد من الدين، وهي على الكل إلا أنهم لا يمكنهم الاجتماع فينوب الإمام مناهم"<sup>4</sup> .

### الفرع الثاني: حراسة المبادئ الإسلامية وصيانة قيمتها في المجتمع

ومن هذا المبدأ كانت مسؤولية الأمة عامّة عن حراسة مبادئ الشريعة وقيمتها، وكان الرأي العام في المجتمع الإسلامي ذا سلطان قوي في حراسة هذه المبادئ ورعاية هذه القيم وصيانتها.

وقد وجه القرآن الكريم الأمة الإسلامية ودعاها مجتمعة متعاونة لترفع صوتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومساندة العلماء الذين يقومون بهذه المسؤولية. والأمر بالمعروف يعني الأمر بما قرره الكتاب والسنة من مبادئ وقيم وأحكام للمجتمع، والنهي عن المنكر يعني النهي عما نهى عنه الكتاب والسنة من معاصي تعتبر خروجاً عن المبادئ الإسلامية وقيمتها.

<sup>1</sup> سورة النور، الآية: 02

<sup>2</sup> إبراهيم زيد الكيلاني، الرأي العام في المجتمع الإسلامي، مرجع سابق، ص 250

<sup>3</sup> سورة النور، الآية: 02

<sup>4</sup> عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي أبو البركات ، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرج

أحاديثه: يوسف علي بدوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ج2، ( ط: 01، بيروت، دار الكلم الطيب، 1419هـ/

1998م ) ص 487

قال الله تعالى: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾<sup>1</sup>.

وعن النعمان بن بشير- رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَأَقِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَفْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَمَنْ نُؤَدِّ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا))<sup>2</sup>.

فالرأي العام مدعو هنا للتوجيه وإصلاح الخطأ وإنقاذ نفسه مع إنقاذ المرتكبين للخطأ، إن الحديث الشريف يحذر الجماعة من شعور (اللامبالاة) وعدم الاهتمام بقضايا الجماعة العامة بحجة أن الذين يرتكبون الفساد قوم غيرهم.<sup>3</sup>

والمسلم مدعو للجهاد والتضحية في سبيل نصره أحكام الشريعة إذا انتهك حرمتها حاكم ظالم. عن جابر- رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: (( سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه، فقتله ))<sup>4</sup>.

إن الجمع بين حمزة بن عبد المطلب- رضي الله عنه- الذي أبلى بلاء حسناً في قتال المشركين والتكامل بهم حتى قضى شهيداً في غزوة أحد، وبين من جهر بكلمة الحق في وجه إمام ظالم، يصلنا بطبيعة المعركة التي خاضها حمزة- رضي الله عنه- في وجه الجاهلية وظلمها، ويجوضها إخوان حمزة في طريق العمل لاستئناف الدولة الإسلامية، أو في مواجهة محاولات الظالمين لإبعاد أحكام الشريعة عن

<sup>1</sup> سورة آل عمران، الآية 104

<sup>2</sup> أخرجه البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج 3، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، ص 139، بترقيم: 2493

<sup>3</sup> انظر: إبراهيم زيد الكيلاني، الرأي العام في المجتمع الإسلامي، مرجع سابق، ص 251-252

<sup>4</sup> عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ج 3، ( ط: 01، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1417هـ)، كتاب الحدود وغيرها، الترغيب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص 158، بترقيم: 3483. قال: زوارة الترمذي والحكيم وقال صحيح الإسناد.

التطبيق بالتدرج وبالوسائل المختلفة. إن ظهور أمثال هؤلاء الرجال في ساحات المجتمع الإسلامي ومواجهة أعداء الشريعة من شأنه إلهاب مشاعر الجماهير المسلمة وإضاءة الطريق أمام الرأي العام ليقول كلمته ويتحمل مسؤوليته

### الفرع الثالث: الرأي العام ودوره في مقاطعة مجالس المنكرات

وتتجلى حراسة الرأي العام في المجتمع الإسلامي لمبادئ الشريعة وقيمها بالحكم الشرعي الذي يأمر الجماعة المسلمة وكل فرد مسلم بمقاطعة مجالس المنكرات، والأماكن التي يُعصى فيها الله، والمحافل التي يُستهزأ فيها بدين الله، قال تعالى:

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا <sup>1</sup> . إن المسلم مدعو إذا لم يستطع أن يغير المنكر بيده ولسانه، أن يغيره بقلبه والتغيير بالقلب ليس حركة انفعالية نفسية ولا تظهر أثراً إيجابياً في إزالة المنكر، بل هي حركة انفعالية نفسية عملية تساعد على التغيير بالانسحاب من مجلس يُعصى فيه الله، وهذا ما عبر عنه النبي ع في حديث له: (( مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ ))<sup>2</sup>.

### الفرع الرابع: رفع الروح المعنوية للأمة وتقوية أواصرها

من أهم وظائف الرأي العام في المجتمع الإسلامي رفع الروح المعنوية عند الجماهير التي تكوّننه، لأن وحدة الجماعة المسلمة على رأي واحد من شأنه أن يبرز قوة هذه الجماعة وتعاونها، ويعطيها الزّاد والقوة على تحقيق أهدافها مهما بلغت التكاليف، حيث وضع القرآن الكريم القاعدة المباركة لوحدة الجماعة المسلمة على الهدف الكريم بقوله: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ

<sup>1</sup> سورة النساء . الآية 140

<sup>2</sup> أخرجه مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج1، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، ص 69، بتقييم: 49

وَالْعُدْوَانِ ﴿١﴾ . وبقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانًا مَرْصُوصًا ﴾<sup>2</sup> . وبقوله ع: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ، وَتَرَاحِمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى))<sup>3</sup>

ويظهر أثر هذه التربية الإيمانية للجماعة المسلمة في وحدتها وتآلفها، في وقوفها في وجه المحن والشدائد صفاً واحداً، ومن أبرز الأمثلة على ذلك في تاريخ الإسلام خروج المسلمين، في اليوم التالي لغزوة أحد، للثأر من عدوهم، ومسح آثار مصيبتهم، وهذا ما عبر عنه القرآن بقوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾<sup>4</sup>

لقد حرص الإسلام على دعم أهدافه بسلطة الرأي العام، وإيجاد روح التعاون بين أبناء الأمة الإسلامية، والتقارب بين فئات الشعب، لتتوحد اتجاهاتها، وتسيطر على مبدأ أساسي في حياة الأمة، وهو الاتفاق على الأهداف، وهذا الاتفاق يؤدي حتماً إلى نجاح الأمة في بلوغ غايتها وتحقيق أمانيتها.<sup>5</sup>

### الفرع الخامس: استثارة مشاعر الأمة للقيام بواجب معين

في كل مسجد جامع منبرٌ وظيفته مخاطبة الرأي العام كل أسبوع يدعو إلى واجب أو يحذر من أمر، أو يبصره بقضية لها أهميتها في حياته.

لقد سنَّ رسول الله ﷺ للأمة كيف تكون يداً واحدة في مواجهة الأحداث، يأخذ قوبها بيد ضعيفها، وغنيها بيد فقيرها، وأنه من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

والدارسون لسيرة رسول الله ﷺ وسير الخلفاء الراشدين والتابعين لهم بإحسان، نجد أن النبي الكريم ﷺ كان يدعو المسلمين إلى المسجد عند كل حدث مهم يخبرهم به، أو واجب يدعوهم إليه، حين يوجه الحملات للجهاد، فيدعو إلى البذل والنفقة، كما يدعو إلى المشاركة بالجهاد.

<sup>1</sup> سورة المائدة، الآية: 02

<sup>2</sup> سورة الصف، الآية: 02

<sup>3</sup> سبق تخرجه.

<sup>4</sup> سورة آل عمران، الآية: 172

<sup>5</sup> انظر: إبراهيم زيد الكيلاني، الرأي العام في المجتمع الإسلامي، مرجع سابق، ص 257 - 258.

وحيث يرى طائفة من المسلمين تعاني ضائقة مالية فيدعو المسلمون إلى مساعدتهم وكذلك كان الصحابة- رضوان الله عنهم- فأبوبكر- رضي الله عنه- يوجه الجيوش لفتح الشام والعراق، وكلما دعا الداعي لإمداد جيش وجه النداء للأمة وندبها إلى الخروج مع هذا القائد أو تلك الحملة. وفي تهيئة الأمة لقبول حكم معين كان الخليفة يوم الجمعة يعلن في الناس ويمهد لقراره ويقنع الجماهير به، ففي مسألة تحديد المهوور استشار عمر الناس في المسجد فردت عليه امرأة رأيه بالآية الكريمة: ﴿وَأْتَيْتُمُ إِخْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾<sup>1</sup>. فأعلن رجوعه عن رأيه

وقال: "اللهم، غفراكل الناس أفاقه من عمر، أخطأ عمر وأصاب امرأة"<sup>2</sup>. وفي الصورة المقابلة نجد خطبة الجمعة التي من شأنها أن تعالج قضايا الأمة يعرضها أولوا الأمر من العلماء والحكام لتقوم بتهيئة الرأي العام لقبول القرار الذي ستتخذه الدولة أو رفضه بمناقشته وبيان مدى تحقيقه لأهداف الشريعة ومقاصدها<sup>3</sup>.

### المطلب الخامس: مظاهر الرأي العام في الإسلام

يمكن أن نلاحظ مظاهر الرأي العام في الإسلام من خلال جملة من القيم التي سنها للمجتمع المسلم، وهي تدل دلالة واضحة على مدى حرصه على المحافظة على الرأي العام واستمراره خاصة حول القضايا المصيرية، ومن هذه المظاهر:

### الفرع الأول: التزام الجماعة وعدم الخروج عليها

إذا تعارضت مصلحة الجماعة مع مصلحة الفرد فإن مصلحة الجماعة أولى، وكذلك الحال في الرأي، فإن رأي الجماعة مقدم على رأي الفرد، بل إن رأي الفرد المخالف للجماعة يعتبر شذوذاً

<sup>1</sup> سورة النساء، الآية: 20

<sup>2</sup> محمد رشيد رضا، حقوق النساء في الإسلام وحظهن من الإصلاح المحمدي العام، تعليق محمد ناصر الدين الألباني، (لا.ط،

لا.م، المكتب الإسلامي، 1984م)، ص 13

<sup>3</sup> انظر إبراهيم زيد الكيلاني، الرأي العام في المجتمع الإسلامي، مرجع سابق، ص 259.

ودليل ذلك: عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّبُّ الْقَاصِيَةَ))<sup>1</sup>

بل أكثر من ذلك اعتبر الإسلام الشخص الذي يخرج برأيه عن رأي الجماعة المتفق عليه خروج عن الإسلام، فعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ))<sup>2</sup>

### الفرع الثاني: التكافل الاجتماعي

التكافل الاجتماعي مظهر بارز من مظاهر سيادة الرأي العام في المجتمع الإسلامي، والمحافظة على الترابط والتواصل بين أفرادها بغض النظر عن مستوياتهم وفئاتهم وانتماءاتهم ليكونوا لحمة واحدة، وقد حث النبي ﷺ على ذلك في عدة أحاديث منها قوله عليه الصلاة والسلام: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى))<sup>3</sup>

" فإن التكافل الاجتماعي في الإسلام ليس مقصوراً على النفع المادي وإن كان ذلك ركناً أساسياً فيه، بل يتجاوزها إلى جميع حاجات المجتمع أفراداً وجماعات، مادية كانت تلك الحاجة أو معنوية أو فكرية على أوسع مدى لهذه المفاهيم، فهي بذلك تتضمن جميع الحقوق الأساسية للأفراد والجماعات داخل الأمة."<sup>4</sup>

### الفرع الثالث: العبادات الجماعية

<sup>1</sup> أخرجه أبوداود، أبوداود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السنجستاني (المتوفى: 275هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج1، (لاط، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، د.ت) كتاب الصلاة، باب التشديد في ترك الجماعة، ص 150، بترقيم: 547

<sup>2</sup> أخرجه أبوداود، المرجع نفسه، ج4، كتاب السنة، باب في قتل الخوارج، ص 240، بترقيم: 4758

<sup>3</sup> سبق تحريجه.

<sup>4</sup> عادل الصعدي، مقال: التكافل الاجتماعي، نشر بموقع جامعة الإيمان باليمن،

(<http://www.jameataleman.org/main/>)، بتاريخ: الأحد 27 يناير 2013. تاريخ التصفح: 03 / 29 /

من أبرز شعائر الإسلام: العبادات، ومن حكمة الله تعالى أن جعلها تؤدَّى بصورة جماعية وفي موسم موحد بدءاً من الصلوات الخمس في المسجد، أين " يلتقي أبناء الحي وتدور بينهم المناقشات حول قضاياهم الاجتماعية والاقتصادية التي من شأنها أن توحد رأيهم وتجمعهم على طريق سواء. "1 ثم الزكاة التي يجمعها وليُّ الأمر من جميع المسلمين القادرين في موسم واحد، وكذلك الصوم والحج، ليشكل رأياً عاماً واحداً لا يستطيع أحد مهما أوتي من نفوذ أو قوّة أن يشقّه أو يزعزعه .

فالعبادات الجماعية مناسبات يلتقي فيها أفراد المجتمع ليتشاوروا ويتناقشوا في قضايا الساعة التي تمم المجتمع والأمة ويقبلوا حولها الآراء، ويؤثر بعضهم على بعض، ومنه يتبلور رأي عام حول القضايا المثارة، أو يتم توجيهه و التأثير فيه.

## المبحث الثالث: عوامل وأساليب تكوين الرّأي العامّ في الإسلام

### المطلب الأول: عوامل تكوين الرّأي العامّ في الإسلام

#### الفرع الأول: الحرّية أساس الرّأي العامّ

##### 1. معنى الحرّية عند العرب:

جاء في لسان العرب: " الحرّ نقيض العبد، والحرُّ من النَّاسِ: أختيارهم وأفاضلهم. وحرّية العَرَبِ: أشرفهم، والحر من كل شيء أعتقه أي أكرمه وأجوده وأحسنه، وتحرير الولد: أن يفرده لطاعة الله، كما في قول امرأة عمران: ( إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا<sup>2</sup>) " والحرّة الكريمة من النساء. "3

ومن خلال ما ورد في لسان العرب يتبين لنا أن معاني الحرّية تدور حول؛ تحرير الإنسان من عبودية أخيه الإنسان، وتحريره من عبوديته لغير الله تعالى، وتحريره من التذلل والخنوع لغيره<sup>4</sup> فهذه هي الحرّية في لغة العرب وليس منها دعوة إلى الانحلال والتحلل من القيم الأخلاقية، ولا يصدق على من يدعو

<sup>1</sup> إبراهيم زيد الكيلاني، الرأي العام في المجتمع الإسلامي، مرجع سابق، ص 246

<sup>2</sup> سورة آل عمران، الآية: 35

<sup>3</sup> انظر ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج 4، ص 181-182 .

<sup>4</sup> انظر حاكم المطيري، تحرير الإنسان وتجريد الطغيان، (لا.ط، لا.م، لا.ن، 1427هـ / 2007م)، ص 358

إلى قبول الظلم والجور، أو يدعو إلى الخنا والفجور بأنه يدعو إلى الحرّية<sup>1</sup> فللحرّية عند العرب معنى يختلف اختلافا جذريا عن معناها في الثقافة الغربية التي تشيع اليوم.<sup>2</sup>

## 2. معنى الحرّية في الإسلام:

لا يمكن للرأي العام أن يتشكل أو يظهر جليا ويكون له التأثير في واقع الناس إلا في جو من الحرّيات بكل معانيها، لذلك احتفى الإسلام بالحرّية الفرديّة والاجتماعية، "وقد أرسى القرآن مبدأ ( لا إكراه في الدين )<sup>3</sup> ليؤكد مبدأ الحرّية بجميع صورها، فإذا كان الله عز وجل لا يكره عباده على الإيمان به وطاعته، فكيف يُتصور أن يكره عباده على الخضوع والطاعة لغيره من البشر ؟ ! وهذا معنى كلمة ( لا إله إلا الله )<sup>4</sup>، إذن فأصل الحرّية في الإسلام تبدأ من أصل العقيدة والإيمان ألا وهي كلمة التوحيد .

## 3. الحرّية في عهد النبوة:

" تجلت الحرّية في أوضح صورها في عهد النبيّ ع، فقد كان معه في المدينة من كان يضمّر العداوة له ع ويكيده بالمنافقين في المدينة، وكان يعرفهم ولم يتعرض لهم، وقد نزل قوله تعالى في شأن زعيمهم عبد الله بن أبيّ بن سلول: ( يَقُولُونَ لِنَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ )<sup>5</sup> وهذا عزم على إسقاط الدولة الإسلاميّة وإخراج النبيّ ع من المدينة، ومع ذلك لم يتعرّض له النبيّ ع بشيء بل قال بعد أن بلغه هذا الخبر عن بن أبيّ بن سلول وأراد بعض الصحابة قتله: (( لا بل نحسن صحبته )) وقال: (( لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ))<sup>6</sup> "7، وهذا يدل دلالة واضحة على مدى الحرّية التي كان يتمتع بها أفراد المجتمع المسلم في عهد النبوة، وإلا لما كان أحد يستطيع أن يتناول على شخص رسول الله ع بالأذية والسوء دون أن يصيبه مكروه من أحد .

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 359

<sup>2</sup> انظر المرجع نفسه، ص 358

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية: 256

<sup>4</sup> حاكم المطيري، الحرّية أو الطوفان، ( ط: 02، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1429هـ / 2008م ) ص

45

<sup>5</sup> سورة المنافقون، الآية 08

<sup>6</sup> أخرجه البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج6، كتاب تفسير القرآن، باب قَوْلِهِ: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ

تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) [المنافقون: 6]، ص 154، بترقيم: 4905

<sup>7</sup> حاكم المطيري، الحرّية أو الطوفان، مرجع سابق، ص 47

## 4 . الحريّة في عهد الخلافة الرّاشدة:

ومن الحريّات التي كفلها الإسلام للنّاس الحريّة السياسيّة التي تتجلّى في المعارضة الفرديّة والجماعيّة لبعض سياسات ومواقف الخلفاء والأمراء، "وإذا كانت المعارضة الفرديّة لسياسة الخلفاء هي الأبرز في عهد أبي بكر وعمر . رضي الله عنهما .، فقد دخل العمل السياسيّ والمعارضة السياسيّة طورا جديدا، وأخذ بعدا أكثر تنظيما في عهد الخليفين عثمان وعلي . رضي الله عنهما .، فقد بدأت المعارضة تأخذ طابعا جديدا، حيث ظهرت جماعات منظمة معارضة لسياسة عثمان . رضي الله عنه . وقد بدأت في البصرة والكوفة ومصر، ثم أصبحت أكثر انتشارا، و استطاعت أن تستقطب إلى صفوفها بعض الصحابة كعمار . رضي الله عنه . الذي أرسله عثمان . رضي الله عنه . لمعرفة أخبار هذه المعارضة في مصر فانظّم إلى صفوفها ."<sup>1</sup> ومع ذلك كله لم يتخذ عثمان . رضي الله عنه . أي إجراء ردعيّ أو استبداديّ من شأنه أن يقمع هذه المعارضة أو يحدّ من نشاطها، بل العكس حاورهم ونقاشهم واستمع إلى مطالبهم واستجاب لهم، وبقي الحوار بينهم متوصلا في إطار السّلم بعيدا عن الصّدام المسلّح .

"وإذا كانت المعارضة الجماعيّة للسلطة في عهد عثمان محدودة في مجموعات محصورة في مصر والكوفة والبصرة، فقد تطور الوضع في عهد الخليفة الرابع الراشد علي بن أبي طالب . رضي الله عنه . إذ حدثت المعارضة له داخل المدينة نفسها، وهي عاصمة الدّولة الإسلاميّة ، وقادها نفر من كبار الصحابة . رضي الله عنهم . وهم: طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ... وآزرتهم عائشة . رضي الله عنهم . ومجموعة من الصحابة لتدخل المعارضة طورا جديدا، فقد جاءوا إلى علي . رضي الله عنه . بعد أن تمت له البيعة فقالوا: ( يا علي ! إنا قد اشتربنا إقامة الحدود، وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم عثمان ) فقال لهم: ( كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم )"<sup>2</sup> وهذا يبين أن كفة الرّأي العام بدأت تميل نحو المعارضة، وأن عليا . رضي الله عنه . لا يجذب مواجعتهم في الوقت الحالي بل طلب تأجيل إقامة الحدود على الجناة حتى تستقر الأمور<sup>3</sup> .

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 49 . 50

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 53

<sup>3</sup> انظر: الحافظ عماد الدّين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي،

ج10، ( ط: 01، لا.م، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1997م)، ص 426

" لقد تطور النزاع بعد ذلك، وتمخض عن ظهور حزبين رئيسيين يتقاسمان الدولة الإسلامية : حزب علي وشيعته من أهل العراق، وحزب معاوية وشيعته من أهل الشام، بينما اعتزل أكثر الصحابة في المدينة كلا الحزبين، ولقد أدرك كلا الحزبين أن القتال لا خير فيه للأمة، وأن الحل هو في التحاكم إلى الكتاب والسنة، وجعل الأمة حكما فيما بينهما، تختار من تشاء وتعزل من تشاء، فاختار أهل العراق أبا موسى الأشعري واختار أهل الشام عمرو بن العاص، على أن ينظرا في الأمر فما حكما فيه فالأمة أنصار لهما على الذي يقضيان عليه<sup>1</sup> .

كل ذلك يؤكد مدى الحرّية السياسيّة التي كان يتمتع بها المسلمون في إطار المجتمع الإسلاميّ في مرحلة الخلافة الراشدة، وهي جزء من الحرّيات العامّة الفرديّة والجماعيّة التي أقرّها الإسلام وكان المسلمون يفقهونها ويمارسونها واقعياً، وهذه الحرّية انعكست على مواقف واتّجاهات الرّأي العامّ أمام تصرفات الحاكم ومحاوله توجيهه ونصحه بل ومعارضته سلمياً بكل وضوح وشجاعة دون خوف من انتقام أو اضطهاد، ولم يستطع خليفة منهم أن يصادر رأيهم أو يحدّ من حرّيتهم .

### 5 . الحرّية والرّأي العامّ في الإسلام

يقول حاكم المطيري: "لم يعرف المسلمون في تاريخهم حروب الاضطهاد الدّيني أو استئصال الطوائف المخالفة في الرّأي كما حدث في أوروبا لرسوخ مبدأ الحرّية بمفهومه الشمولي منذ عصر الخلفاء الراشدين<sup>2</sup>

ويؤكد ذلك محيي الدّين عبد الحلّيم بقوله: " مما يؤكّد أن الإسلام يحفل كثيرا بالرّأي العامّ ويعطيه أهميّة كبيرة ومكانة سامية أن الإسلام كفل لكل مسلم أن يقول رأيه بصراحة، ويبيدي وجهة نظره دون خوف من شيء... فليس في الإسلام قيد على الحرّية ولا كبت للرّأي، ولا إجبار على السكوت... ولكل مسلم أن يتحدّث بما شاء سواء أخذ برأيه أو لم يؤخذ... وسواء أكان رأيه خطأ أم صوابا

3"

ومن هنا نؤكد على الحرّية كأساس لبلورة إتّجاه الرّأي العامّ، لأن الاستبداد والتضييق والاضطهاد لا يعمل إلا على كبت وإضماره ومن ثمّ اضمحلال المجتمع وتحجيم دوره في بناء الحياة السياسيّة والاجتماعية والاقتصادية، بل ووقوفه مواقف سلبية إتّجاه كل مساعي السّلطة السياسيّة، ومن ثمّ

<sup>1</sup> حاكم المطيري، الحرّية أو الطوفان، مرجع سابق، ص 54

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 62

<sup>3</sup> محيي الدّين عبد الحلّيم، الرّأي العامّ في الإسلام، مرجع سابق، ص 44

يُحصل الانفصال بين الاتجاهين ( الرأى العامّ والسُّلطة ) الأمر الذي يؤدّي إلى الجمود والتقهقر إذا لم يؤدّ إلى التصادم والفتنة.

## الفرع الثاني: الشورى والرأى العامّ

### 1 . مفهوم الشورى في الإسلام:

إن مفهوم الشورى في الأمور العامّة المتعلّقة بمصالح الأُمَّة السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة لا تعدو أن تكون: "استطلاع رأي الأُمَّة أو من ينوب عنها في الأمور العامّة المتعلّقة بها"<sup>1</sup> وتعني أيضاً: "تقليب أوجه الرأى والنظر في مختلف المسائل والقضايا المطروحة... حتى تصل الجماهير باتجاهاتها إلى رأي من الآراء تتفق عليه الجماعة المسلمة وتؤيده وتبناه الأقلّيّة كما تتبناه الأغلبيّة بعد مناقشة وحوار وذلك عن رضا واقتناع"<sup>2</sup>، وهناك من يحصر مفهوم الشورى في الجوانب الشرعيّة فقط فيقول: "أما الشورى في الإسلام فإنها لاتعدو أن تكون استطلاع رأي فرد أو فريق من النَّاس في تفسير حكم شرعي أو فهمه أو اجتهاد في أمر من الأمور في ضوء التشريع الإسلاميّ وفي حدود أصوله وقواعده."<sup>3</sup> وإذا نظرنا إلى مفهوم الشورى - سواء المتوسع فيها أو المضيق - نجدها لا تخرج عن أمرين: إما استطلاع الرأى العامّ ومعرفة موقفه اتجاه قضية من القضايا المطروحة، وإما العمل على بلورة موقف هذا الرأى العامّ وفق المنظور الشرعي .

### 2 . مشروعيّة الشورى:

والشورى في الإسلام مبدأ شرعي متفق عليه دلت عليه النصوص الشرعيّة وإجماع العلماء، قال تعالى: ( فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ )<sup>4</sup>

<sup>1</sup> عبد الحميد اسماعيل الأنصاري، الشورى وأثرها في الديمقراطية، ( ط: 03، صيدا، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، 1980م)

ص 04

<sup>2</sup> محيي الدّين عبد الحليم، الرأى العامّ في الإسلام، مرجع سابق، ص 67

<sup>3</sup> فتحي يكن، مشكلات الدعوة والداعية، ( ط: 06، لا.م، مؤسّسة الرّسالة، 1996)، ص 180

<sup>4</sup> سورة آل عمران، الآية: 159

يقول سيد قطب . رحمه الله .: " بهذا النص الجازم ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ يقرر الإسلام هذا المبدأ في نظام الحكم حتى ومحمد رسول الله ﷺ هو الذي يتولاه، وهو نص قاطع لا يدع للأمة المسلمة شكاً في أن الشورى أساس لا يقوم نظام الإسلام على أساس سواه"<sup>1</sup>

وقال تعالى: ( وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ )<sup>2</sup>

قال ابن كثير: " أي: لا يبرمون أمراً حتى يتشاوروا فيه، ليتساعدوا بأرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها"<sup>3</sup>

"وقال ابن العربي: الشورى ألفة للجماعة ومسبار للعقول وسبب إلى الصواب، وما تشاور قوم إلا هدوا."<sup>4</sup>

فالقرآن جاء ناطقاً بمشروعية الشورى كنظام من أنظمة الحكم التي جاء بها الإسلام، وأمر بها جميع المسلمين ولم يستثن أحداً حتى رسول الله ﷺ، ولذلك كان عليه الصلاة والسلام أكثر الناس حرصاً على إقامة هذا المبدأ وتعميمه بين المسلمين، فعن أبي هريرة . رضي الله عنه . أنه قال:

(( ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من النبي ﷺ ))<sup>5</sup>، ومن ذلك: مشاورته . عليه الصلاة والسلام . في بدر حول صلاحية أرض الميدان وموقع النزال عسكرياً، فأشار عليه حباب بن المنذر، وأخذ برأيه<sup>6</sup>. كما شاور النبي ﷺ يوم أحد في المقام والخروج، فرأى الأغلبية الخروج، فأخذ برأيهم وترك رأي الأقلية رغم أن فيهم شيوخ الصحابة عليهم الرضوان<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، ج1، ( ط: 17، بيروت، القاهرة، دار الشروق، 1412 هـ)، ص 501

<sup>2</sup> سورة الشورى، الآية: 38

<sup>3</sup> إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ج7، ( ط: 03، لا.م، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999 م )، ص211

<sup>4</sup> محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، أبو عبد الله، الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق هشام سمير البخاري، ج16، ( لا.ط، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار عالم الكتب، 2003 م )، ص37

<sup>5</sup> أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، ج4، أبواب الجهاد، باب ما جاء في المشورة، ص 213، بترقيم: 1714، قال الألباني: ضعيف

<sup>6</sup> انظر المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 231.230

<sup>7</sup> انظر المرجع نفسه، ص 267

هذا وإن "مسألة مشروعية الشورى قام عليها إجماع الصحابة بعد الكتاب والسنة... وقد ظلت الشورى سمة واضحة لنظام الحكم في جميع عهود الخلفاء الراشدين... بل إنه لا يكاد يبرم أمر إلا بعد التشاور، وكان ذلك في جميع الأمور." <sup>1</sup> الأمر الذي يؤكد لنا مكانة الشورى وأهميتها في الإسلام.

### 3. أهمية الشورى في الإسلام:

ومما تقدم من أدلة شرعية يتبين لنا أن الإسلام يؤكد على أهمية الشورى وضرورة الرجوع إلى الرأي العام "ولم يستثن من ذلك أحدا حتى رسول الله ﷺ ذلك أن الله تبارك وتعالى كان يعلم أن خير وسيلة لتربية الأمم وإعدادها أن تربي بالشورى وأن تدرّب على حمل التبعة حتى وإن تمخض عن تطبيق هذا المبدأ أخطاء جسيمة أو نتائج مريرة، فالهدف هو خلق أمة مدرّبة مقدّرة للتبعات الملقاة على عاتقها" <sup>2</sup> وكان هذا ديدن رسول الله ﷺ والخط الذي سار عليه طوال حياته "وكان في كثير من الأحيان يأخذ برأي من يشاورهم وإن اختلف مع رأيه، وقد كان من الممكن أن يوحى إلى الرسول ﷺ بالرأي الصائب فيفرضه على الناس في جميع الأمور دون الرجوع إلى الرأي العام والاستعانة بمشورته، ولكن الله أراد أن يكون مبدأ الشورى هو المبدأ العام في النظام السياسي والاجتماعي للأمة فجعل من الرسول ﷺ المثل والقُدوة للجماهير المؤمنة لينهجوا نهجه ويسيروا على منواله في احترام الرأي العام وتقديره ومشاورته في مختلف الأمور المسموح له بالتشاور فيها." <sup>3</sup> وبذلك لا يبقى لأحد عذر في ترك الشورى أو تجاوز الرأي العام مهما كانت منزلته أو شأنه في هذه الأمة.

### 4. نظام الشورى وأساليب التعبير عن الرأي العام:

بالرغم من أن الإسلام أوجب الشورى وجعلها عنصرا أساسيا لتكوين الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمسلمين إلا أنه لم يحدد لها شكلا منضبطا ولا كيفية متبعة، وإنما ترك ذلك للرأي العام بما تتطلبه متغيرات الزمان والمكان. "وهذا يوضح لنا النظام المتميز للإسلام في مفهومه للرأي العام ولمبدأ الشورى الذي عالج قواعده تاركا لعقول المسلمين وأفهامهم وضع تفصيلاته الجزئية حسب ظروف حياتهم ومصالحهم وما تفرضه متطلبات حياتهم ومتغيرات العصر الذي يعيشون فيه، ومما لا شك فيه أن هناك صورا كثيرة وأشكالا متعدّدة لنظام الشورى، ونعتقد أن أي نظام لا يتنافى مع روح

<sup>1</sup> محمود الخالدي، نظام الشورى في الإسلام، مرجع سابق، ص 29 بتصرف .

<sup>2</sup> محيي الدّين عبد الحلّيم، الرّأي العامّ في الإسلام، مرجع سابق، ص 48

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 48

الإسلام جائز تطبيقه مادام يأتي منسجما مع جوهر هذا الدين<sup>1</sup>، ولو تتبعنا الوقائع التاريخية سواء في عهد الرسول ﷺ أو في عهد الخلفاء الراشدين لما وجدنا نمطا محددًا للشورى، وإنما كان بحسب ما تتطلبه المواقف والأحداث، فأحيانا كان رسول الله ﷺ يكتفي بمشورة فرد واحد ويعمل به كما هو الحال في مشورة حباب بن المنذر في غزوة بدر، وأحيانا يجمع الصحابة وكل من له رأي أو اهتمام بالحدث ويستشيرهم جميعا ويأخذ برأي الأغلبية كما هو الحال في غزوة أحد، وهكذا كان درب الخلفاء الراشدين من بعده "وكان الإسلام أراد أن لا يشقّ على المسلمين ويضعهم في نظام واحد يلتزمون بقواعده ونصوصه لتحقيق مبدأ الشورى، أو حتى يضع لهم عددا من الأشكال يختارون لها ما تقتضيه ظروفهم الزمانية والمكانية، ولكن الإسلام ترك للمسلمين حرية الاختيار في وضع النظام الذي يناسبهم والشكل الذي يلي احتياجات مجتمعاتهم والتمط الذي ينسجم مع الوضع الاجتماعي الذي يعيشون فيه"<sup>2</sup>، ويعكس بشكل جلي عن مواقف واتجاهات الرأي العام الإسلامي.

### 5. أهل الشورى وأهل الرأي:

كما أن الإسلام لم يحدّد شكلا معيّنًا لنظام الشورى وترك ذلك للمسلمين وما تتطلبه ظروفهم الزمانية والمكانية، فإنه لم يحدد أيضا الأشخاص الذين تخصّصهم الشورى بشكل دقيق، وإنما ترك ذلك بحسب طبيعة موضوع الشورى واختيار الحاكم مع مراعاة الشروط الشرعية والعلمية لأهل الشورى إذا كان الموضوع ذا طبيعة علمية أو شرعية، أما إذا كان موضوعا عاما يهتم عامة الناس بالحرب وغيرها فإن الحاكم مطالب بأن يشاور جميع من يهّمه الأمر من عامة المسلمين، وقد قال القرطبي في تفسيره: " قال ابن خويز منداد: واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون، وفيما أشكل عليهم من أمور الدين، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح، ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها."<sup>3</sup> وبالتالي فإنه لم يكن في الصدر الأول للإسلام مجالس شورى منتخبة أو مجالس مؤلفة لهذا الغرض، ولم يخصّص الرسول ﷺ ولا الخلفاء من بعده أناسا معيّنين لمشاورتهم، "وإنما كانوا يأخذون برأي الخبراء بالأمر، أو أصحاب النظر الثاقب، وذوي الرأي الثاقب الذين يتحرون المصلحة العامة ولا يجيدون عن الكتاب والسنة أو الإجماع ... فلم تحدد

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 77

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 78

<sup>3</sup> القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج 4، ص 250

الشريعة الإسلامية أهل الشورى تحديدا واضحا ولم تبين شروطهم بيانا شافيا يميزهم عن سواهم.<sup>1</sup> ومع ذلك فقد ذكر العلماء جملة من الشروط التي ينبغي أن تتوفر في أهل الشورى حتى تؤتي المشاورة ثمرتها المرجوة وتحقق بها المصلحة، منها<sup>2</sup>:

- . العقل التام والتجربة السابقة .
- . الدين والتقوى والبعد عن الغرض والهوى .
- . النصح والمودة وسلامة الفكر .
- . العدالة: وهي اجتناب الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر .
- . العلم الذي يتوصل به إلى معرفة الرأي الصائب في موضوع المشورة .
- . الرأي والحكمة .

"ونخلص من ذلك إلى أن أهل الشورى في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين كانوا كبار الصحابة الذين كانوا يمثلون أقوامهم ويحظون بثقتهم، إلا أنه كانت توجد بعض المسائل التي تهم الناس مباشرة، وهذه لا بد من معرفة رأي جمهور الحاضرين فيها وقت المشاورة وهناك مسائل أكثر عمومية تعرض على الجمهور كافة."<sup>3</sup> ويمكن أن نميز ثلاث درجات من الشورى في هذه الفترة هي:

- 1 . المسائل الفنية الخالصة وهذه تتطلب الرجوع فيها إلى المتخصصين كل فيما يخصه .
- 2 . المسائل التشريعية العامة، ويؤخذ فيها برأي أهل الشورى المكون من كبار القوم المتفهمين في هذه الأمور .

3 . المسائل الأكثر عمومية وشمولا كاختيار الحاكم وإعلان الحرب وغير ذلك من القضايا العامة التي تحتاج إلى معرفة رأي الناس جميعا عن طريق استفتاء عام<sup>4</sup>. وهكذا فإن معرفة التفاصيل في هذه المسائل التي تكون محل الاستشارة تسهل على أولي الأمر معرفة أهل الرأي فيها الذين ينبغي اختيارهم لمهمة الشورى .

### 6 . الفرق بين الشورى والرأي العام:

هناك من يرى بأن الشورى تختلف عن الرأي العام في عدة جوانب أهمها:

<sup>1</sup> محيي الدين عبد الحلیم، الرأي العام في الإسلام، مرجع سابق، ص 83، بتصرف .

<sup>2</sup> انظر المرجع نفسه، ص 83 . 84

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 84

<sup>4</sup> انظر المرجع نفسه، ص 84

أ. " أن الرأي الذي يسهم في تكوين الرأي العام على المستوى الشعبي رأي تلقائي في الغالب ويميل إلى أن يكون عاطفياً... ولا يحتاج الفرد الذي يسهم به إلى مؤهلات خاصة سوى أن يدرك ما يجري حوله من أحداث... أما الرأي الذي يسهم في الشورى ففي الغالب عقلائيّ سواء أكان منقولاً عن مصادر أخرى أو مستنتجاً من حقائق توصل إليها الآخرون أو استنتجها المستشار، أي لا تكون مجرد انفعال عاطفي<sup>1</sup> ولذلك فإن نتائج الشورى في غالبيتها أكثر صواباً ودقة وأقرب إلى الحق من الرأي العام الشعبي المطلق الناتج عن الانفعال العاطفي .

ب. " قد لا تكون المناقشة موجودة في الشورى، وقد لا تكون ضرورية، إذا كانت المسألة هي سؤال من طالب المشورة وإجابة من مقدم المشورة في مسألة خاصة... أما بالنسبة لمرحلة تكوين الرأي العام فالنقاش في المستوى الشعبي والرسمي حتمي مع تعدد الآراء في القضية العامة. " <sup>2</sup> ولا يكون هذا الأمر في الشورى إلا إذا كانت القضية عامة تمم جمهور المسلمين كالحرب أو البيعة للحاكم، كما تقدم ذكره .

ج. " الشورى في الإسلام مقيدة . بصفة عامة . بالقضايا التي لم ترد فيها نصوص في الكتاب والسنة، أما الرأي العام فغير مقيد من حيث القضايا التي يناقشها ويبت فيها إلا بما يتم الاتفاق عليه بين الأطراف المعنية " <sup>3</sup> ولذلك فإنه يمكن للرأي العام أن يناقش أي قضية ولو كانت غير أخلاقية ويقرّها إذا تمّ الاتفاق عليها، كما هو حاصل في المجتمعات الأوروبية عندما فتحو المجال للنقاش في موضوع الشذوذ الجنسي وأقرت بعض البرلمانات هناك الزواج بين الشاذين جنسيا وقتنته، في حين أن الأخلاق والقيم في الإسلام خط أحمر لا يجوز طرحها للنقاش أصلاً، وهذا حفاظاً على استقرار المجتمع واتزانه الذي لا يتأتى إلا بالحفاظ على قيم الأمة ومبادئها .

د. وهناك من يرى أن " الرأي العام يتميز عن الشورى بوجوده الواضح على المستوى الشعبي وعظم حجم جمهوره، ولهذا فهو يقوم بوظيفة ذات أهمية كبيرة في مجال السياسة، وهي وظيفة المراقبة لسلك المسؤول بعد اختياره أو انتخابه، وطريقة تطبيق وتفسير النظام عقب إقراره... أما الشورى وإن كانت لا تتضمن هذه الوظيفة فإن الإسلام لم يغفل هذه الوظيفة حيث نص على ضرورة وجود جماعة تقوم بالمراقبة في قوله تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

<sup>1</sup> سعيد إسماعيل صيني، مدخل إلى الرأي العام والمنظور الإسلامي، مرجع سابق، ص 212

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 213 بتصرف

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 215

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ<sup>1</sup> 2" ومنه فإن الرقابة على النظام العام في الإسلام لا تخص أهل الشورى فحسب بل تتعداهم إلى مسؤوليَّة جميع أفراد المجتمع .

### 7 . أوجه الاتِّفاق بين الشورى والرَّأي العام:

نجد أن الشورى والرَّأي العام يتفقان في الوظائف التالية:

أ . الإسهام في المناقشة المفتوحة على المستوى الشَّعبي والرَّسمي للكشف عن الجوانب الخفية لكثير من المشكلات، والإسهام في التعرّف على أفضل الحلول من وجهة نظر جميع الأطراف المهتمة بالقضيَّة، وتوفير أكثر عدد ممكن من الآراء والاجتهادات لضمان الرّأي الأكثر نضجا قبل صدور القرار .

ب . اقتراح القوانين أو القرارات التي تمم المجتمع أو إلغاء بعضها أو استبدالها بأخرى بما يحقق المصلحة العامة .

ج . إجازة تصرفات الحاكم أو الجهاز التنفيذي في بعض الجوانب السياسيَّة أو الاقتصاديَّة أو الاجتماعيَّة إذا كان هناك اتِّفاق مسبق على أن هذا من صلاحيات الشورى أو المؤسَّسات التي تنوب الرّأي العام .

د . الإسهام في إتخاذ بعض الإجراءات التي لا تتكرر مثل اختيار القيادات ذات الكفاءات للوظائف الرسميَّة الأساسيَّة في الدَّولة كالوزارات وقيادة الجيش وغيرها .

هـ . مراقبة تطبيق التشريعات والأنظمة التي يتم إقرارها .

ومن خلال كل ما سبق في إبرازنا للعلاقة بين الشورى والرَّأي العام، نخلص إلى أن الشورى بالإضافة إلى كونها ركيزة أساسية لتكوين الرّأي العام وإبرازه، فهي أيضا مرآة عاكسة لمواقف واتِّجاهات الرّأي العام، ولكن بشكل منظم يعبر عنه من ينوب أفراد المجتمع من أهل الحل والعقد، أو أعيان المجتمع ورموزه، أو العلماء والمفكرين، أو أهل الاختصاص في جميع الفنون، أو عامَّة النَّاس، بحسب ما يتطلبه الموقف أو موضوع الشورى المطروح للنقاش وأخذ الرّأي فيه .

### الفرع الثالث: الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر والرَّأي العام

<sup>1</sup> سورة آل عمران، الآية: 104

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 216 بتصرف

## 1. تعريف المعروف والمنكر:

أ. المعروف: "يطلق المعروف على كل ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه. وهو إسم

جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الخلق وهو من الصفات الغالبة،

بمعنى أنه معروف بين الناس إذا رأوه لا ينكروه.<sup>1</sup>

قال ابن جرير الطبري: " وأصل "المعروف" كل ما كان معروفاً فعله، جميلاً مستحسناً، غير مستقبح في

أهل الإيمان بالله، وإنما سميت طاعة الله (معروفاً)، لأنه مما يعرفه أهل الإيمان ولا يستنكرون فعله.<sup>2</sup>

وبالتالي فالمعروف ما عرف حسنه شرعاً وعقلاً وعرفاً .

ب. المنكر: "هو ضد المعروف وهو ما عرف قبحه نقلاً وعقلاً"<sup>3</sup>

قال ابن جرير الطبري: " وأصل (المنكر)، ما أنكره الله، ورأوه قبيحاً فعله، ولذلك سميت معصية الله

(منكراً)، لأن أهل الإيمان بالله يستنكرون فعلها، ويستعظمون زكوبها.<sup>4</sup>

إذن من خلال ما سبق فإن تسمية المعروف بهذا الاسم لأنه معروف ومقبول في المجتمع المسلم،

وتسمية المنكر بهذا الاسم لأنه مبغض وممقوت في هذا المجتمع .

يقول الأصفهاني: "المعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حسنه، والمنكر ما ينكر بهما"<sup>5</sup>

وبذلك فإن الأمر بالمعروف يتضمن الدعوة إلى الإسلام لغير المسلمين والدعوة إلى تطبيق تعاليمه وما

يتسق مع مبادئه وأحكامه بالنسبة للمسلمين، والنهي عن المنكر إنكار الشرك بالنسبة للمشركين

والإنكار على ما يخالف الشرع والآداب العامة بالنسبة للمسلمين "فنحن إذا قلنا بأن الأمر بالمعروف

هو الأمر بعمل كل مرغوب سواء أكان أداء ما ينبغي أدائه أو الامتناع عن فعل ما ينبغي تجنبه فإن

الأمر بالمعروف يشمل إنكار المنكر ضمناً "<sup>6</sup>، ومن الواضح أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يكمل بعضهما بعضاً، فإذا قلنا - أيضاً - " أن النهي عن المنكر هو النهي عن أي وضع غير مرغوب

<sup>1</sup> خالد بن عثمان السبد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (أصوله وضوابطه وآدابه)، ( ط: 01، لا.م، لا.ن، 1995م)،

ص 25

<sup>2</sup> ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، ج 7، ص 105

<sup>3</sup> خالد بن عثمان السبد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مرجع سابق، ص 26

<sup>4</sup> ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، ج7، ص 105

<sup>5</sup> الحسين بن محمد ، أبو القاسم، المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي

ج1، ( ط: 01، دمشق بيروت، دار القلم، الدار الشامية، 1412 هـ.)، ص 561

<sup>6</sup> سعيد إسماعيل صيني، مدخل إلى الرأي العام والمنظور الإسلامي، مرجع سابق، ص 220

فيه سواء أكان التقصير أم الامتناع عن عمل شئى ينبغي عمله أو فعل المحذور فإنه يمكن القول بأن الإنكار يشمل الأمر بالمعروف ضمنا<sup>1</sup> ولذلك "يبدو أن الفاصل بين الإثنين هو أن الأمر بالمعروف يأخذ صورة إيجابية فهو الأمر بأداء عمل محدد ابتداء قبل أن يحتاجه الإنسان أو تذكيره قبل أن يرتكب ما هو منهي عنه... أما المنهي فهو طلب الامتناع عن فعل منهي عنه سواء قبل أن يفعله أو أثناء فعله أو بعد فعله " <sup>2</sup>، وهكذا يتضح مدى تكامل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولذلك غالبا ما يرد ذكرهما في القرآن الكريم وفي السنة النبوية متلازمان.

## 2. وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأدلته:

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوكد الواجبات الشرعية على الأمة المسلمة، ومن أعظم المهمات التي كلف بها المسلمون أفرادا وجماعات، كل حسب مكانته واستطاعته، وقد دل على ذلك آيات القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية وإجماع العلماء، نورد منها:

أ. من القرآن الكريم:

قال تعالى: ( **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** )<sup>3</sup>

قال ابن كثير: " يقول تعالى: ( **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ** ) أي: منتصبة للقيام بأمر الله، في الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "<sup>4</sup> ثم قال: " والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه "<sup>5</sup> فالآية تدعو المسلمين أن تقوم منهم جماعة بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا هو سبب الفلاح والتجاح في الدارين .

وقال تعالى: ( **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** )<sup>6</sup>

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 221

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 221 بتصرف

<sup>3</sup> سورة آل عمران، الآية: 104

<sup>4</sup> ابن كثير، جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، ج2، ص 91

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ج2، ص 91

<sup>6</sup> سورة آل عمران، الآية: 110

قال ابن كثير: " يخبر تعالى عن هذه الأمة المحمّدية بأنهم خير الأمم فقال: ( كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ) ... والمعنى: أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس؛ ولهذا قال: ( تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ) " <sup>1</sup>

فالآية تبين أن الخيرية للأمة الإسلامية كانت بسبب قيامها بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولذلك قال عمر بن الخطاب . رضي الله عنه :. " يا أيها الناس، من سره أن يكون من تلك الأمة، فليؤد شرط الله منها. " <sup>2</sup> ويقصد الشرط منها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله تعالى .

ويلاحظ في هذه الآية " أن الله . عز وجل . قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله مع أن الإيمان لا يتقدمه شيء من الأعمال ولا يفضلُه ولكن قد يكون هذا التقديم في هذا الموضوع يراد به إبراز خاصية وميزة لهذه الأمة على غيرها من الأمم، فإنهم وإن كانوا مطالبين به إلا أنه لم يكن تحققه فيهم كتحققه في هذه الأمة فاستحقوا التفضيل به على غيرهم من سائر الأمم التي سبقتهم، وإن شاركهم في تحقيق الإيمان، فهذه الأمة هي خاتمة الأمم ورسولها ع خاتم الرسل وكتابها آخر الكتب، وقد أخرجت للناس لتأمرهم بالمعروف وتنهاتهم عن المنكر وتشهد عليهم " <sup>3</sup>

وقال تعالى: ( وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ) <sup>4</sup>

بيّن الله تعالى في هذه الآية صفات وأعمال المؤمنين المرحومين عند الله تعالى والتي هي: التناصر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى جانب أعظم العبادات البدنيّة والماليّة؛ الصلّاة والزكاة

وقال تعالى: ( الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ) <sup>1</sup>

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ج2، ص 93 بتصرف

<sup>2</sup> ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، ج7، ص 102

<sup>3</sup> انظر: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير

الكتاب المجيد»، ج4، (لا.ط، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984م)، ص 50 . 51

<sup>4</sup> سورة التوبة، الآية: 71

إن الله تعالى اشترط في هذه الآية على كل أمة مكن لها في الأرض ثلاثة شروط: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

### ب . من السنة:

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (( مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ ))<sup>2</sup>

في هذا الحديث أوجب الرسول ﷺ على كل مسلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب استطاعته، إمّا بيده إذا كان صاحب سلطان وقوة ومسؤولية على الرعية، وإما بلسانه إذا كان صاحب بيان وعلم ومقدرة على التبليغ، وإلا بقلبه وهو أقل درجات الإيمان ولا يسقط على أحد من المسلمين. فهذا الحديث جعل المجتمع كله مسؤولاً عن إزالة المنكرات وعدم الرضا بها، كل من موقع مسؤوليته ومكانته .

وعن حذيفة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (( والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونّه فلا يستجاب لكم ))<sup>3</sup>

ذكر في هذا الحديث عقوبة معجلة لترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تقع في الدنيا لهؤلاء التاركين، مهما كانت حالهم من الصلاح في ذواتهم واستقامتهم وعبادتهم.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (( مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا

<sup>1</sup> سورة الحج، الآية: 41

<sup>2</sup> سبق تخرجه.

<sup>3</sup> أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، ج4، أبواب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص

468، بترقيم: 2169، وقال: حديث حسن

فِي نَصِيْبِنَا خَرْقًا وَّمَنْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَيَّ أَيْدِيَهُمْ نَجُّوا، وَنَجَّوْا جَمِيعًا ))<sup>1</sup>

(القائم على حدود الله) المستقيم مع أوامر الله تعالى ولا يتجاوز ما منع الله تعالى منه، والأمر بالمعروف النَّاهي عن المنكر. (الواقع فيها) التَّارك للمعروف المرتكب للمنكر، وفيه استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

من خلال هذا الحديث يتبيَّن لنا كيف ينبغي أن يكون الرَّأي العامّ الإسلاميّ إيجابياً أمام الانحرافات والمنكرات التي تقع في المجتمع بأن يبادر إلى النَّهي والتَّغيير والأخذ على أيدي المفسدين وعدم تركهم في غيِّهم، وعدم الوقوف موقفاً سلبياً بدعوى أن الأمر لا يهمهم، لأن الفساد إذا عمَّ يهلك الجميع .  
ج. من الإجماع:

وقد دل على وجوب الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر إجماع العلماء المسلمين، كما نقل ذلك غير واحد من أهل العلم كابن عطية والنووي وأبي المعالي الجويني<sup>2</sup>

### 3. مجالات الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر:

"الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر هو دعوة المخلوقات المكلفة عموماً إلى الخير والأمر بكل ما بحبه الله والنَّهي عن كل ما يبغضه الله... وكما يؤكد العلماء فمهمّة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر أشمل من الإطار الأخلاقي فهي تشمل الفرائض والسنن والمحرمات والمكروهات شرعاً، وتشمل أمور العقيدة والعبادات والمعاملات والآداب والأخلاق والدعوة إلى الإسلام، كما أن النَّهي قد يكون قبل وقوع المنكر إذا ظهرت علاماته مثل التخطيط لسرقة أو ارتكاب جريمة، وقد يكون أثناء وقوع المنكر<sup>3</sup>، ويمكن تقسيم القضايا التي يتعلق بها الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر إلى ثلاثة أقسام:

. قضايا تتعلق بحقوق الله كإقامة الجماعة والجمعة والعيدين... إلخ.

. قضايا تتعلق بحقوق العباد كانهدام الأمن، وفقدان الماء اللازم للشُّرب، وعدم توفُّر التعليم، وما

يتعلق بالمعاملات كالغشِّ في البيع والمماطلة في أداء الحقوق... إلخ.

. قضايا مشتركة بين الإثنين كالنَّهي عن إهمال المساجد، والأمر بتزويج الأكفاء، أو إلزام المعتدَّة

بيتها أثناء العدة... إلخ .

<sup>1</sup> سبق تخرجه.

<sup>2</sup> انظر خالد بن عثمان السبد، الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، مرجع سابق، ص 101

<sup>3</sup> سعيد إسماعيل صيني، مدخل إلى الرَّأي العامّ والمنظور الإسلاميّ، مرجع سابق، ص 219 بتصرف

فكل هذه القضايا يكون الرّأي العامّ حارساً أميناً عليها وعلى تنفيذها وعدم إهمالها لأنّها جزء من مهمته الاجتماعية أثناء القيام بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر .

#### 4 . مسؤوليّة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر:

إن الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر مسؤوليّة الجميع في المجتمع الإسلاميّ " وهو مفروض عليه فرض كفاية، وهو واجب على جميع أفراد المجتمع كل في حدود إمكانياته وما يلاحظ من تقصير في محيطه، والأصل إذا تخصص بعض الأفراد في هذه المهمّة أن تكون رقابية على جميع أفراد الأُمَّة وليس فقط على من هم خارج نطاق هذه المجموعة. كما أن واجب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر بالقول المؤدّب ليس مقصوراً على رجال الحسبة الذين تعيّنهم الحكومة لهذا الغرض. وهي بالنسبة لفئة أهل الحلّ والعقد ولاسيما العلماء فرض عين، فهم مسؤولون عن مهمّة المراقبة مستندين إلى الأحكام المستمدة من الكتاب والسنة.<sup>1</sup> ولهذا لا يعفى أحد من الأُمَّة من هذا الواجب المقدّس ولو كان بالقلب .

#### 5 . مهمّة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر بالنسبة للرّأي العامّ:

يساهم الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر في المحافظة على استمراريّة ثبات الرّأي العامّ على النهج القويم، والتزام مبادئ الإسلام وقيمه، كما أن مهمته رقابية لمدى تنفيذ هذا الرّأي العامّ للأحكام والقوانين، كما "يعتبر الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر في المجال السياسي والإداري من صور المعارضة السياسيّة"<sup>2</sup>، وهو بالتالي يقوم بوظيفة الضّغط الاجتماعي على الأفراد والجماعات للالتزام بحدود الشّرع والعرف والوقاية من الانحراف والفساد.

#### 6 . أوجه الاختلاف بين الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر والرّأي العامّ:

إذا تأملنا في مهمّة كل من الرّأي العامّ والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر يمكننا ملاحظة جملة من الفروق أهمّها:

. " أن طبيعة القضية في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر إنما تنشأ في ضوء مقياس أو معيار متّفق عليه أو شبه متّفق عليه، فهي إما الشريعة الإسلاميّة التي يلتزم بها المجتمع الإسلاميّ وإما المستحسن

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 246

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 245

عند غالبية أفراد المجتمع أو المستنكر فيما سكت عنه الشَّرع، لهذا فإن ظاهرة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر تنبغ بالعقلانية منذ بدايتها، أما ظاهرة الرّأي العامّ فإن الآراء التي تسهم فيها قد تنطلق من منطلقات عاطفيّة محضة وقد لا تمثل إلا مصالح شخصيّة بحتة<sup>1</sup> فالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر يكون أكثر دقة وأضمن مردودا وأنفع من الرّأي العامّ في كثير من الأحيان .

. " الأمر بالمعروف يغلب عليه أن يستند من بدايته إلى قواعد مكتوبة ومدوّنة، أي ما يمكن تسميته تجاوزا ( قوانين ) معلومة ( القرآن والسنة ) أو عادات وتقاليد حسنة، أي أعراف وقوانين غير مكتوبة، أما الرّأي العامّ فهو في الغالب في بداياته ردود فعل تلقائيّة."<sup>2</sup> ولذلك فإن أداء الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر أكثر دقة ووثوقا من المساهم في مواقف الرّأي العامّ.

. إن قضايا الرّأي العامّ ليست محدودة وليست منضبطة فهي تناول كل ما يصل إلى إدراك الإنسان، فهو قد يطرح قضايا تتنافى مع الأخلاق أو الأعراف المشهورة وإذا حازت الأغلبية فإنها تقر ويعترف بها وقد تصبح قانونا يسري على الجميع، إنما الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر "يستند إلى التشريعات السماويّة وعلى الفطرة السليمة والتقاليد والعادات الطيبة أو القرارات التشريعيّة المبنية على الشورى أو التي تصدرها الجهات ذات السُلطة"<sup>3</sup> لتحقيق المصلحة واجتناب ما يؤدّي إلى المفسدة . إن الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر يستوجب جملة من الشروط في الأمر والنَّهي كالعلم والقدرة والتميز، في حين أن الرّأي العامّ لا يشترط أيّ شروط خاصّة على المستوى الشَّعبي .

. لا تشترط الأغلبية في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر للقيام بالفعل أو الانتهاء عنه . وإن كان مطلوبا في بعض الأحيان . في حين تشترط في الرّأي العامّ.

## 7. أوجه الاتِّفاق بين الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر والرّأي العامّ:

بالرغم من بعض الاختلافات التي رأيناها بين دور كل من الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر والرّأي العامّ، إلا أننا نلاحظ أيضا بعض أوجه الاتِّفاق بينهما نجلها فيما يأتي:

. وجود قضيّة اجتماعية تشغل بال جمهور النَّاس وتؤثّر عليهم سلبا أو إيجابا، وقد تكون هذه القضيّة ذات بعد ديني أو أخلاقي أو دنيوي مصلحي .

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 224 - 225

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 225

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 225

. "يتفق الرأي العام مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في اشتراط الوضوح في القضية، بحيث يمكن إدراكها من قبل الجمهور العام أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدون تجسس وتحري خاص... وذلك لأن عددا من العلماء لا يجيزون التجسس للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مادام ضرر المنكر في الغالب لا يلحق غيره بصورة مباشرة"<sup>1</sup> ورغم هذا فإن الرأي العام - أحيانا - يهتم بكل قضية تصل إليه بغض النظر عن كيفية وصولها أو الكشف عنها.

### الفرع الرابع: عوامل أخرى

**1 . الحركة العلمية في صدر الإسلام:** إن الحركة العلمية التي ازدهرت في العصور الأولى للإسلام ساهمت بشكل كبير في وجود رأي عام حول جملة من القضايا المختلف فيها في بعض المحطات التاريخية، وكان لاجتهاد العلماء البارزين الدور الكبير في التفاف الجماهير حول هذا الرأي أو ذاك، ونتيجة لذلك نشأت تيارات فقهية عرفت بعد ذلك بالمذاهب الفقهية. فكل مذهب يشكل رأيا عاما.

**2 . الفتوحات الإسلامية:** كان لحركة الفتوحات الإسلامية دور هام في التفاف الأمة بكل أطيافها حول المجاهدين في سبيل الله ومؤازرتهم مادياً ومعنوياً ومتابعة أخبارهم ومشاركتهم انتصاراتهم وإخفاقاتهم إلى حين انتهاء المعارك.

**3 . القدوة الحسنة:** لا شك أن القدوة الحسنة تجعل المجتمع المسلم ينقاد إليها في كل شأنه وخاصة في أوقات الشدة والضيق، ولقد كان رسول الله ﷺ المثال الأعظم والقدوة الحسنة في كل شيء، قال تعالى: [ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ]<sup>2</sup>

فالقدوة تؤثر بشكل كبير في مواقف الرأي العام وذلك بسبب ثقة الناس فيها، ولأن كثيرا من الناس لا يبنون موقفا معينا اتجاه قضية ما إلا بعد أن يسأل عن موقف هؤلاء القدوة فيتبناه.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 225 . 226، بتصرف

<sup>2</sup> سورة الأحزاب، الآية: 21

**4 . المناسبات الدينية:** فخطبة الجمعة والعديد من المناسبات وصلاة الجمعة وشهر رمضان وموسم الحج، كلها محطات مهمة لتشكيل الرأي العام أو التأثير فيه أو تعزيزه حول قضايا الأمة والمجتمع.

**5 . الثقافة الإسلامية:** يقول إبراهيم زيد الكيلاني: " لقد أثمرت الثقافة الإسلامية الواحدة التي تلقتها الأمة في المسجد والمدرسة وحدة في الاتجاه العام والرأي العام جعل أبناءها في العصور السالفة على اختلاف تخصصاتهم العلمية في الحديث، والتفسير، والفقه واللغة، والفلك والكيمياء والفيزياء والطب والهندسة أبناء ثقافة واحدة، تسلك طريقهم، وتوجد خطاهم في المجتمع، وتصنع وحدتهم وتقيم أواصر التعاون فيما بينهم.<sup>1</sup> ولكن حين وقع الانفصال بين الجامع والجامعة، وبين المدرسة والمسجد، وبين مصادر التوجيه، والدين، وأخذت تتسرب للأمة الثقافات المتعددة نتيجة الغزو الفكري الأجنبي، وسيطرة المستشرقين وتلاميذهم على معظم الجامعات في البلاد الإسلامية، وانتقل هذا التأثير المنحرف إلى المناهج والكتب المدرسية في مراحل الدراسة الابتدائية والإعدادية والثانوية في بلاد المسلمين، حين حصل هذا وقع الانفصال بين ثقافة الأمة وشخصيتها الحضارية المستمدة من دينها وتاريخها وأصولها. وأصبح الرأي العام يتأثر تأثيراً كبيراً بقيم جديدة وثقافات غريبة أوجدتها مراكز التوجيه المنحرفة. وأصبحت مهمة العلماء صعبة شاقة، ورسالتهم كبيرة ضخمة لإيجاد التغيير في المجتمع، والعودة إلى قيادة الأمة والرأي العام فيها من جديد.<sup>2</sup> ويتطلب منهم جهداً مضاعفاً لبلوغ تلك الغاية.

**6 . المسجد:** من أهم المؤسسات الدينية التي لها بصمتها على الحياة اليومية لأفراد المجتمع، ولها تأثيرها في تشكيل الوعي وتصحيح الفكر والسلوك لديهم المسجد، ليس لكونه مكاناً للعبادة فحسب بل أيضاً كونه مركزاً للاتصال وتبادل الأخبار والمعارف بين عامة الناس، هذا فضلاً على أنه ينمي الشعور لدى الأفراد بالروح الجماعية والتآزر والترابط والتآخي، بالإضافة إلى ما يتلقاه الناس من تعاليم واحدة في الخطبة والدرس والتوجيه.. إلخ، ولذلك لا عجب أن النبي  $\rho$  لما دخل المدينة فإن أول مؤسسه بناها هي المسجد، باعتباره العمود الفقري للدولة الإسلامية الحديثة، وهو الحصن الحصين للمجتمع من أي رياح جارفة، يقول إبراهيم زيد الكيلاني: " وليس المسجد في الإسلام مكاناً للعبادة فحسب، إنه مدرسة توجيه وإرشاد يلتقي فيه أفراد الحي كل يوم خمس مرات فيستمعون كتاباً واحداً

<sup>1</sup> إبراهيم زيد الكيلاني، الرأي العام في المجتمع الإسلامي، مرجع سابق، ص 248

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 248

هو القرآن الكريم ويتلقون توجيهاً واحداً من هدايته، ويستشعرون رابطة الوحدة والأخوة التي تجمعهم وهم صفوف مستوية مترابطة تقتدي بإمام واحد. وفي المسجد تلقى دروس العلم، ويلتقي أبناء الحي ثقافة واحدة من هدي الكتاب والسنة وشروح العلماء. وفي المسجد يلتقي أبناء الحي وتدور بينهم المناقشات حول قضاياهم الاجتماعية والاقتصادية التي من شأنها أن توحد رأيهم وتجمعهم على طريق سواء.<sup>1</sup> ويحق لنا أن نعتبر المسجد قلعة للرأي العام لو أحسن استثماره.

**7 . الأسرة:** فالأسرة هي المنهل الأول الذي تتشكل فيه شخصية الفرد وينضج فيه تفكيره ومشاعره، وبالتالي توجهاته ومعتقداته وآراؤه حول القضايا الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها، ومن أفكار الأفراد يتبلور الرأي العام، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ))<sup>2</sup>.

ويُنظر إلى الأسرة على أنها من أخطر الجماعات الأولية التي تربط اتجاهات الرأي العام ، وتعتبر الاتجاهات النفسية التي تتكون في الأسرة اتجاهات جذرية متكاملة؛ تشكّل ما يسمى بنواة الشخصية أو جوهرها، أما الاتجاهات التي تتكون في الجماعات الثانوية - كالأحزاب السياسية والأندية والنقابات وغيرها - فتشكّل ما يسمى بالاتجاهات السطحية أو الهامشية، والاتجاهات الجذرية التي تكمن في نواة الشخصية يصعب تغييرها.

**8 . المدرسة:** وهي بيوت العلم التي حرص الإسلام على أدائها لرسالتها مهتدية بقواعد الإسلام ومبادئه في المنهج، والكتاب، والعلم، وحذر أشد التحذير من انحرافها عن القيم الإسلامية، ووجهها لأن تكون العلوم المختلفة خادمة العقيدة والإيمان بالله ووحدايته، حتى لا يتناقض ما يقرأه الطالب في درس التربية الإسلامية عما يقرأه في المباحث الأخرى، ولتكون الثقافة الواحدة التي يتربى عليها أفراد

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 6

<sup>2</sup> أخرجه مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج4، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، ص 2047، بترقيم: 2658

المجتمع في المدارس ثقافة واحدة، توحد الفكر ولا تمزقه، وتساعد على إيجاد رأي عام واحد صالح يخدم أهداف الإسلام ويرعى مبادئه<sup>1</sup>.

**9 . أهل الحلّ والعقد:** أهل الحلّ والعقد هم أهل الرأى والعلم والتقوى يمثلون الأمة في مواقفهم وأحكامهم التي يصدرونها ، ولذلك فالأمة تنقاد إليهم وتطيعهم، خاصة في القضايا المصرية والكبرى أو التي تثير جدلا واسعا لدى جمهور الناس ثم يرُدون الأمر إليهم التزاما بقوله تعالى: [ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعُوا بِهِ وَلَوْرَدُوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ<sup>2</sup> ] .

يقول إبراهيم زيد الكيلاني: " أهل الحلّ والعقد كما يسميهم جمهور العلماء، أو أهل الاختيار كما يسميهم الماوردي وغيره أو أهل الاجتهاد كما يسميهم البغدادي، هم جماعة معينة من فضلاء الأمة يؤكّل إليهم النظر في مصالحها الدنيوية والدنيوية ومنها اختيار رئيس الدولة، فهم المسؤولون عن تصحّح أحوال الذين يمكن صلوحهم لتولي هذا المنصب الخطير، والاجتهاد في ذلك، وهذه الجماعة لا تقوم باختيار الإمام إلا نيابة عن الأمة جميعاً، فهم بمباشرتهم هذا الاختيار لا يمثلون أنفسهم، بل يمثلون الأمة كلها، ولهذا فإنه عند مبايعة أهل الحلّ والعقد للإمام تجب مبايعته والانقياد له على سائر أفراد الأمة."<sup>3</sup> وبين الكيلاني أن سبب انقياد الأمة لأهل الحلّ والعقد هو العلاقة المتميزة التي تربطهم بجماهير الأمة فيقول: " أما علاقة أهل العقد والحلّ في الأمة فهي علاقة النائب والوكيل، أما كيف ينالون هذه المنزلة ؟ فإن الأمة هي التي ترفعهم إلى هذه المنزلة باختيارها لهم صراحة أو ضمناً، وأن السوابق التاريخية تبين لنا وكالة أهل الحلّ والعقد عن الأمة في عصر الإسلام الأول- عصر الخلفاء الراشدين- كانت وكالة ضمنية لأنهم كانوا معروفين بتقواهم وإخلاصهم وكفاءتهم وعلمهم شهد لهم القرآن الكريم والنبي صلوات الله وسلامه عليه بالثناء العام والخاص عليهم، فما كان هناك من حاجة لقيام الأمة بانتخابهم وتوكيلهم عنها صراحة."<sup>4</sup> أما في عصرنا هذا يمكن اختيار أهل الحلّ والعقد الذين يمثلون الأمة عن طريق الانتخاب المباشر أو غير المباشر.

<sup>1</sup> انظر إبراهيم زيد الكيلاني، الرأى العام في المجتمع الإسلامي، مرجع سابق، ص 10

<sup>2</sup> سورة النساء، الآية: 83

<sup>3</sup> إبراهيم زيد الكيلاني، الرأى العام في المجتمع الإسلامي، مرجع سابق، ص 20

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 21

**10 . نظام الحسبة:** وهو الجهاز الذي يقيمه الحاكم لأجل: " بناء الضمير الاجتماعي – الوازع الجماعي – الذي يحول دون هتك مبادئ المجتمع المسلم وقواعده وآدابه العائمة وأعرافه، ذلك أن للبيئة الاجتماعية أهمية قصوى في سلوك أفراد المجتمع، فإذا كان للمجتمع قواعد مرعية

وآداب محفوظة ومبادئ محمية من سلطاته صعب على العصاة الخروج عليها، وتُرَبِّي في أنفسهم الحياء من مخالفة المجتمع والخروج عليه. <sup>1</sup> وبذلك يتكون رأي عام يحافظ على مقومات المجتمع ومبادئه.

**11 . وسائل الإعلام:** " فهدف الإعلام الأول إيجاد الرأى العام أو توجيهه نحو قضية ما أو وجهة نظر مطلوبة وتأثير الإعلام في الرأى العام راجع إلى اتصاله المباشر بال جماهير على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم الثقافية.

ورجل الإعلام الناجح هو الذي يعرف نفسية الجماهير ورغباتهم ويحاول توجيهها لمصالح فكرته ومؤسسته. <sup>2</sup>

ودخول وسائل الإعلام كل بيت بغير استئذان، وعرضها للفكرة بوسائل الإقناع المختلفة في أوقات النهار المختلفة يجعل لها التأثير البالغ على عقول الجماهير وإيجاد الرأى العام في الأمة.

"وتشير مُعطيات نظرية دوامة الصمت (Spiral of Silence Theory) إلى أنه كلما تبنّت وسائل الإعلام اتجاهًا ثابتًا ومتسقًا من إحدى القضايا لبعض الوقت، فإن الرأى العام يتحرك في اتجاه وسائل الإعلام نفسها. كما أن خصائص الأفراد الديمغرافية (السن – النوع – المستوى الاقتصادي والاجتماعي)، يمكن أن تؤثر في اتجاهات الأفراد ورغبتهم في التعبير العلني عن آرائهم. وانتهت بعض الدراسات إلى أن المتغيرات الاتصالية وإدراك التأييد الاجتماعي يؤثر في اتجاه الفرد ورغبته في التعبير العلني عن الرأى. <sup>3</sup> ولذلك لا يخفى دور الإعلام في المساهمة بشكل فعّال في تكوين رأي عام وبلورة اتجاهاته وفق أهداف وإستراتيجيات المؤسسات الإعلامية في المجتمع.

### المطلب الثاني: أساليب تكوين الرأى العام في الإسلام

<sup>1</sup> عبد القادر بن فالح الحجري السلمي، مقال: الحسبة في الإسلام، منشور في موقع صيد الفوائد ، <http://www.saaid.net/alsafinh/48.htm> )، تاريخ التصفح: جانفي 2015 م

<sup>2</sup> إبراهيم زيد الكيلاني، الرأى العام في المجتمع الإسلامي، مرجع سابق، ص 11

<sup>3</sup> موقع الإتحاد العام للطلاب السودانيين، تشكيل الرأى العام، مرجع سابق، ص 5

استخدمت الأمم عبر التاريخ جملة من الأساليب لتكوين رأي عامّ أو لمحاولة تغييره، ولا تزال تستخدمها إلى يومنا هذا، ومن هذه الأساليب ما يقرها الإسلام وعمل بها لنشر الدعوة الإسلامية بين الناس وجمعهم حول الحقائق الربّانية وتكوين أمة التوحيد والمجتمع الرّسالي الذي يدين بشريعة الله تعالى، ويحافظ على القيم والمبادئ والأخلاق، ومنها ما يرفضها الإسلام، وهي الأساليب السلبية التي تتنافى مع هديه ورسالته السامية، والتي تعمل على هدم الأخلاق والقيم، فالإسلام لا يعتمد إلا على الوسائل المشروعة لبلوغ غاياته النبيلة.

وإذا كانت غاية الإسلام تكوين رأي عامّ صالح حول القضايا التي تطرح على المجتمع المسلم فإنه من الضروري أن لا يعتمد إلا الأساليب الإيجابية التي تتوافق وأحكام الشريعة ظاهراً وباطناً، ويتجنب الأساليب التي تخالف ذلك، ومن هنا سنعرض جملة من الأساليب الإيجابية التي يعتمدها الإسلام لتكوين رأي عامّ صالح، كما سنذكر بعض الأساليب السلبية التي تعتمدها بعض المجتمعات ووسائل الإعلام منذ القديم إلى يومنا هذا والتي نبذها الإسلام في تشكيل أو توجيه الرأي العامّ .

## الفرع الأول: الأساليب الإيجابية

### 1. أسلوب الجدل والمناقشة:

من الأساليب التي اعتمدها القرآن لإقامة الحجة وبيان الحقّ والدعوة إلى الإيمان؛ الجدل مع المخالفين سواء أكانوا كفاراً وثنيين أو أهل كتاب، وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يجادل المشركين بالطريقة الحسنة فقال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)<sup>1</sup> كما أباح القرآن مناظرة أهل الكتاب بنفس الطريقة فقال تعالى: ( وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ )<sup>2</sup>.

وفي هذا الأسلوب يخاطب القرآن الكريم الناس بكل دلائل العقل البرهانية والجدلية لدعوتهم إلى حقائق الدين وإقناعهم بأيسر الطرق وأوضحها لضمهم إلى قوافل الإيمان، هذا من جهة، وترسيخ الإيمان وتوطيد أركانه في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم، من جهة أخرى.

<sup>1</sup> سورة النحل، الآية: 125

<sup>2</sup> سورة العنكبوت، الآية: 46

ونأتي بمثالين أحدهما من القرآن والآخر من السنة مما يدل على أن هذا المنهج في الجدل والنقاش مما اعتمده الإسلام لأجل تحقيق المقاصد التي ذكرناها.

\*من القرآن الكريم:

. قال تعالى: ( قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ<sup>1</sup>).

يقول سيد قطب . رحمه الله :- " وإنما لدعوة منصفة من غير شك. دعوة لا يريد بها النبي ﷺ أن يتفضل عليهم هو ومن معه من المسلمين.. كلمة سواء يقف أمامها الجميع على مستوى واحد. لا يعلو بعضهم على بعض، ولا يتعبد بعضهم بعضاً. دعوة لا يابها إلا متعنت مفسد، لا يريد أن يفيء إلى الحق القويم.<sup>2</sup>"

. وقال تعالى: ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحِبِّي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ<sup>3</sup>).

يقول محمد الطاهر بن عاشور: " والآية دليل على جواز المجادلة والمناظرة في إثبات العقائد، والقرآن مملوء بذلك، وأما ما نُهي عنه من الجدال فهو جدال المكابرة والتعصب وترويج الباطل والخطأ.<sup>4</sup>"

إذن في الآية الأولى دعوة أهل الكتاب . اليهود والنصارى . إلى كلمة عدل وإنصاف يستوي فيها الجميع وهي كلمة التوحيد التي أرسل بها جميع الأنبياء والرسول، وفي الآية الثانية تبين لنا نموذجاً من جدال الأنبياء للكفرة والطواغيت بالحجة الدامغة والأسلوب الهادئ .

إن دعوة القرآن الكريم الرفيعة اللينة لتأخذ بالألباب وتدخل إلى الوجدان فتؤثر في النفوس، وخاصة تلك النفوس المرتكسة في غيها، وهذا ما وقع لكثير من المشركين عند سماع القرآن الكريم، فقد "سمع جبير بن مطعم رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة المغرب بالمغرب فلما بلغ رسول الله ﷺ هذه الآيات: ( أم

<sup>1</sup> سورة آل عمران، الآية: 64

<sup>2</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج 1، ص 406

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية: 258

<sup>4</sup> محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 3، ص 34

خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُسَيْطِرُونَ<sup>1</sup> قال: كاد قلبي يطير وذلك أول ما قرأ الإسلام في قلبي<sup>2</sup>.

\* من السنة النبوية:

ما يروى أن النصارى أتوا إلى رسول الله ﷺ فخاصموه في عيسى بن مريم: وقالوا له من أبوه؟ وقالوا على الله الكذب والبهتان، فقال لهم النبي ﷺ أأستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء؟ قالوا بلى: قال أأستم تعلمون أن ربنا قيّم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه؟ قالوا بلى: قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً؟ قالوا: لا . قال أأستم تعلمون أن الله عز وجل لا يخفى عليه شيء لا في الأرض ولا في السماء؟ قالوا: بلى، قال: فهل يعلم عيسى من ذلك شيئاً إلا ما علم؟ قالوا: لا: قال: فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء فهل تعلمون ذلك؟ قالوا: بلى . قال: أأستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث؟ قالوا: بلى، قال: أأستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم عُذِّي كما يتغذى الصبي؟ ثم كان يطعم الطعام، ويشرب الشراب، ويحدث الحدث، فكيف يكون هذا كما زعمتم؟<sup>3</sup> قال الراوي: فعرفوا ثم أبوا إلا جحوداً، فأنزل الله تعالى ( أَلَمْ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ<sup>4</sup> )

فهذا نموذج من جدال النبي ﷺ لأهل الكتاب بالتي هي أحسن كما أمره الله تعالى، وإقامة الحججة عليهم وإلزامهم إياها فلم يجدوا بداً إلا الإقرار بها ورغم ذلك جحدوا بها واستقنتها أنفسهم .

## 2 . أسلوب التكرار:

يعتقد الكثير أن أسلوب التكرار والملاحقة من أنجح الأساليب في تكوين أو تغيير الرأي العام، وقد اعتنقت الكثير من المذاهب والدعوات قديماً وحديثاً هذا الأسلوب، ومنهم من يستعمل الدعاية كأسلوب لمخاطبة الجماهير ويخص بالتركيز الجانب العاطفي لا العقلي لترويج أفكار ومفاهيم معينة، فكيف كان أسلوب التكرار كمنهج لمخاطبة الناس وتثبيت الحقائق في نفوسهم في القرآن الكريم؟

<sup>1</sup> سورة الطور، الآيات: من 35 إلى 37

<sup>2</sup> ابن كثير، جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، ج7، ص 437

<sup>3</sup> انظر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، ج6، ص 154

<sup>4</sup> سورة آل عمران، الآيتان: 02.01

لقد بين العلماء أن أسلوب التكرار في القرآن ليس من محاسن الفصاحة فحسب بل هو أيضا لتأكيد المعاني وترسيخها في نفوس النَّاس لأنه كل ما تَكَرَّرَ تَقَرَّرَ . كما قيل . وأنه لزيادة التنبيه ولفت الأنظار، ومن باب التذكير لأن الكلام إذا طال يخشى نسيان بعضه فيعاد مرة أخرى.

وهكذا فإن أسلوب التكرار يتنوع في القرآن الكريم، فمنه ما يتكرر بلفظه ومعناه<sup>1</sup>، ومنه ما يتكرر بمعناه من عدة أوجه ليبيِّن أو يقرِّر في كل مرة معنى من المعاني يختلف عن الآخر، مثلما هو الحال بالنسبة لتكرار قصص الأنبياء مع أقوامهم، أو ذكر الجنة ونعيمها والنار وجحيمها... إلخ.

إن هذا التكرار في القرآن ليرسخ لدى الجماهير معاني معينة يتكون حول الوجدان الإسلامي وليرسخ مفاهيم إيمانية أو آداب وأحكام شرعية لا تزول بطول الزمن أو تقلب الأحداث.

### 3 . أسلوب عرض الحقائق:

من العوامل التي تجعل الجماهير تلتفت حول رأي معين أو قضية ما هو مصارحتها بالحقائق ووصول هذه الحقائق إلى أكبر عدد ممكن من النَّاس، ومما يؤكد أيضا مصداقية الخطاب، لأن الحقائق الملموسة أقوى أثرا وأبقى على الزمن من الأكاذيب والمغالطات أو التَّهْوِيل والشَّائعات<sup>2</sup>، ولذلك اعتمد الإسلام على عرض الحقائق وتوضيحها للنَّاس دون تزييف أو زيادة أو نقصان، ولذلك لم يستطع أحد من النَّاس أن يكذب أي حقيقة من الحقائق التي عرضها القرآن الكريم، بل لا يسع من يقرأه أو يستمع إليه بكل نزاهة وحيادية إلا أن يقرَّ بصدقه وصوابه، ودليل ذلك القصص القرآني، فلم يستطع أحد لحد الآن . منذ أربعة عشر قرنا . أن يأتي بدليل يقيني يكذب فيه قصة منه أو معلومة في قصة من قصصه، قال تعالى: ( لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ )<sup>3</sup>.

إن عرض الحقائق بهذه الصورة يجعل كلاً من الرّأي العام الموافق والمخالف يدعن لها ويسلم بل ويلتفت حولها ويصدق بكل ما جاءت به.

### 4 . أسلوب تحويل الانتباه:

<sup>1</sup> مثل قوله تعالى: ( هِيَ هَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ) سورة المؤمنون، الآية: 36 . وقوله تعالى: ( وَيَلَّ يَوْمَنَدٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ) في سورة

المرسلات تكررت 10 مرات، وقوله تعالى: ( كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ) سورة الفجر، الآية: 21 . وقوله تعالى: ( فَبَأْيِ

آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ) تكررت في سورة الرحمن 31 مرة

<sup>2</sup> انظر: مختار التهامي، عاطف عدلي العبد، الرّأي العام ، مرجع سابق، ص 111

<sup>3</sup> سورة يوسف، الآية: 111.

أحيانا يكون من الصعب معارضة الرأي العام السائد بين الناس حول مسألة معينة حتى وإن كان هذا الرأي أو الموقف أو التصور خطأ من وجهة نظر أولي الأمر أو القائمين على شؤون الأمة، أو لأنهم يخشون أن يكون هذا الموقف للرأي العام له تأثير سلبي أو نتائج سيئة على تماسكه واستقراره، ولذلك يحاول المسؤولون بكل ما يستطيعون وبما أوتوا من وسائل تحويل وجهة الرأي العام إلى الاتجاه المرغوب فيه، ومن ذلك نرى كيف حول رسل الله ﷺ اهتمام الجنود بعد هزيمة أحد مباشرة، فمن الغد حثَّ المسلمين على ملاحقة قريش وندبهم إلى المسير للقاء العدو مرة أخرى في حمراء الأسد واستجاب له كل من شهد معه غزوة أحد، فلما سمع جيش قريش خروج المسلمين إليهم مرة أخرى رجعوا مسرعين إلى مكة وفروا من مواجهة المسلمين مرة أخرى رغم أن المسلمين بقوا في حمراء الأسد مدة ثلاثة أيام ينتظروا المشركين فلم يأتوا، ويعد هذا في العرف العسكري انتصارا باهرا<sup>1</sup>، وهكذا استطاع النبي ﷺ بحكمته ونفاذ بصيرته أن يحول الهزيمة إلى نصر مبين، ويجول شعور الرأي العام الإسلامي من الحزن والهمم والألم نتيجة الهزيمة في أحد إلى الفرح والغبطة نتيجة الانتصار الذي حققوه في حمراء الأسد التي يعتبرها كُتاب السيرة جزءا من غزوة أحد.

### 5. أسلوب العقوبات والجزاء:

من الأساليب الواضحة التي اعتمدها الإسلام في توجيه الرأي العام أسلوب العقوبات والجزاء، فقد رتبَّ على المخالفات والمعاصي عقوبات دنيوية وأخروية، كما رتبَّ على الطاعات والأعمال الصالحة جزاء في الدنيا والآخرة، وذلك لتجنيب الرأي العام المزالق التي تؤدي به إلى الهاوية بارتكاب المعاصي أو شيوخ المنكرات، أو تفكك نسيجه وانحلال رباطه أو انهيار بنيانه. ومن ذلك أن الله تعالى رتبَّ على التزام الإيمان والعمل الصالح الجزاء الطيب في الدنيا والآخرة فقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ)<sup>2</sup>

. وقال تعالى: ( مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ )<sup>3</sup>

<sup>1</sup> انظر القصة في: المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 297 . 299

<sup>2</sup> سورة البروج، الآية: 11

<sup>3</sup> سورة النحل، الآية: 97

. وقال تعالى: ( وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ )<sup>1</sup>

. وقال تعالى: ( وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ )<sup>2</sup>

وقد ورد في السنة النبوية الكثير من الأحاديث التي يشير فيها النبي ﷺ المؤمنين بالجزاء الأوفى عند الله تعالى، نورد منها:

ما حدّث به أبو ذر -رضي الله عنه- قال أتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ فقال: (( ما من عبدٍ قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة )) قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: (( وإن زنى وإن سرق )) قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: (( وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر )) وكان أبو ذر إذا حدّث بهذا قال: وإن رغم أنف أبي ذر<sup>3</sup>.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (( اذهب بنعليّ هاتين فممن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة ))<sup>4</sup>

وعن أنس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دخل على شاب وهو في الموت فقال: (( كيف تجدك؟ )) قال: والله! يا رسول الله! إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي فقال رسول الله ﷺ: (( لا يجتمعان في قلب عبدٍ في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف ))<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 25

<sup>2</sup> سورة الزمر، الآيتان: 73، 74

<sup>3</sup> أخرجه البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج7، كتاب اللباس، باب الثياب البيض، ص 149، بتقييم: 5827

<sup>4</sup> أخرجه مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج1، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شك فيه دخل الجنة وحرم على النار، ص 59، بتقييم: 31

<sup>5</sup> أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، ج3، أبواب الجنائز، باب ما جاء في كراهية النعي، ص 302، بتقييم: 983، قال الترمذي: هذا حديث غريب، قال الألباني: حديث حسن.

وكما ورد في القرآن أسلوب الجزاء والترغيب فإنه وردت الآيات فيه بأسلوب العقاب والترهيب للذين كفروا وكذبوا بالإيمان وخالفوا التوحيد وركبوا الشِّرك وعبادة الأوثان، ومن ذلك:

وقوله تعالى: ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ )<sup>1</sup>

وقوله تعالى: ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلًّا بَعِيدًا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا )<sup>2</sup>

وقوله تعالى: ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ )<sup>3</sup>

ومن نماذج الترهيب من عقوبة الله تعالى من خلال السنة النبوية نورد ما يأتي:

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه قال أن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوءَةٌ حَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، أَلَا فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ.))<sup>4</sup>

وما رواه أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أصحابه شيء فخطب، فقال: (( عرضت علي الجنة والنار فلم أر كاليوم في الخير والشر ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا )) قال: فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه قال غطوا رؤوسهم وهم خنين<sup>5</sup> .

<sup>1</sup> سورة آل عمران، الآية: 91

<sup>2</sup> سورة النساء، الآيات: 167. 168. 169

<sup>3</sup> سورة آل عمران، الآية: 04

<sup>4</sup> أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، ج4، أبواب الفتن، باب ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم

القيامة، ص 483، برقم: 2191

<sup>5</sup> أخرجه مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج4، كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أولا

يتعلق به تكليف وما لا يقع، ونحو ذلك، ص 1832، برقم: 2359.. الحنين: صوت البكاء وهو نوع من البكاء دون

الانتحاب.

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه قال أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أَلَا إِنَّهُ يُنصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ، وَلَا غَدْرَةَ أَعْظَمَ مِنْ غَدْرَةِ إِمَامٍ عَامَّةٍ يُرَكِّزُ لَوَائِهِ عِنْدَ اسْتِنِهِ))<sup>1</sup>

فهذا الأسلوب يجعل المؤمنين يتشبثون بالإيمان ويتزودون من العمل الصالح لينالهم ثواب الله تعالى في الدنيا والآخرة، في حين يتعدون عن الشكر ومظاهره فضلا عن مظاهر الكفر والوثنية، كما يجعلهم يتحرون لدينهم بترك المعاصي والمنكرات التي حذرهم منها القرآن والسنة، وبذلك يحافظ المجتمع المسلم على خصائصه وسمته الذي يتميز به عن مجتمعات الكفر. إن الإسلام يريد أن يربي الرأي العام المسلم على الإيمان والأعمال الصالحة والأخلاق الرفيعة، ويوجهه التوجيه الذي يجعله يصلح ولا يفسد، كما ينمي فيه الخير ويرسخ فيه مكارم الأخلاق ويبعده عن أسباب الشر والانتكاس والانحراف.

### الفرع الثاني: الأساليب السلبية التي نبذها الإسلام

هناك جملة من الأساليب السلبية التي تستعملها بعض النظم السياسية الحديثة وروافدها من مؤسسات إعلامية لتكوين رأي عام حول قضية معينة تشغل بال هذه النظم، أو توجيهه بما يخدم مواقفها وسياساتها، أو تحويله عن وجهته التي لا تتوافق وغايتها أو مع خططها السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، وحتما أن مثل هذه الأساليب ينبذها الإسلام لأنها تتصادم وقيمته وأحكامه ومبادئه، ومن هذه الأساليب:

#### 1. أسلوب الترويح للعصبية القبلية أو النقاء العرقي:

ويرمي هذا الأسلوب إلى إثارة العواطف وبث روح الفرقة والعداوة بين الأفراد والشعوب ومن أمثلة ذلك في العصر الحديث " ترويح الدعاية النازية لأسطورة الجنس الآري والادعاء بأن الألمان هم شعب

<sup>1</sup> أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، ج4، أبواب الفتن، باب ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة، ص 483، رقم: 2191. يبين الحديث أن الغادر يعرف بلوائه يوم القيامة، واللواء يكون حسب غدرته، جاء في تحفة الأحوذى: " (وَلَا غَدْرَةَ أَعْظَمَ مِنْ غَدْرَةِ إِمَامٍ عَامَّةٍ) قَالَ التُّورِيشِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَرَادَ بِهِ الْمُتَعَلِّبُ الَّذِي يَسْتَوَلِي عَلَى أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ وَبِلَادِهِمْ بِتَأْمِيرِ الْعَامَّةِ وَمُعَاوَدَتِهِمْ إِيَّاهُ مِنْ غَيْرِ مُؤَامَرَةٍ مِنَ الْخَاصَّةِ وَأَهْلِ الْعَقْدِ مِنْ أَوْلِي الْعِلْمِ وَمَنْ يَنْضُمُ إِلَيْهِمْ مِنْ دَوِي السَّابِقَةِ وَوُجُوهِ النَّاسِ (يُرَكِّزُ) بِصِغَةِ الْمَجْهُولِ أَيُّ يُعْرَضُ كَمَا فِي رِوَايَةِ (لِوَاءِهِ عِنْدَ اسْتِنِهِ) الْعَجْزُ أَوْ حَلْقَةُ الدَّبْرِ أَيُّ يَنْصَبُ لِوَاءَهُ عِنْدَ اسْتِنِهِ تَحْفِيرًا لَهُ" شرح: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، تحفة الأحوذى، مرجع سابق، ج6، ص 357

الله المختار بما ميزهم به من ذكاء وقدرات خاصة تفوق غيرهم من البشر، وتحتم عليهم إدارة شؤون العالم أجمع للأخذ بيد الشعوب الأخرى التي على درجات من التخلف.<sup>1</sup> وقد ادعى اليهود منذ القديم أنهم شعب الله المختار وأنهم أبناء الله وأحباؤه وأنهم الجنس المفضل في العالم ولحد الآن مازالت الحركة الصهيونية تدّعي " أن اليهود هم شعب الله المختار الذي عانى الاضطهاد طويلا من الأمم الأخرى وقد آن الأوان لكي يلمّ شمله ويحقق مشيئة الله بدءا من الأرض العربية وانتهاء بما يخفون حاليا.<sup>2</sup>

وإذا كان الله تعالى جعل لأمة الإسلام الخيرية عن باقي الأمم الأخرى بقوله تعالى: ( كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ )<sup>3</sup> فالخيرية هنا ليست بسبب جنسها أو عرقها وإنما بسبب ما تقوم به من نشر الإيمان وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأرض، فإذا تخلت عن واجبها في ذلك لم تكن لها هذه الخيرية.

إن الإسلام نهي عن العصبية العرقية أو القبلية، بل وحاربها وعدّها من العادات الجاهلية المنبوذة، وجعل الأفضلية بين الناس بالتقوى والعمل الصالح، قال تعالى: ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ )<sup>4</sup> قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: " فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء سواء، وإنما يتفاضلون بالأمر الدينيّة وهي طاعة الله ومتابعة رسوله ع<sup>5</sup>، وقد قال رسول الله ع:

(( يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدٍ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبْلَغْتُ، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ))<sup>6</sup>

<sup>1</sup> مختار التهامي وعاطف عدلي العبد، الرأي العام، مرجع سابق، ص 113

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 114

<sup>3</sup> سورة آل عمران، الآية: 110

<sup>4</sup> سورة الحجرات، الآية: 13

<sup>5</sup> ابن كثير، جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، ج7، ص 385

<sup>6</sup> أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ج38، ( ط: 01، لا.م، مؤسّسة الرّسالة، 1421هـ / 2001 م)، أحاديث رجال من أصحاب النبي ع، حديث رجل من أصحاب النبي ع، ص 474، برقم: 23489.

وهكذا فإن الإسلام قضى على هذه النزعة العرقية، واعتبر الرجوع إليها هو رجوع إلى براثن الجاهلية، وأن المجتمع الإسلامي لا يقوم على هذه الإدعاءات الكاذبة للتمييز العرقي أو القبلي أو الجنسي، فكل الناس سواسية في الانتماء البشري، ولا يختلف أحد عن الآخر إلا بمقدار تقواه وما يقدمه من أعمال صالحة بين يدي الله تعالى، وما ينفع به مجتمعه وأمته. ولذلك فإن أي إثارة للرأي العام على خلفية العصبية العرقية أو الجنسية لا تجد صداها في المجتمع المسلم.

## 2. أسلوب التزوير والخداع:

هناك أمثلة كثيرة تشهد على استغلال الدعاية في بعض الحوادث للتزوير وخداع الرأي العام لأجل تمرير مشاريع معينة أو أفكار ذات أهداف مخصوصة، ومن ذلك استغلال سحرة فرعون مهاراتهم في السحر لأجل مجابهة معجزة موسى عليه السلام، ومن هذا القبيل ما يمارسه الدجالون والمشعوذون لخداع من يستهدفون من سدج، ويصل بعض الناس التزييف العلمي باستخدام بعض الوسائل التكنولوجية أو الإحصاءات لتزييف الحقائق وترويج الأكاذيب لأجل كسب ثقة الرأي العام أو التعاطف مع قضاياهم وتأييده في موافقهم أو تجنب غضبه، ومن ذلك ما تنشره بعض الدوائر حكومية وغير حكومية . من بيانات وإحصاءات كاذبة تأخذ صورة الجداول الإحصائية تنشر بكثرة في أوقات الأزمات والانتخابات.<sup>1</sup>

أما الإسلام الذي وطن أتباعه على الصدق والأمانة وتحري الدقة في نقل الأخبار وإذاعتها فإنه ينبذ هذا الأسلوب، بل ويحرمه لما فيه من كذب وتدليس على المجتمع ويكون سببا للفرقة وزعزعة أمنه واستقراره، وإذا كان الإسلام حرم الكذب والتزوير أن يكون أسلوبا لتعامل الفرد فكيف يبيحه أسلوبا لتعامل الجماعة؟!

واعتبر الإسلام شهادة الزور بأي أسلوب كان من أكبر المحرمات على المسلم، قال تعالى: (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ)<sup>2</sup> فقد قرنت الآية قول الزور بعبادة الأوثان، وكان شهادة الزور تعادل الشرك بالله تعالى، وذلك لأنها ظلم الإنسان لنفسه بأن استوجب العقوبة بهذه الشهادة، وظلم الإنسان لغيره بأن افتكَّ حقا عصمه الله تعالى من مال أو عرض أو دم. فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْكِبَائِرَ، أَوْ سُئِلَ عَنِ الْكِبَائِرِ فَقَالَ: ((الشِّرْكُ

<sup>1</sup> انظر مختار التهامي وعاطف عدلي العبد، الرأي العام، مرجع سابق، ص 117 . 118

<sup>2</sup> سورة الحج، الآية: 30

بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، فَقَالَ: أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ قَالَ: قَوْلُ الزُّورِ، أَوْ قَالَ: شَهَادَةُ الزُّورِ))<sup>1</sup>. ونفس الموقف يتخذه الإسلام من الكذب فهو من أكبر المحرمات وأرذل الأفعال التي نَفَر منها، وحذر من أن يكون الكذب أسلوباً للتعامل والتواصل بين المسلمين فقال تعالى: ( إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ )<sup>2</sup> وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (( آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا أَوْثَمَنَ خَانَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ))<sup>3</sup>. ولذلك فالمسلم لا يمكن أن يتخذ الكذب وسيلة لبلوغ غايته ولو كانت نبيلة، لأن المقصد الصالح لا يُبْنَى إلا على وسيلة جائزة شرعاً. وإن أي رأي عام يتشكل على الكذب والتزوير لا يمكنه الاستمرار والبقاء، ولا يمكن أن يرحى منه خير أو نفع للأمة أو للمجتمع الذي قام فيه.

### 3. الحرب النفسية:

الحرب النفسية من الأساليب التي تلجأ إليها كثير من الحكومات أو بعض فئات من الناس في العصر الحديث لإثارة الرأي العام وتقليبه وتوجيهه وفق الهدف الذي تريده هذه الجهات، وهذا الأسلوب أستعمل منذ القديم، ولكن لم يبلغ الطابع التنظيمي والتخطيطي الشامل كما بلغه في عصرنا الحديث. وقد عرفت وزارة الحربية الأمريكية سنة 1955م الحرب النفسية بقولها: "الحرب النفسية استخدام مخطط من جانب دولة أو مجموعة دول للدعاية وغيرها من الإجراءات الإعلامية التي تستهدف مجموعات معادية أو محايدة أو صديقة للتأثير على آرائها وعواطفها وأبجهاها وسلوكها، بطريقة تساعد على تحقيق سياسة الدولة أو الدول المستخدمة لها وأهدافها"<sup>4</sup> ومن العناصر الأساسية<sup>5</sup> التي تقوم عليها الحرب النفسية الشائعات.

<sup>1</sup> أخرجه البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج8، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، ص 04 بترقيم:

5977

<sup>2</sup> سورة غافر، الآية: 28

<sup>3</sup> أخرجه البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج3، كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد، ص 180، بترقيم:

2682

<sup>4</sup> مختار التهامي وعاطف عدلي العبد، الرأي العام، مرجع سابق، ص 122

<sup>5</sup> العناصر الأساسية التي تقوم عليها الحرب النفسية ثلاثة: الشائعات، وافتعال الأزمات، وإثارة الرعب ( انظر المرجع نفسه، ص

و"الشائعات هي الترويج لخبر مخلوق، لا أساس له من الواقع، أو تعمد المبالغة أو التهويل أو التشويه في سرد خبر فيه جانب ضئيل من الحقيقة أو إضافة معلومة كاذبة أو مشوهة لخبر معظمه صحيح، أو تفسير خبر صحيح والتعليق عليه بأسلوب مغاير للواقع والحقيقة وذلك بهدف التأثير النفسي في الرأي العام المحلي أو الإقليمي أو العالمي أو النوعي، تحقيقاً لأهداف سياسية أو اقتصادية أو عسكرية على نطاق دولة واحدة أو عدة دول، أو النطاق العالمي بأجمعه.<sup>1</sup> وإذا كان هذا التعريف للشائعات على المستوى السياسي، فإن المعنى نفسه يصدق على الصعيد الاجتماعي ويكون لها الأثر نفسه، وإن مثل هذا الأسلوب ينبذه الإسلام لأن فيه كثيراً من التزوير والتلفيق واعتماد أسلوب الكذب والتحريف وهي من المحرمات التي تطرقنا إليها من قبل.

إن المجتمع الإسلامي في عهد النبوة لم يسلم من هذا الأسلوب غير الأخلاقي عندما رمى المنافقون أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - الصديقة الطاهرة العفيفة زوج رسول الله ﷺ بالزنا كذبا وزورا، وكان لهذا الحادث أثر بالغ على المجتمع الإسلامي في المدينة آنذاك، وظلت المدينة تروج بتلك الشائعة مدة شهر كامل، ولم يستقر له قرار إلا بعد نزول آيات القرآن تبرى ساحة أم المؤمنين - رضي الله عنها - والصحابي الجليل صفوان بن المعطل - رضي الله عنه -، وعلى إثر هذه الحادثة نزلت الآيات أيضا تعلم المسلمين أن لا يستجيبوا للشائعات وكيف ينبغي مواجهتها بحسن ظن المؤمنين بعضهم ببعض، ورد كل خبر غير موثق في قوله تعالى: ( لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ )<sup>2</sup>. ولتحصين المؤمنين ضد الشائعات عموما أمر الله تعالى بالثبوت والتبين من جميع الأخبار التي ترد إلى أسماعهم وعدم التسليم بها دون دليل أو بيينة فقال تعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ )<sup>3</sup>. وقد نزلت هذه الآية بسبب شائعة سرت في المدينة على عهد رسول الله ﷺ اختلقها أحد المسلمين كادت أن تؤدي بقتل طائفة من المسلمين وهلاكهم لولا حفظ الله تعالى وتبين الأمر، جاء في مسند الإمام أحمد: عن الحارث بن أبي ضرار الخزازي، قَالَ: ((قَدِمْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 122

<sup>2</sup> سورة النور، الآيتان: 12 . 13

<sup>3</sup> سورة الحجرات، الآية: 06

ع، فدعاني إلى الإسلام، فدخلت فيه، وأقررت به، فدعاني إلى الزكاة، فأقررت بها، وقُلت: يا رسول الله، أرجع إلى قومي، فأدعُوهم إلى الإسلام، وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته، فيُرسل إلي رسول الله ع رسولاً لإبان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له، وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله ع أن يُبعث إليه، احتبس عليه الرسول، فلم يأتيه، فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله عز وجل ورسوله، فدعا بسرّوات قومه، فقال لهم: إن رسول الله ع كان وقت لي وقتاً يُرسل إليّ رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله ع الخلف، ولا أرى حبس رسول الله إلا من سخطه كانت، فانطلقوا، فنأتي رسول الله ع، وبعث رسول الله ع الوليد بن عتبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق، فرق، فرجع، فأتى رسول الله ع، وقال: يا رسول الله، إن الحارث منعني الزكاة، وأراد قتلي، فضرب رسول الله ع البعث إلى الحارث، فأقبل الحارث بأصحابه إذ استقبل البعث وفصل من المدينة، لقيهم الحارث، فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم، قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله ع كان بعث إليك الوليد بن عتبة، فرعم أنك منعه الزكاة، وأردت قتله قال: لا، والذي بعث محمدًا بالحق، ما رأيته بته، ولا أتاني فلما دخل الحارث على رسول الله ع، قال: " منعت الزكاة، وأردت قتل رسولي؟ " قال: لا، والذي بعثك بالحق ما رأيته، ولا أتاني، وما أقبلت إلا حين احتبس عليّ رسول رسول الله ع، خشيت أن تكون كانت سخطة من الله عز وجل، ورسوله. قال: فنزلت الحجرات (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)<sup>1</sup> إلى هذا المكان: (فضلاً من الله ونعمةً والله عليم حكيم)<sup>2</sup>)).<sup>3</sup>

إن خطر الشائعات على الصعيد السياسي والاقتصادي والعسكري والاجتماعي لا يخفى على أحد، فهي تعمل على تدمير القوى المعنوية للمجتمع وتبث الفرقة والشقاق بين أفرادها وقد تؤدي إلى الضعف والانهيار والفتنة بين الناس والشعوب، لذلك حرمها الإسلام وحذر منها ودعا إلى الوقاية

<sup>1</sup> سورة الحجرات، الآية: 06

<sup>2</sup> سورة الحجرات، الآية: 08

<sup>3</sup> أخرجه أحمد، مسند الإمام أحمد، مرجع سابق، ج30، مسند الكوفيين، حديث الحارث بن ضرار الخزاعي، ص 403، برقم:

منها ومن آثارها وحمل الجميع مسؤولية تجنبها، قال تعالى: ( وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا )<sup>1</sup>.

قال ابن كثير: " وقال قتادة: لا تقل: رأيت، ولم تر، وسمعت، ولم تسمع، وعلمت، ولم تعلم؛ فإن الله سائلك عن ذلك كله، ومضمون ما ذكره: أن الله تعالى نهي عن القول بلا علم، بل بالظن الذي هو التوهم والخيال، كما قال تعالى: ( اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ )<sup>2</sup>.. " <sup>3</sup>

## المبحث الرابع: الرأي العام في الإسلام والأيدولوجيات المعاصرة

نريد أن نشير هنا - بدءا - إلى أن الرأي العام في الإسلام يتبوأ مكانة سامية في الإسلام منطلقا من القواعد التي أرساها في المجتمع الإسلامي المتمثلة خاصة في الحرية والشورى، وأن الأحداث التي مرَّ بها المسلمون في عهد رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين تبين مدى احترامهم للرأي العام والاهتمام به. لكن السؤال الملح الذي يفرض نفسه هنا يتركز على مدى الاتفاق والاختلاف بين مفهوم الرأي العام في المجتمعات المعاصرة ومفهومه في الدين الإسلامي؟

والإجابة عن هذا السؤال تتطلب تقديم مختصر لحقيقة الرأي العام في النظم الأيدولوجية المعاصرة من خلال نظمها السياسيّة والتي تتخذ شكلين: الشكل الديمقراطي، والشكل الاستبدادي، ومقارنة ذلك بالرأي العام في النظام الإسلامي.

## المطلب الأول: الرأي العام في النظم الديمقراطية المعاصرة

<sup>1</sup> سورة الإسراء، الآية: 36

<sup>2</sup> سورة الحجرات، الآية: 12

<sup>3</sup> ابن كثير، جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، ج5، ص 75

"إن النظام الديمقراطي يقوم أساساً على أن يتولى الرأي العامّ ممثلاً في برلماناته ومجالسه المختلفة اختيار النهج الذي يريده في مختلف مناحي حياته، وتنظر الديمقراطيات الغربية إلى الرأي العامّ نظرة إكبار وإجلال وتمنحه سلطات واسعة وتطلق له العنان كي يسوغ الحياة في مجتمعه بالشكل الذي يترأى له، فهو مصدر السلطات أو هو صانع القوانين والدساتير، وهو الذي يحمي مؤسسات الدولة المختلفة ويرعاها أو يهدمها ويستبدلها.<sup>1</sup> في حين ترفع هذه النظم شعار الحريّات السياسيّة والاقتصادية وحرّيّة السلوك والاعتقاد ولا يقف في وجه الرأي العامّ شيئاً، وترى هذه النظم أن الدولة يجب أن تحكم الشعب بإرادته لتحقيق رغباته.

" وفي الديمقراطيات الغربية تستمد الحكومات الشعبيّة قوّتها وفعاليتها من قوّة وتأييد الرأي العامّ لها، حيث يلعب الرأي العامّ . في هذه النظم . دوراً أساسياً في العمليّة السياسيّة، وفي استمرار هذه الحكومات في مقاعد الحكم وفي مدى هذا الاستمرار، وتتجدّد طبيعة النظام الديمقراطي السائد من خلال الدور الذي يلعبه الرأي العامّ، والدور الذي يلعبه الشعب في السُلطة ومدى مقدرته على التأثير وقيادة العمليّة السياسيّة، بل أصبح الحكم الآن على أن النظام الديمقراطي أو التسلطي يتوقف على مدى تدخل الشعب وحجم اختصاصه<sup>2</sup> وبالتالي فإنه أصبح على عاتق الرأي العامّ في الديمقراطيات الحديثة دور الرقابة الشعبيّة على أعمال السُلطة الحاكمة وتأييدها أو رفضها، كما يقوم الرأي العامّ في هذه الأنظمة باختيار ممثليه في المجالس الشعبيّة، ويتولّى رقابتهم ومن ثمّ تركيتهم أو عزلهم.

في حين أن "النظم الديمقراطية مطالبة بتزويد الجماهير بالمعلومات الكافية والأخبار السليمة والحقائق الصادقة حتى يتمكن الرأي العامّ من إصدار حكمه في الموضوعات المطروحة بشكل موضوعي، وحتى لا تجرد الشائعات وحملات الهمس طريقها إلى الرأي العامّ تنخر في كيانه، وتهز من تماسكه، وحتى لا تطرأ أحداث فجائية تطيح بهذا النظام.<sup>3</sup> وهنا لا بد أن نؤكد أن الرأي العامّ غرسٌ ديمقراطيّ نبت وترعرع واشتدّ عوده في مناخ من الحريّات العامّة لا يتمكن من حفظ كيانه وإتيان ثماره إلا في ظل الحريّة.

<sup>1</sup> محيي الدّين عبد الحليم، الرأي العامّ في الإسلام، مرجع سابق، ص 92

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 92

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 93

## المطلب الثاني: الرّأي العامّ في النّظم الاستبدادية

أما في النّظام الاستبدادي التّسلّطي "فإن السّلطة تنبع من مصدر معين فوق الشّعب، ولا يسمح هذا النّظام بتشكيل المؤسّسات والتّنظيمات التي تسهم في صناعة الرّأي، كما لا يسمح بمزاولة الأنشطة السياسيّة المختلفة التي سيحكم بها الأفراد إلا في حدود ما تتم الموافقة عليها من قبل السّلطة، وفي الحالات التي ترضى عنها وتوجيه وإشراف مباشر من قبل الجماعة الحاكمة، وهذه السّلطة تفترض بالطبع أنّها تعرف أكثر من غيرها ما يصلح وما لا يصلح لجماهير الشّعب.<sup>1</sup> وبناء عليه فإن هذه النّظم هي التي تفرض القوانين التي تلائمها وتضمن استمرارها، أي أن مصدر القوانين من السّلطة الحاكمة وليس من المؤسّسات الجماهيرية كما هو الحال في النّظم الديمقراطيّة .

وهكذا نرى أن الرّأي العامّ في النّظم الاستبدادية "يقوم على كبت الحرّيّات وعدم إعطاء الفرصة للجماهير كي تلعب دورها في مستقبل الوطن، ولا يسود سوى الرّأي العامّ الذي تستميله السّلطة الاستبدادية... وتسخر هذه النّظم أجهزة الاتّصال المختلفة لتحقيق أغراضها معتمدة في ذلك على التهويل والمبالغة وتضليل الرّأي العامّ، رافعة الشّعاعات الرّائفة والكلمات الضّخمة الرّثانة والعبارات المضلّلة."<sup>2</sup> كما تسجّر هذه النّظم وسائل الاتّصال للسيطرة على عقول ونفوس الجماهير بهدف استقطاب الرّأي العامّ للوقوف خلفها وتأييد مواقفها وسياساتها، وهذا دأب جميع النّظم الاستبدادية. "إن حركة الجماهير في هذه النّظم محسوبة ومقيدة بما تبغيه السّلطة منها، وليس لهذه الجماهير حقوق تذكر لدى السلطات التي تحكمها أو الزعامات التي تفرض عليها، وبالتالي فإن الرّأي العامّ يتم تشكيله بشكل معين، ذلك أن وسائل التعبير والاتّصال عادة ما تكون مملوكة للسّلطة، أو واقعة تحت راقبتها وإدارتها. كما أن الجماهير في هذه النّظم ليست مصدر السّلطة وليست صانعة للقوانين."<sup>3</sup> وإن مؤسّسات الدّولة المختلفة ( الاقتصادية والاجتماعية والسياسيّة والثقافيّة ) ليست تحت حماية الرّأي العامّ وإنما تحميها الدّولة ممثّلة في رجالها وأدواتها، فهي التي تديرها وتوجهها الوجهة التي ترتضيها.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 93 . 94

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 94

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 95

"إن أبرز الخصائص التي تميز النّظم الاستبدادية هي إنفراد الحاكم بجميع السلطات دون رقابة من أحد"<sup>1</sup> ويترب على ذلك حرمان الجماهير من حقوقها السياسيّة، وهو الأمر الذي يؤدي إلى عدم النضج السياسي للجماهير وكبت رغباتهم، وهذا يؤدي إلى شعور النّاس بالخوف والذل وانعدام الكيان المتميز للفرد داخل المجتمع.

"وتحجب النّظم الاستبدادية الرّأي العامّ الذي يعكس اتجاهات الجماهير الحقيقيّة عن الظهور فيظل كامنا غير ظاهر، بينما توجد محاولات أخرى تقوم بها السّلطة الحاكمة لخلق رأي عامّ موال لها يؤيد سياستها، ويوافق على قراراتها دون مناقشة أو دراسة. ويتكون الرّأي العامّ المؤيّد لهذه النّظم من جماعات المصلحة وذوي المنافع الشخصية والمؤيدين للسّلطة، وهو رأي عامّ لا يعكس نبض الجماهير واتجاهاتها الصحيحة، كما تفرض السّلطة الحاكمة قادة لهذا الرّأي المزيف كي يعملوا على تكوين هذا الرّأي العامّ المؤيّد لها."<sup>2</sup> ولكن الرّأي العامّ الحقيقي في هذه النّظم كثيرا ما يعبر عن نفسه بالوسائل السلبية كالتشائعات والتنظيمات السريّة والتعليقات الساخرة والنكت الهادفة، وغير ذلك.

وعموما فإن الرّأي العامّ موجود سواء أكان في النّظم الديمقراطيّة أو النّظم الاستبدادية ويؤدي وظيفته في كليهما، ولكن الخلاف بينهما يكمن في نظرة كلّ منهما للرّأي العامّ والدور المنوط به.

### المطلب الثالث: الرّأي العامّ في الإسلام

من البديهيات المعروفة في النّظام الإسلاميّ أن الشّكل العامّ الذي يقوم عليه هذا النّظام قد وضعه الحقّ جل وعلا، وليس لبشر أن يخرج عن هذه القاعدة الأصليّة، "وإن كان التشريع الذي أتى به الإسلام لم يتعرض للتفصيلات بما فيها شكل الحكم وكيفية التعامل مع الرّأي العامّ ، تاركا لكل مجتمع أن يضع لنفسه الصيغة الملائمة، وفي ذلك يقول الحقّ تعالى: (اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَدْكُرُونَ)<sup>3</sup>. ويقول جل وعلا: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 95

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 96

<sup>3</sup> سورة الأعراف، الآية: 03

مُبِينًا)<sup>1</sup>. ويقول سبحانه: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)<sup>2</sup>...<sup>3</sup>

وإذا كان النظام الإسلامي يلتزم بما شرعه الله "فليس معنى هذا أن الحكومة الإسلامية حكومة ثيوقراطية مقدسة أي حكومة دينية، ويقصد بها الدولة التي يستمد فيها الحاكم سلطته من عند الله، ذلك أن هذا النظام الذي تقوم عليه الحكومات الدينية يقوم على أسس ومبادئ غير إسلامية. فالنظام الإسلامي كان في الصدر الأول من الإسلام نظاما إنسانيا، يقع فيه الخطأ والصواب، ويتاح للناس أن يعرفوا منه وأن ينكروا عليه، فلا يحيط الحاكم نفسه بهالة من القداسة تحول بينه وبين حق الرأي العام في انتقاده وتقومه.<sup>4</sup> ويكفي هنا تقديم نموذجين يدلان على مدى اهتمام الخلفاء الراشدين بالرأي العام واستشارته وأخذ القرارات بناء عليه:

أ. في عهد أبي بكر الصديق. رضي الله عنه.: "يتمثل اهتمام خلفاء رسول الله ﷺ بالرأي العام وحرصهم على كسب وده في أول خطبة لأبي بكر حين تولى الخلافة. قال أبو بكر لجماهير المسلمين المحتشدة أمامه: ((أيها الناس... إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني)) ويتضح لنا من هذا الكلام حجم التقدير الذي أولاه أبو بكر للجماهير والذي أزال عن نفوسهم أي رهبة للحاكم مؤكدا لهم أنه قد يكون منهم من هو أخير منه بقوله: ((إني قد وليت عليكم ولست بخيركم)) ثم أعقب ذلك بتحميلهم مسؤولية الإدلاء بأرائهم نحو ما يقدمه من أعمال... كما حملهم تبعه التقصير إذا حاد عن جادة الصواب ولم ينبهوه ويلفتوا نظره بل أوجب عليهم أن يردوه إلى الصواب." وسار أبو بكر على هذا النهج في خلافته فكان لا يبرم أمرا هاما يخص الأمة إلا إذا رجع إلى الناس.

ب. في عهد عمر بن الخطاب. رضي الله عنه.: تؤكد لنا سيرته أنه لم يستقل دون أصحابه برأي في أمور الخلافة "فاستشارهم حين طلب منه عمرو بن العاص الإذن بفتح مصر، واستشارهم في من يقود المسلمين في حرب فارس، وأشاروا عليه باختيار سعد بن أبي وقاص فاختره، واستشارهم في تأمين أرض السواد عندما جعلها كلها ملكا للأمة وليست ملكا للأفراد، واستشارهم في حد شارب

<sup>1</sup> سورة الأحزاب، الآية: 36

<sup>2</sup> سورة النساء، الآية: 65

<sup>3</sup> محيي الدين عبد الحلیم، الرأي العام في الإسلام، مرجع سابق، ص 97

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 99

الخمر وجعله ثمانين جلدة بعد أن أفتى علي بن أبي طالب بذلك، وجعل الشورى في نفر من الصحابة عينهم ليرشحوا من بينهم خليفة من بعده.<sup>1</sup> فاستشارة عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . للصحابة في هذه المواضيع تؤكد لنا مكانة الرأي العامّ عنده وأنه لا يفري أمرا ذا بال إلا بعد الرجوع إليه .

ويحكي لنا التاريخ الإسلامي عن واقعة لعمر بن الخطاب . رضي الله عنه . حين أراد أن يختار واليا فقال لأصحابه: (( أشيروا علي ودلوني على رجل أستعمله في أمر قد دهمني فقولوا ما عندكم فياني أريد رجلا إذا كان في القوم وليس أميرهم كأنه أميرهم، وإذا كان أميرهم كان كأنه واحد منهم، فقالوا نرى لهذه الصفة ( الربيع بن زياد الحارثي ) فنشير على أمير المؤمنين به فاستدعاه عمر فولاه ووفّق في عمله وحقّق ما أراد عمر " 2

وهذا يوضح لنا القيمة الكبيرة التي ينظر بها الإسلام إلى الرأي العامّ المسلم، "وبالتالي فإن الله تبارك وتعالى يعطيه سلطة تنفيذ أوامره والالتزام بأحكامه على هذا الكوكب، كما يعطيه حرّية التفكير والاجتهاد بالرأي والمشورة، ولكن الرأي العامّ ليس مطلق السراح يفعل ما يشاء دون ضابط أو رابط كما هو الحال في الديمقراطيات الغربية، كما أنه ليس مكبلا بالقيود والسلاسل كما هو الحال في النّظم الاستبدادية.<sup>3</sup> ومن هذا يتبين لنا أن النّظام الإسلاميّ يختلف في نظرتة للرأي العامّ عن النّظم الديمقراطية، حيث يكون الحكم خاضعا لرغبات وأهواء الرأي العامّ حتى وإن أراد هذا الرأي العامّ اليوم عكس ما أراده الأمس، أو خالف القيم والأخلاق والمبادئ والقوانين والأعراف، كما يختلف النّظام الإسلاميّ في نظرتة للرأي العامّ عن الأيديولوجيات الاستبدادية، حيث تفرض نفسها وتحكم الشعوب رغما عنها. ذلك أن أي نظام يستغني عن استشارة الرأي العامّ والاستعانة به يصبح نظاما فاشلا لا يصل بالمجتمع إلى العدل المطلوب الذي هو المقصد الأسمى في الحياة.

## المطلب الرابع: أوجه الاتّفاق والاختلاف بين الرأي العامّ في الإسلام والمفاهيم

### الحديثة

<sup>1</sup> محمد الصادق عفيفي، المجتمع الإسلاميّ وأصول الحكم، ( ط: 01، لا.م، دار الإعتصام، 1980م )، ص 78 . 79

<sup>2</sup> عبد اللطيف حمزة، الإعلام في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، ص 52

<sup>3</sup> محيي الدّين عبد الحلّيم، الرأي العامّ في الإسلام، مرجع سابق، ص 100

حدّد العلماء والباحثون جملة من المهام التي يتولاها الرّأي العامّ، فهو يتحمل مسؤوليات جسام في الأُمّة، ولا فرق في ذلك بين حاله في المجتمعات المعاصرة أو في الإسلام، إلا أن التوافق والانسجام ليس دائما، فهناك أوجه اتّفاق وأوجه اختلاف بين حقيقة الرّأي العامّ في الإسلام ومفهومه في الأيديولوجيات الحديثة.

## الفرع الأول: أوجه الاتّفاق

### 1. الرّأي العامّ يرعى المثل الاجتماعية والخلقيّة:

يتفق العلماء - حديثا - على أن الرّأي العام من أهم العوامل لحماية الأخلاق والمثل العليا في المجتمع، ف"يرى ماكدوجال<sup>1</sup> أن الرّأي العامّ هو أحد العوامل الأربعة الكبرى التي تحمي المثل الخلقية بجانب القوّة، والعادات والتقاليد، والعقل، والرّأي العامّ يعتبر بهذا أقوى سند للأخلاق، نظرا لضخامة كتلة الجماهير فهو موجود دائما ويعمل في نفس المكان الذي قد تنتهك فيه حرمة الأخلاق. وهولا يستمع إلى أية حجج، بل يقر العقوبة في الحال، ولا يسمح بأي تأخير أو تباطؤ في توقيع الجزاء، وييدي إجلاله أو تحقيره في التو واللحظة. والتعظيم واللوم هما اللغة التي يدمغ بهما الرّأي العامّ السلوك ويعلن المثل الخلقية."<sup>2</sup> والتعظيم واللوم هما اللذان يرفعان من قيمة المرء وشخصيته أو يحطان منها، وهذه لا تعرف التأجيل أو التباطؤ.

"الرّأي العامّ بهذا المفهوم يقوم بوظيفة الحارس على الأخلاق المستمدة من القيم الدّينيّة والروحية. والنظرة الإسلاميّة للرّأي العامّ تتفق مع أفكار هؤلاء الخبراء والباحثين، فالرّأي العامّ الإسلاميّ مطالب بالحفاظ على الأخلاق الإسلاميّة التي وردت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وعليه أن يقاوم أي انحراف أو خروج عن المثل التي جاء بها الإسلام، بل وألزم جميع المسلمين بعدم السكوت على أي خطأ، بل مقاومة أي منكر يواجهونه"<sup>3</sup> وهو الأمر المتضمن في حديث رسول الله

<sup>1</sup> دانكال ماكدوجال ( 1866 . 1920 ): طبيب أمريكي مشهور، إشتهر في بداية القرن العشرين عندما نشر أبحاثه في وزن الروح، وبين أن للروح وزن قدرها بـ 21 غراما ( ويكيبيديا الموسوعة الحرة،

[https://fr.wikipedia.org/wiki/Duncan\\_MacDougall\\_\(médecin\)](https://fr.wikipedia.org/wiki/Duncan_MacDougall_(médecin))، تاريخ النصف،: 03 / 20 ( م 2016 )

<sup>2</sup> محيي الدّين عبد الحلّيم، الرّأي العامّ في الإسلام، مرجع سابق، ص 102.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 102 . 103

ع: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ))<sup>1</sup>

## 2. الرّأي العامّ يدعم الهيئات والمنشآت:

بدون مساندة الرّأي العامّ للهيئات الاجتماعية وتجيده لأعمالها فإن تلك الهيئات يكون نشاطها محدود جدا إن لم يتوقف تماما. "إن هذه المؤسسات يجب أن تحظى بقدر من الرضا العامّ عن نشاطها إذا أريد لها أن تؤدي عملها في مناخ ديمقراطي، والمنشآت التي تفقد ثقة الرّأي العامّ بها يصعب عليها الحصول على التأييد المالي والاعتمادات السنوية، ولاسيما المؤسسات الخاصّة التي تعيش على سمعتها، فإذا لم يكن للمنشأة الاجتماعية مكانة في أعين الجماعة فإنها لا تستطيع النهوض بوظيفتها بل قد لا تستطيع أن تعيش، وقد تضطر إلى إشهار إفلاسها وإغائها في نهاية الأمر."<sup>2</sup> ولذلك لا بد على قادة الهيئات التي تقوم بنشاطات جديدة أن تحرص دائما على سمعتها إذ أن سند الرّأي العامّ لها مهمّا جدا في نجاحها واستمرارها.

"والرّأي العامّ المسلم الذي يملك سلطة رقابة أعمال المسؤولين ومحاسبتهم وعزلهم من مواقع عملهم سواء على الصعيد القومي أم المحلي... يملك بدوره سلطة مساندة الهيئات المذكورة وتأييده لها ودعمه لأنشطتها، كما يملك حق سحب ثقته من هذه الهيئات والمنشآت ويطلب إغائها إذا لم تؤد الدور الملقى على عاتقها بالصورة التي ترضي الله وتحقق المصلحة العامّة للجماهير. وبالتالي فإن الرّأي العامّ المسلم مدعو لأداء وظيفته هنا من خلال النظر وتقييم أعمال المنشآت والمؤسسات المختلفة والحكم عليها سلبا أو إيجابا وعلى ضوء حكمها يتقرر مصيرها."<sup>3</sup> ويتضح لنا الدور البارز للرّأي العامّ المسلم من خلال قوله تعالى: ( وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ )<sup>4</sup>

## 3. الرّأي العامّ يرفع الروح المعنوية للجماهير:

تأييد الرّأي العامّ أمر أساسي إذا أريد أن تكون هناك روح معنوية عالية، "ومما يقوّي الروح المعنوية في الشعب الاتّفاق على الأهداف، والعزم الأكيد على تحقيقها، والثقة بالزعماء، والثقة بأبناء الشعب، والوحدة داخل الجماعة، أو الشعور بالمشاركة في حاضر الوطن ومستقبله.

<sup>1</sup> سبق تحريجه.

<sup>2</sup> محيي الدّين عبد الحلّيم، الرّأي العامّ في الإسلام، مرجع سابق، ص 104

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 104

<sup>4</sup> سورة التوبة، الآية: 105

وإذا كان خبراء الرأي العام يرون أن الحفاظ على الروح المعنوية من الأدوار الرئيسية المنوطة بالرأي العام، فإننا لا نجد الإسلام قد جاء بما يخالف هذه المهمة الرئيسية من مهام الرأي العام.<sup>1</sup> فالإسلام إذا حث الجماعة المسلمة على التعاون والبر والتقوى فإنه مما يهدف إليه رفع الروح المعنوية لدى هذه الجماعة يقول تعالى: ( **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** )<sup>2</sup>. ويقول عليه الصلوة والسلام: (( **الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا** ))<sup>3</sup>.

كما حث الإسلام الرأي العام على الوقوف في وجه الظلم والحقد والبغضاء وغير ذلك من الصفات الرذيلة التي تستغل لإذلال الإنسان والتفرقة بين بني البشر والخط من شأنهم وإهدار كرامتهم، وعلى العكس من ذلك "فقد أثنى على الإخاء والمساواة والعدالة والألفة وصلة الرحم وغير ذلك من الصفات النبيلة التي يحفل بها القرآن، وترجمها حياة الرسول ﷺ والسلف الصالح من الصحابة، اعترف بذلك كل باحث علمي منصف قرأ القرآن دون تحيز وفهمه، ودرس حياة الرسول ﷺ والصحابة. من ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما أقرت به دائرة المعارف البريطانية وهي المرجع الرئيسي للباحثين والعلماء على الصعيد العالمي.<sup>4</sup>

وطالب الإسلام الرأي العام أن يدرك حقيقة جوهرية وهي أن الناس جميعا سواسية في الحقوق والواجبات بحكم خلقهم الأول لا فضل لأحد على أحد بسبب الجنس أو اللون أو النسب، وإنما التفاضل يكون بالتقوى والعمل الصالح، يقول المولى تبارك وتعالى: ( **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** )<sup>5</sup>

### الفرع الثاني: أوجه الاختلاف

هناك نقاط خلاف جوهرية بين مبادئ وتعاليم الإسلام ووظائف الرأي العام والمسؤوليات الممنوحة له كما حددها الباحثون والخبراء المحدثون. "ذلك أن هذه الوظائف قد وضع لها الإسلام إطارا يتسق

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 105

<sup>2</sup> سورة المائدة، الآية: 02

<sup>3</sup> أخرجه مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج4، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ص

1999 بتقييم: 2585

<sup>4</sup> محيي الدين عبد الحلیم، الرأي العام في الإسلام، مرجع سابق، ص 107

<sup>5</sup> سورة الحجرات، الآية: 13

مع أسسه ومبادئه ولا يجنح إلى منح الجماهير حريّات مطلقة، وإعطاء الرّأي العامّ سلطات كبيرة دون النظر إلى ما يمكن أن يؤدّي إليه الجموح البشري من عواقب كما هو حادث في بعض الأنظمة التي ترى إطلاق سراح الإنسان يصنع ما يشاء مادام يعمل وينتج لأن الأهداف الإستراتيجية لهذه النّظم أهداف مادية بحتة.<sup>1</sup> وهو الأمر الذي تقوم عليه الأيديولوجيات الغربية وتعطيه اهتمامها الأكبر وتحاسب الجماهير بشأنه.

وجماهير الرّأي العامّ في تلك النّظم المادية "قد لا تحكمها مثل وتحركها قيم أو مبادئ أو أخلاق، وليس أدل على ذلك ما هو حادث في بعض هذه الأنظمة، فتمنح الرّأي العامّ سلطات واسعة وتلقي على عاتقه القيام بمسؤوليات جسام... وتعطيه حقوقا كبيرة فهو الذي يسوغ الحياة في هذه النّظم مما تمخض عنه سلوك غير سوي لكثير من أفراد المجتمع ولاسيما الشباب والفتيات، وينتج عنه تشكيل عصابات قوية، وتنظيمات إرهابية يصعب السيطرة عليها، وانتشار الجريمة والانحراف والشذوذ الجنسي الذي أصبح الطابع العامّ لهذه المجتمعات."<sup>2</sup> وهل هناك ما يمنع ذلك إذا كان الرّأي العامّ يريد ذلك؟ "لقد أباح الرّأي العامّ في بعض هذه النّظم ممثلا في برلماناته الشذوذ الجنسي بين الرجال والنساء منذ عدة سنوات، والسّلطة التنفيذية لا تملك إلا الامتثال لرغبة الرّأي العامّ وتلبية مطالبه حتى فيما لا يقره شرع أودين أو خلق أو ضمير."<sup>3</sup> فالرّأي العامّ في هذه المجتمعات يبيح كذلك تداول الربا وتعاطي الخمر والعلاقات الجنسية بين الجنسين... إلخ.

"والذي يتأكد لنا من خلاله انصياع المجتمعات بما فيها من نظم ولوائح وقوانين، وما تشتمل عليه من مؤسّسات سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية انصياعا كاملا للرّأي العامّ وإعطائه السّلطة المطلقة لإدارة دفعة الحياة في هذه المجتمعات بصرف النظر عما إذا كانت حركة هذه الجماهير مبعثها العقل، أو العاطفة، أو الغريزة."<sup>4</sup> لقد بلغ الرّأي العامّ في هذه النّظم مدى لا يتفق مع روح الإسلام وشرائعه. إن "الإسلام هنا يضع للرّأي العامّ حدودا ويرسم لحركة الجماهير إطارا معينا ولا يطلق سراحها بشكل جامح دون ضابط أو رابط، فالرّأي العامّ في الإسلام ليس صاحب السّلطة المطلقة في حياة الجماعة المسلمة، وليس له أن يفرض ما يهواه من لوائح ويسن ما يشاء من قوانين أو يبيح ما يراه من

<sup>1</sup> محيي الدّين عبد الحليم، الرّأي العامّ في الإسلام، مرجع سابق، ص 108

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 109 بتصرف

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 109

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 109

أمر تتفق مع رغباته وغرائزه، وإن اختلف مع صوت العقل والمنطق ونداء الفطرة.<sup>1</sup> ونلمس ذلك من خلال الحقائق التالية:

### 1. إرادة الله تصنع الرأي العام :

إن الرأي العام الإسلامي لا تعلق إرادته، إرادة الله القاهر فوق عباده، ولا تتجاوز سلطاته سنة رسوله ﷺ، وبناء على ذلك "نستطيع أن نقول - بلا تجاوز- أنه على الرأي العام المسلم أن يلتزم بما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وفي هذه الحالة فإن ما أورده الله في القرآن الكريم لا يجوز أن يتحول إلى قضايا للجدل والنقاش بين الجماهير، ولكن يترجم إلى أوامر، على الناس طاعتها والعمل في حدودها وعدم الخروج عنها ما دامت هذه الجماهير ارتضت الإسلام ديناً لها، سواء أكانت هذه القضايا التي وردت في كتاب الله تتناول أموراً عقائدية أم تعالج شؤون العبادات، أو المعاملات.<sup>2</sup> فلا يجوز للرأي العام الخوض مثلاً في وحدانية الله تعالى، أو في حقيقة اليوم الآخر، أو الجدل في فريضة الجمعة أو التحوير من الصلوات الخمس، أو سن قوانين تتنافى مع التشريع الإسلامي كإلغاء عقوبة الإعدام إذا توفرت أركان القتل العمد، أو إلغاء مشروعية تعدد الزوجات، أو منع الطلاق بأي حجج كانت، أو مساواة الرجال بالنساء في الميراث، أو إباحة الربا أو الزنا أو الشذوذ الجنسي تحت أي إدعاء كان "لأنه ليس لبشر أن يشرع أصولاً قانونية غير التي سنها الله إلا في القضايا التي لم يرد فيها نص في الكتاب أو السنة وقد فوّض الإسلام هذه المهمة إلى أهل الاجتهاد من العلماء."<sup>3</sup> وليس هذا تقييداً لحركة الرأي العام وقهراً لإرادته أو كبتاً لحريته وإنما هو ربط بين حرية الرأي العام وبين تطبيق شريعة الله في أرضه.

"والحكمة من وراء امتثال الجماهير لإرادة الله وعدم الخروج عنها تكمن في عدم إطلاق العنان للإنسان كي يدمّر نفسه بنفسه، فقد يجيد الرأي العام عن الصواب، وقد ينساق البشر وراء عاطفة أو هوى، وقد تدفعهم غرائزهم لارتكاب خطأ أو ظلم، أي أن الإسلام يعمل على ترشيد الرأي العام وتوجيهه الوجهة الصحيحة، وهل يصل البشر مهما وصلوا إلى أعلى مراتب العلم، والحكمة، ومهما كثرت أعدادهم، ومهما بلغت درجة ثرائهم المادي والثقافي ومهما حققوا من تقدم علمي ما يؤهلهم

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 110

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 110

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 111

إلى إدراك صالحهم الذي شرعه لهم خالقهم أحكم الحاكمين؟<sup>1</sup> فالحكيم الخبير الذي يضع للإنسان ما ينفعه في الدنيا والآخرة، وهو الأعلّم بالمصلحة المطلقة لبني البشر جميعاً، ويشرع لهم ما فيه نجاحهم في الدنيا والآخرة، وهو القائل سبحانه: ( وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا )<sup>2</sup>.

"وتأسيساً على ذلك نستطيع القول أنه في نطاق الإطار الذي جاءت به رسالة الإسلام من عقائد ومبادئ وشرائع وقوانين وعبادات ومعاملات فإن لجماهير الرأي العام التي تضم أفراد الأمة كامل الحرّية في تكوين اتجاهاتهم وتشكيل آرائهم وترجمة سلوكهم ليحققوا فريضة من أسمى فرائضهم، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويؤدّوا هذه الفريضة مجتمعين أو متفرقين، متفقين مع زعمائهم أو مختلفين، ممثّلين في مجالس وهيئات أو غير ممثّلين، سواء أكانوا في وطن واحد أم أكثر من أوطان هذا الكوكب الذي عليه نعيش.<sup>3</sup> المهم أن تسود مبادئ الإسلام وشريعة الله تعالى، ولزاماً على الأمة أن تكيف نظمها ودساتيرها وقوانينها في هذا الإطار، ولا يُحُدُّ من إرادة الرأي العام إلا إرادة الله وحده خالق هذا الكون ومصدر هذا الوجود.

## 2. حكم الأغلبية لا يرجح جانب الصواب دائماً في الرأي العام الإسلامي:

تحتكم الديمقراطيات الحديثة إلى ما تصل إليه الأغلبية من اتفاق حول مختلف القضايا المطروحة للنقاش. "ذلك أن حكم الأغلبية هو الذي يسود، ووجهة نظرها هي التي ترجح دائماً في هذه الأيديولوجيات، وعلى الأقلية أن تلتزم بما حكمت به الأغلبية دون النظر إلى مدى صحة هذا الرأي، دون تحكيم للمقاييس العقلية والعلمية والعملية في هذا الصدد، وبالتالي فإن هذه النظم تجعل الأكثرية صاحبة الصلاحية في نقض الأمور وإبرامها بصرف النظر عن الصواب والخطأ في اتجاهات هذه الأغلبية.<sup>4</sup> بينما في الإسلام لا يكون رأي الأغلبية ملزماً إلا إذا كان صواباً مستنداً إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، يحقق المصلحة العامة للأمة" أما إذا كان رأي الأغلبية يتعارض مع الكتاب والسنة، أو يتعارض مع المصلحة العامة للأمة فإن هذا الرأي ليس ملزماً لرئيس الدولة ولا غيره.<sup>5</sup> وقد حذرنا

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 112 - 113

<sup>2</sup> سورة الأحزاب، الآية: 36

<sup>3</sup> محيي الدّين عبد الحلّيم، الرّأي العامّ في الإسلام، مرجع سابق، ص 114 - 115

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 122 - 123

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 124

رسول الله ﷺ من مغبة الانسياق وراء رأي الأغلبية في إحسانهم وفي إساءتهم وذلك في قوله ع: ((لَا تَكُونُوا إِمَّةً، تَقُولُونَ: إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَحْسَنًا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا))<sup>1</sup>

"والإسلام يرفض الجدل في الحق، والخضوع لرأي الأغلبية بالباطل"<sup>2</sup> هذه الأغلبية التي وصفها الله تعالى بقوله: (يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ)<sup>3</sup> وهنا يمكن القول بأن المنظور الإسلامي للرأي العام، وعدم انسياقه الدائم وراء رأي الأغلبية يقوم على اعتبارات موضوعية ويستند على أسس علمية تنطلق من الفهم الصحيح للطبيعة البشرية، ذلك أن الكثرة ليست لذاتها دليلاً قاطعاً أو راجحاً على الصواب، كما أن القلة ليست لذاتها دليلاً قاطعاً وراجحاً على الخطأ، إذ يمكن أن يكون الخطأ مع الكثرة.<sup>4</sup> إذ يقول المولى سبحانه وتعالى في هذا الشأن: (وَإِنْ تُطِغْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ)<sup>5</sup> وقال تعالى: (قُلْ لَا يَسْتَوِي الْحَيْثُ وَالطَّيْبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْحَيْثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)<sup>6</sup>

### 3 . الاستعانة بالأسلوب الحسن في إبداء الرأي:

حدد الإسلام للرأي العام المسلم الأسلوب الأمثل الذي يعبر به عن نفسه ويقدم مشورته، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، "وهو الأسلوب اللين والموعظة الحسنة والبعد عن الغلظة والعنف وسوء الأخلاق في التعبير عن الرأي، والتزام حدود الحكمة والمنطق وتحكيم العقل والاعتماد على الحجج القوية والبراهين السليمة."<sup>7</sup> يؤكد ذلك قوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)<sup>8</sup> وقوله تعالى لموسى وأخيه هارون لما أمرهما بالتوجه إلى فرعون بأن يقولوا

<sup>1</sup> أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، ج4، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو، ص 364، بتقييم:

2007، قال الترمذي: حديث حسن غريب، حكم الألباني: ضعيف

<sup>2</sup> محيي الدين عبد الحلیم، الرأي العام في الإسلام، مرجع سابق، ص 124

<sup>3</sup> سورة الأنفال، الآية: 06

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 126

<sup>5</sup> سورة الأنعام، الآية: 116

<sup>6</sup> سورة المائدة، الآية: 100

<sup>7</sup> المرجع نفسه، ص 126 . 127

<sup>8</sup> سورة النحل، الآية: 125

له قولاً لنا رقيقاً: ( إِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى )<sup>1</sup> ويقول تعالى لنبيه ﷺ مؤكداً له اعتماد ليين القول مع أصحابه: ( فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ )<sup>2</sup>

"إنه إذا كانت حرّية الرّأي حقاً من الحقوق الإنسانيّة فإن التعبير عن هذا الرّأي يجب أن يأخذ الشّكل الذي ينسجم مع رسالة الإسلام حتى لا يأخذ التعبير عن الرّأي شكلاً فوضوياً أو عنيفاً أو همجياً، وتطاولاً وخروجاً به عن المغزى المقصود إلى أشكال وقوالب يرفضها الإسلام وتأبأها شريعته السمحة."<sup>3</sup> ومن هنا يجب على المسلمين أفراداً وجماعات التزام الأدب في الحوار وإبداء الرّأي والتزام النزاهة في الانتقاد، وقبول الرّأي الآخر المعارض بصدر رحب، فالمؤمن ليس بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء.

نخلص في ختام هذا الفصل إلى أن الرّأي العام في الإسلام هو ذلك الموقف السائد بين أغلبية أو جميع أفراد المجتمع الإسلامي حول قضية تمس مصالح المجتمع أو قيمه الأساسية. ورغم أن عبارة "الرّأي العام" من المصطلحات الحديثة وغريبة المنشأ إلا أن جوهرها موجود في جميع المجتمعات الإنسانية، وأن تأثير ووظيفة الرّأي العام متشابهة في جميع هذه المجتمعات، ونلاحظ أن دوره يبرز أكثر في المجتمع الإسلامي بصورة خاصة، حيث نشأ وترعرع منذ ظهور النواة الأولى للإسلام أي منذ نزول الوحي، ولذلك تظهر بعض ملامحه من خلال جملة من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية، كما أن الرّأي العام في الإسلام يتنوع بتنوع رؤية الإسلام نفسه إلى الإنسان والمجتمعات.

ومن أهم المقومات الأساسية للرّأي العام الإسلامي؛ الوحي وما تضمنه من أحكام وتوجيهات شرعية، وكذلك الإنسان باعتباره الوسيلة و الغاية في نفس الوقت في عملية الإصلاح و التغيير. كما أن للرّأي العام أهمية كبرى في المجتمع الإسلامي تتمثل . خاصة . في حراسة المبادئ الإسلامية وتحقيق مقاصد الشرع من خلال دوره الرقابي والمحاسبي.

كما يقوم الرّأي العام في الإسلام على عدة عوامل أهمها: الحرية الفردية والجماعية التي يتمتع بها الناس في النظام الإسلامي وعلى جميع الأصعدة سياسية كانت أو اقتصادية أو اجتماعية في إطار المبادئ

<sup>1</sup> سورة طه، الآيتان: 43 . 44

<sup>2</sup> سورة آل عمران، الآية: 159

<sup>3</sup> محيي الدّين عبد الحلّيم، الرّأي العامّ في الإسلام، مرجع سابق، ص 127

والقيم الإسلامية. والشورى باعتبارها عاملا أساسيا لبلورة موقف الرأي العام وفق المنظور الإسلامي. أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو أوكد الواجبات الشرعية فإنه يعمل على ثبات الرأي العام على النهج القويم، ويقوم بوظيفة الضغط الاجتماعي والتزام حدود الشرع وعدم الانحراف عنه. كما أن هناك جملة من الأساليب الإيجابية في تكوين الرأي العام قد أيدها الإسلام وعمل بها كأسلوب الجدل والمناقشة، وأسلوب التكرار، وعرض الحقائق، وتحويل الانتباه، وأسلوب العقوبات والجزاء... إلخ، في حين أعرض عن الأساليب السلبية التي تصطدم وأحكام الشريعة ومقاصدها كأسلوب الترويج للعصبية القبلية أو النقاء العرقي، أو أسلوب نشر الشائعات، أو أسلوب التزوير والخداع... إلخ.

وفي الأخير نقول إن الرأي العام في الإسلام متميز عن الرأي العام في النظم الغربية من عدة جوانب إلا أنه يتفق معها في جوانب أخرى، كإعارة المثل الأخلاقية والاجتماعية، ورفع الروح المعنوية للجماهير، وتدعيم المؤسسات القائمة. في حين أن إرادته لا تعلو على إرادة الله، ولا تتجاوز سلطاته سنة رسول الله ﷺ، وإن حرية الرأي العام تكمن في حرية المسلمين في تطبيق الإسلام والالتزام بمنهجه في جميع جوانب الحياة، ثم إن الأغلبية ليست دائما مرجحة للصواب أو مؤشرا على الحق في الإسلام إلا إذا كانت في إطار قيمه ومبادئه.

## الفصل الثاني

التنزيلات الواقعية للرأي العام في المرحلة المدنية

المبحث الأول: الرأي العام في مرحلة تأسيس المجتمع الإسلامي

المبحث الثاني: الرأي العام والغزوات

المبحث الثالث: تعامل الرأي العام الإسلامي مع اليهود والمنافقين في المدينة

المبحث الرابع: نماذج لقضايا الرأي العام في المرحلة المدنية

## تمهيد

كانت الهجرة إلى المدينة المنورة بمثابة نقطة تحول عميقة في بنية المجتمع المسلم والانتقال إلى مرحلة جديدة من الجهاد ونشر الدعوة وبناء أسس مجتمع إسلامي جديد ومستقل عن كيان المشركين، ولا شك أن هذا المجتمع الجديد سيتولّد فيه رأيٌ عامٌ مغاير لما كان عليه في مكة، رأيٌ عامٌ إسلاميٌّ حرٌّ لا تحده إلا الضوابط الشرعيّة والقيم الأخلاقيّة المستندة إلى الوحي، ومما لا شك فيه أن القائد الأعلى لهذا الرّأي العامّ الجديد والموجه والراعي له هو رسول الله ﷺ وأصحابه الصفوة الكرام البررة - رضي الله عنهم . .

إن اختيارنا للمرحلة المدنية كنموذج واقعي للرّأي العامّ الإسلاميّ باعتبارها المرحلة المثالية للمجتمع المسلم بكل مميزاته وخصائصه وتطبيقاته ونظمه، وبالتالي فالرّأي العامّ يعكس جزءاً من هذه الحياة المثالية التي بلغها المجتمع الرّسالي آنذاك، والذي لم يوجد له مثيل في التاريخ البشري. ومنه فإن الرّأي العامّ في المدينة المنورة يمثل أرقى صورة يمكن أن يبلغها المجتمع البشري، وبذلك يتمثل فيه الرّأي العامّ الإسلاميّ الحقيقي المكتمل الأركان والعناصر، ويمكن أن يكون مرجعاً حقيقياً لمعرفة صورة الرّأي العامّ في الإسلام.

سنتعرض في هذا الفصل إلى واقع الرّأي العامّ في المدينة المنورة، وسنختار جملة من النماذج والوقائع التي تبلور خلالها الرّأي العامّ الإسلاميّ وأثر في مجرياتها أو تأثرت بها إيجاباً وسلباً.

## المبحث الأول: الرّأي العامّ في مرحلة تأسيس المجتمع الإسلاميّ

### المطلب الأول: واقع الرّأي العامّ في المدينة عند الهجرة

إن واقع المسلمين في المدينة يختلف عن واقعهم في مكة "فهم في مكة وإن كانت تجمعهم كلمة جامعة، وكانوا يستهدفون إلى أهداف متّفقة، إلا أنّهم كانوا متفرقين في بيوتات شتى، مقهورين أذلاء مطرودين، لم يكن لهم من الأمر شيء، وإنما كان الأمر بيد أعدائهم في الدّين، فلم يكن هؤلاء المسلمون يستطيعون أن يقيموا مجتمعا إسلاميا جديدا بمواده التي لا يستغني عنها أي مجتمع إنساني في العالم.<sup>1</sup> أما في المدينة فإن أمر المسلمين أصبح بأيديهم منذ أول يوم، ولم يكن لأحد سيطرة عليهم، وقد "أن لهم أن يكونوا مجتمعا جديدا، مجتمعا إسلاميا، يختلف في جميع مراحل الحياة عن المجتمع الجاهلي، ويمتاز عن أي مجتمع يوجد في العالم الإنساني، ويكون ممثلا للدعوة الإسلاميّة التي عانى لها المسلمون ألوانا من النكال والعذاب طيلة عشر سنوات.<sup>2</sup> ومن المعلوم ان هذا المجتمع الجديد لا يمكن أن يتكون في شهر أو شهرين أو في سنة أو سنتين، بل يحتاج إلى زمن طويل يتكامل فيه التشريع مع التّربية والتثقيف والتقنين والتوجيه، وقد تكفل الله تعالى بذلك كله ثم تكفل رسول الله ﷺ بتنفيذه.

ويتكون الرّأي العامّ في المدينة من ثلاثة أصناف:

. المسلمون وهم أصحاب رسول الله ﷺ الصفوة الكرام البررة . رضي الله عنهم . من مهاجرين وأنصار.

. المشركون الذين لم يؤمنوا بعد، وهم من صميم قبائل المدينة.

. اليهود

\*الصنف الأول: وهم المسلمون

وأما المسلمون فهم قسمان:

أ. "قسم كانوا في أرضهم وديارهم وأموالهم، لا يهمهم من ذلك إلا ما يهم الرجل وهو آمن في سربه، وهم الأنصار، وكان بينهم تنافر مستحکم وعداء مزمن منذ أمد بعيد.<sup>3</sup>"

<sup>1</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 199

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 200

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 200

ب . " وقسم آخر فاتهم كل ذلك، ونجوا بأنفسهم إلى المدينة، وهم المهاجرون، ولم يكن لهم ملجأ يأوون إليه، ولا عمل يكسبون به ما يسد حاجتهم، ولا مال يبلغون قواما من العيش، وكان عدد هؤلاء اللاجئين غير قليل...<sup>1</sup>"

\*أما الصنف الثاني: "وهم المشركون من صميم قبائل المدينة، فلم تكن لهم سيطرة على المسلمين، وكان منهم من يتخالجه الشكوك، ويتردد في ترك دين الآباء، ولكن لم يكن يبطن العداوة والكيد ضد الإسلام والمسلمين، ولم تمض عليهم مدة طويلة حتى أسلموا وأخلصوا دينهم لله. وكان فيهم من يبطن شديد الإحن والعداوة ضد رسول الله ﷺ والمسلمين، ولكن لم يكن يستطيع أن يناوئهم، بل كان مضطرا إلى إظهار الوُدّ والصفاء نظرا إلى الظروف، وعلى رأس هؤلاء عبد الله بن أبي. <sup>2</sup>"

\*أما الصنف الثالث: هم اليهود، وكانت في يثرب منهم ثلاث قبائل: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، "وطبعا فإن اليهود لم يكن يرجى منهم أن ينظروا إلى الإسلام إلا بعين البغض والحقد، فالرسول ﷺ لم يكن من جنسهم حتى ليسكن جأش عصبيتهم الجنسية التي كانت متغلبة على نفسياتهم وعقليتهم."<sup>3</sup> ثم إن معاملاتهم المالية المبنية على الربا والغش وعلاقاتهم السياسية المبنية على الخداع والتحايل لم يكن ليقرها الإسلام أو يرضى بها.

### المطلب الثاني: بناء المسجد النبوي

ما إن حطَّ الرسول ﷺ رحاله في المدينة حتى شرع في بناء المسجد، وقام معه المسلمون يقيمون هذا الصرح العظيم، ورغم بساطة البناء الذي كان باللبن والطين وسقفه الجريد، إلا أنه كان بمثابة الأساس المتين لبناء المجتمع الجديد، وقاعدة تنطلق منها قوافل الإيمان لتنير درب البشرية جمعاء، يقول المباركفوري: "ولم يكن المسجد موضعا لأداء الصلوات فحسب، بل كان جامعة يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته، ومنتدى تلتقي وتتألف فيه العناصر القبلية المختلفة التي طالما نافرت بينها النزعات الجاهلية وحروبها، وقاعدة لإدارة جميع الشؤون وبث الانطلاقات، وبرلمانا لعقد المجالس

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 200

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 201

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 202

الاستشارية والتنفيذية.<sup>1</sup> وبذلك فإن المسجد هو أحد القلاع التي تتشكل فيه اتجاهات الرأي العام في المدينة حول القضايا التي تهم المجتمع في أي جانب من الجوانب السياسيّة أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو العسكرية، بالإضافة إلى أنه مصدر للتوجيه الروحي "فهو ساحة للعبادة، ومدرسة للعلم، وندوة للأدب، وقد ارتبطت بفريضة الصلّاة وصفوفها أخلاق وتقاليد هي لباب الإسلام... والمسجد الذي وجه الرسول ﷺ همته إلى بنائه قبل أي عمل آخر بالمدينة ليس أرضاً تحتكر العبادة فوقها؛ فالأرض كلها مسجد، والمسلم لا يتقيد في عبادته بمكان، وإنما هو رمز لما يكثر له الإسلام أعظم اكتراث، ويتشبث به أشد تشبث، وهو وصل العباد برهم وصلًا يتجدد مع الزمن، ويتكرر مع آناء الليل والنهار، فلا قيمة لحضارة تذهل عن الإله الواحد، وتجهل اليوم الآخر، وتخلط المعروف بالمنكر."<sup>2</sup> فالمجتمع الذي بناه الإسلام مرتبط دائما بتذكر الله تعالى ولقائه وتمسك بالمعروف وبيغض المنكر ويقف عند حدود الله .

فضلا على أن المسجد يعد قلعة لتكوين الرأي العام وتوجيهه، فهو مؤسّسة إعلامية متكاملة يتم من خلالها الاتصال المباشر بالأفراد والجماعات يوميا من خلال الصلوات الخمس وأسبوعيا من خلال صلاة الجمعة، أو من خلال المواسم، ويتفقد الناس بعضهم البعض، وتطرح القضايا التي تشغل بالهم ويتعاونوا على حل المعضلات التي تواجههم، أي أن المسجد يتيح الفرصة لممارسة "نشاط العلاقات العامة بين الجماهير المسلمة من خلال هذه المؤسّسة التي تلقى احترام وتبجيل كل هذه الجماهير، وفي المسجد يؤدّي الرأي العام المسلم دوره باعتباره تعبيرا جماعيا للنشاط السياسي والاجتماعي للجماعة."<sup>3</sup>

ليس هناك مؤسّسة في المجتمع تشكل الرأي العام وتجمعه حول أي قضية مثل مؤسّسة المسجد، وليس المسجد لكونه بناء أو قلعة مشيدة فقط، بل باعتباره مؤسّسة مفعّلة، ونلاحظ ذلك من خلال حرص النبي ﷺ على التعجيل في تشييده مباشرة بعد وصوله إلى المدينة قبل أي شيء آخر، وقد تعاون الجميع - المهاجرون والأنصار - في تشييده، وقد أقام فيه رسول الله ﷺ أول خطبة قال فيها: (( أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ فَقَدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ، تَعْلَمَنَّ وَاللَّهِ لِيُصَعَّقَنَّ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَدَعَنَّ غَمَّهُ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ، ثُمَّ لِيَقُولَنَّ لَهُ رَبُّهُ لَيْسَ لَهُ تَرْجُمَانٌ، وَلَا حَاجِبٌ يَحْجِبُهُ دُونَهُ: أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولِي فَبَلَّغَكُمْ؟ وَآتَيْتُكُمْ مَا لَا،

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 206

<sup>2</sup> محمد الغزالي، فقه السيرة، (ط: 06، لا.م، دار الكتب الحديثة، 1965)، ص 190

<sup>3</sup> محيي الدّين عبد الحلّيم، الرّأي العام في الإسلام، مرجع سابق، ص 330

وَأَفْضَلْتُ عَلَيْكَ، فَمَا قَدَّمْتُ لِنَفْسِكَ، فَلَيَنْظُرَنَّ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَلَا يَرَى شَيْئًا، ثُمَّ لَيَنْظُرَنَّ قُدَّامَهُ فَلَا يَرَى غَيْرَ جَهَنَّمَ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقِيَ وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ، فَإِنَّ بِهَا تُجْزَى الْحَسَنَةُ عَشْرَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ<sup>1</sup>

في هذه الخطبة الأولى وجه الرسول ﷺ الرأي العام في المدينة بما فيه من المهاجرين والأنصار إلى وجوب التعاطف والتكاتف والترابط من خلال حثه عليه الصلاة والسلام على الصدقة والإحسان ولو بشق تمرة، يكون له حاجبا عن النار يوم القيامة، وكذلك بنشر الكلمة الطيبة التي تزيد من تمتين أواصر الأخوة والمحبة بين المؤمنين.

ومن هنا نلاحظ كيف أن أول خطبة في المسجد - الذي بني حديثا - يسعى من خلالها الرسول ﷺ إلى تكوين الرأي العام وتوجيهه إلى ما يرضي الله تعالى وتجنب سخطه، وتذكيره باللقاء والحساب، هكذا ليكون شعور الإنسان الدائم برقابة الله تعالى هو الدافع الأول للمبادرة بعمل الصالحات وتجنب السيئات، ورأي عام هذا دأب أفراده لا يمكن أن يضل أو يتيه في دروب الحياة.

### المطلب الثالث: المؤاخاة بين المسلمين

وكما قام النبي ﷺ ببناء المسجد مركز التجمع والتآلف، قام بعمل آخر من أروع ما يآثره التاريخ، وهو عمل المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار. قال ابن القيم: "ثم آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلا، نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة، ويتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام، إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله عز وجل: (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ<sup>2</sup>) رد التوارث، دون عقد الأخوة.<sup>3</sup>"

<sup>1</sup> الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط: 01، لا.م، ج4، (ط: 01، لا.م، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1997م)، ص 528-529

<sup>2</sup> سورة الأنفال، الآية: 75

<sup>3</sup> محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج3، (ط: 27، بيروت، مؤسسة الرسالة، الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، 1415هـ/1994م) ص 56-57

ولقد كان عقد الأخوة بين المهاجرين والأنصار تطبيقاً عملياً في واقع حياتهم ليس مجرد كلام نظري أو شعارات للتغني والتباهي، وقد امتزجت عواطف الإيثار والمواساة في هذه الأخوة وملاأت المجتمع الجديد بأروع الأمثال.

. عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْمَدِينَةَ فَآخَى النَّبِيَّ ﷺ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ، وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنَى، فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَقْسِمُكَ مَا لِي نِصْفَيْنِ وَأُرْوَجُكَ، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، ذُلُّونِي عَلَى السُّوقِ، فَمَا رَجَعَ حَتَّى اسْتَفْضَلَ أَقِطًا وَسَمَنًا، فَأَتَى بِهِ أَهْلَ مَنْزِلِهِ، فَمَكَّنَنَا يَسِيرًا أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَجَاءَ وَعَلَيْهِ وَضُرٌّ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: ((مَهِيمٌ))<sup>1</sup>، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: ((مَا سُفِّتَ إِلَيْهَا؟)) قَالَ: نَوَاةٌ مِنْ ذَهَبٍ، - أَوْوَزَنَ نَوَاةٌ مِنْ ذَهَبٍ - قَالَ: ((أَوْلِمٌ وَلَوْ بِشَاةٍ))<sup>2</sup>

. "وروي عن أبي هريرة قال: قالت الأنصار للنبي ﷺ: أقسم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال: ((لا))، فقالوا: فتكفوننا المؤنة ونشرككم في الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا."<sup>3</sup>

"وهذا يدلنا على ما كان عليه الأنصار من الحفاوة البالغة بإخوانهم المهاجرين، ومن التضحية والإيثار والودِّ والصَّفَاءِ، وما كان عليه المهاجرون من تقدير هذا الكرم حق قدره، فلم يستغلوه ولم ينالوا منه إلا بقدر ما يقيم أودهم.

وحقا فقد كانت هذه المؤاخاة حكمة فذة، وسياسة صائبة حكيمة، وحلاً رائعاً لكثير من المشاكل التي كان يواجهها المسلمون."<sup>4</sup>

إن مثل هذا الرأى العام الذي تكوّن في هذا المناخ الأخوي وفي روضة المحبة والإيثار لا يمكن إلا أن يكون متوافقاً منسجماً في جميع مواقفه أتجاه قضايا المصيرية، ولعل هذه الغاية الأساسية من عقد الإخاء .

<sup>1</sup> مَهِيمٌ: ما هذا وما أمرك، وهي كلمة يستعملها أهل اليمن.

<sup>2</sup> أخرجه البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج3، كتاب البيوع، باب بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَمَّوا بِانْفِصَالٍ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) [الجمعة: 11]، وَقَوْلِهِ: (لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ) [النساء: 29]، ص 53، بترقيم: 2049

<sup>3</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 207

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 207 بتصرف

ومن المعاني التي نستشفها من الإخاء بين المهاجرين والأنصار وخاصة في بداية تكوين الدولة الإسلامية والمجتمع المسلم أنّ أي دولة لا يمكن أن تنهض وتقوم إلا على أساس من وحدة الأمة وتساندها، ولا يمكن لكل من الوحدة والتساند أن يتم بغير عامل التآخي والمحبة المتبادلة. "فكل جماعة لا تؤلّف بينها آصرة المودة والتآخي الحقيقية، لا يمكن أن تتّحد حول مبدأ ما، وما لم يكن الإتحاد حقيقة قائمة في الأمة أو الجماعة فلا يمكن أن تتألّف منها دولة.

إن التآخي أيضا ينبغي أن يكون مسبقا بعقيدة يتم اللقاء عليها والإيمان بها، فالتآخي بين شخصين يؤمن كل منهما بفكرة أو عقيدة مخالفة للأخرى خرافة ووهم، خصوصا إذا كانت تلك الفكرة أو العقيدة مما يحمل صاحبها على سلوك معين في الحياة العملية.<sup>1</sup> من أجل ذلك فقد جعل رسول الله ﷺ أساس الأخوة التي جمع عليها أصحابه العقيدة التي جاء بها من عند الله تعالى تجمع الناس جميعا على العبودية لله وحده لا شريك له.

#### المطلب الرابع: ميثاق التحالف

وكما قام رسول الله ﷺ بعقد المؤاخاة بين المؤمنين، "قام بعقد معاهدة أزاح بها كل ما كان من حزازات الجاهلية، والنزعات القبلية، ولم يترك مجالا لتقاليد الجاهلية، وهاك بنودها ملخصا: هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم:

1- أنهم أمة واحدة من دون الناس.

2- المهاجرون من قريش على ربتهم<sup>2</sup> يتعاقلون بينهم، وهم يفتدون عانيهم<sup>3</sup> بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وكل قبيلة من الأنصار على ربتهم يتعاقلون معاقليهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

3- وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا<sup>4</sup> بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

<sup>1</sup> محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، (ط: 10، بيروت لبنان ودمشق سورية، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، 1991 م)،

ص 219

<sup>2</sup> على حالهم قبل الإسلام

<sup>3</sup> أسيرهم

<sup>4</sup> المثلث من الدّين والعيال

- 4- وأن المؤمنين المتقين على من بغى عليهم، أو ابتغى دسيعة<sup>1</sup> ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين.
- 5- وأن أيديهم عليه جميعا، ولو كان ولد أحدهم.
- 6- ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر.
- 7- ولا ينصر كافرا على مؤمن.
- 8- وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم.
- 9- وأن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم.
- 10- وأن سلم المؤمنين واحدة، ولا يسلم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم.
- 11- وأن المؤمنين بيء<sup>2</sup> بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله.
- 12- وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا، ولا يحول دونه على مؤمن.
- 13- وأنه من اعتبط<sup>3</sup> مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به، إلا أن يرضى ولي المقتول.
- 14- وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه.
- 15- وأنه لا يحل لمؤمن أن ينصر محدثا ولا يؤويه، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.
- 16- وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله عليه وسلم.<sup>4</sup>

فهذا الحلف جاء لتوطيد الصلة وتمتين أواصر الأخوة بين المؤمنين، بعد عقد المؤاخاة، وهذا الحلف كانت بنوده واضحة وحدوده مرسومة تبين حقوق وواجبات المؤمنين اتجاه بعضهم البعض. وأهم ما يلاحظ في بنود هذا الحلف أن أمة الإسلام " أمة واحدة من دون الناس " وهو ما يجعل المجتمع المسلم يتميز عن سائر المجتمعات المجاورة بدينه وقيمه، فهو يتميز عن المجتمع اليهودي أو النصراني أو الوثني، ولذلك فالرأي العام الإسلامي بدأت تتشكل ملامحه من خلال تميز اتجاهه، ويتضح ذلك

<sup>1</sup> عطية

<sup>2</sup> يمنع ويكف

<sup>3</sup> قتله بلا جنابة

<sup>4</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 207 . 208

أيضا من خلال البنود الأخرى للتحالف ومنها البند الثالث الذي يوجه المؤمنين إلى التضامن والتكافل، وأن لا يتركوا بينهم مثقل من الديون والعيال يواجه حاجته، بل ينبغي أن يعطوه بالمعروف. أما البند الرابع فيوضح أكثر أن الرأي العام المسلم ينبغي أن يقف في وجه البغي والظلم أو العدوان والفساد، ولو كان الذي يريد أن يقوم بذلك فردا من المجتمع الإسلامي، وهذا توجيه عملي للرأي العام وتربية اجتماعية على رفض الظلم والانحراف مهما كان مصدره، ولو كان من ولد أحدهم. وفيه أن لا يقبل المؤمنون بالاعتداء على الأنفس ظلما والمجتمع كله مسؤول على القيام برد المظلمة أو الأخذ بحق المظلوم وإقامة القصاص أو أخذ الدية، وهنا لم تترك المسؤولية على عاتق ولي المقتول فقط بل ألقيت المسؤولية على كاهل جميع أفراد المجتمع، ونجد ذلك بيننا من خلال البند الثالث عشر والرابع عشر.

ينبغي أن يكون الرأي العام في الإسلام الحارس الأمين على قيم الإسلام ومبادئه بعدم قبول الزيادة فيه أو النقصان منه، ينبغي أن يكون حريصا على بقاء الدين كاملا متكاملا، وأن لا يحدث فيه أي تغيير، ولا يقبل - الرأي العام - أن يكون أحد من بينهم بفعل ذلك، وإلا فإنه تصيبه لعنة الله وغضبه ولا يقبل منه عمل ولا طاعة. وفي الأخير فإن المرجعية الأساسية للرأي العام الإسلامي في جميع مواقفه والعاصم من الاختلاف والخصام والحافظ لوحده وتماسكه هو الاعتصام بالكتاب والسنة، وهما المرجعية الأساسية لأي موقف يشغلهم أو أي قضية تأخذ بألبابهم.

### المطلب الخامس: توطيد الصلة ورفع المعنويات

لقد أرسى النبي ﷺ قواعد مجتمع جديد برزت فيه معالم الرأي العام الإسلامي الذي يتمتع باستقلالية تامة عن المؤثرات الخارجية التي تحوطه، ومما زاده تميزا تعهد النبي ﷺ له بالتربية والتوجيه وتركية النفوس، والحث على مكارم الأخلاق، والتأدب بآداب الود والإخاء والمجد والشرف والطاعة.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: ((تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ))<sup>1</sup>

<sup>1</sup> أخرجه مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج1، كتاب الإيمان، باب تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، ص 65، بترقيم:

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقَهُ))<sup>1</sup>  
 وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ))<sup>2</sup>  
 وَعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))<sup>3</sup>  
 وَعَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنْ اشْتَكَى عَيْنُهُ، اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنْ اشْتَكَى، رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ))<sup>4</sup>  
 وَعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا))<sup>5</sup>  
 وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ))<sup>6</sup>  
 وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْفَرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا)) وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ((حَسْبِ أَمْرِي مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْفَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمِ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ))<sup>7</sup>

<sup>1</sup> أخرجه مسلم، المرجع نفسه، ج1، كتاب الإيمان، باب تحريم إيذاء الجار، ص 68، بترقيم: 46

<sup>2</sup> أخرجه البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج1، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ص11،

بترقيم: 10

<sup>3</sup> أخرجه البخاري، المرجع نفسه، ج1، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ص 12، بترقيم: 13

<sup>4</sup> أخرجه مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج4، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ص

2000، بترقيم: 2586

<sup>5</sup> أخرجه مسلم، المرجع نفسه، ج4، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ص 1999، بترقيم:

2585

<sup>6</sup> أخرجه البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج8، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير، ص 19، بترقيم:

6065

<sup>7</sup> أخرجه مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج4، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واختقاره ودميه،

وعرضه، وماله، ص 1986، بترقيم: 2564

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ))<sup>1</sup>

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((قِتَالُ الْمُسْلِمِ أَخَاهُ كُفْرٌ، وَسِبَابُهُ فُسُوقٌ))<sup>2</sup>

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةٌ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ))<sup>3</sup>

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الحَطِيبَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ))<sup>4</sup>

وعن ابن عباس . رضي الله عنه . قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ كَسَا مُسْلِمًا ثَوْبًا إِلَّا كَانَ فِي حِفْظٍ مِنَ اللَّهِ مَا دَامَ مِنْهُ عَلَيْهِ خِرْقَةٌ))<sup>5</sup>

"يمثل هذا استطاع النبي ﷺ أن يبني في المدينة مجتمعاً جديداً أروع وأشرف مجتمع عرفه التاريخ، وأن يضع لمشاكل هذا المجتمع حلاً تنفست له الإنسانيّة الصعداء، بعد أن كانت قد تعبت في غياهب الزمان، ودياجير الظلمات، ويمثل هذه المعنويات الشائخة تكاملت عناصر المجتمع الجديد الذي واجه كل تيارات الزمان حتى صرف وجهتها، وحول مجرى التاريخ والأيام"<sup>6</sup>، وهكذا وجد الرّأي العامّ المسلم في هذا المجتمع يقود الأحداث ويوجهها حيث المصلحة العامّة ووفق الضوابط التي أرساها الإسلام لهذا المجتمع.

<sup>1</sup> أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، ج4، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، ص 323، بتقييم:

1924

<sup>2</sup> أخرجه الترمذي، المرجع نفسه، ج5، أبواب الإيمان، باب ماجاء سباب المؤمن فسوق، ص 21، بتقييم: 2634، قال: حديث حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح.

<sup>3</sup> أخرجه مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج1، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، ص 63، بتقييم: 35

<sup>4</sup> أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، ج2، أبواب السفر، باب ما ذكر في فضل الصلاة، ص 512، بتقييم: 614

<sup>5</sup> أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، المرجع نفسه، ج4، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، ص 651، بتقييم: 2484، وقال حديث حسن غريب، قال الألباني: ضعيف.

<sup>6</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 211

## المبحث الثاني: الرّأي العامّ والغزوات

### المطلب الأول: الرّأي العامّ والاستعداد للجهاد

#### الفرع الأول: موقف الرّأي العامّ المسلم من التهديد الخارجي

لم تكتف قريش بالتنكيل بالمسلمين لما كانوا في مكة فأرادت أن تلحق بهم الأذى في المدينة، وكأنها زادا غيظا أن فاتهم المسلمون ووجدوا لهم موطنًا آمنًا في المدينة، فأرسلت إلى عبد الله بن أبي بن

سلول كتابا تقول فيه: (إِنَّكُمْ أَوْيْتُمْ صَاحِبَنَا، وَإِنَّا نُفَسِمُ بِاللَّهِ لَتُقَاتِلُنَّهُ، أَوْ لَتُخْرِجُنَّهُ أَوْ لَنَسِيرَنَّ إِلَيْكُمْ بِأَجْمَعِنَا حَتَّى نَقْتُلَ مُقَاتِلَتِكُمْ، وَنَسْتَبِيحَ نِسَاءَكُمْ)<sup>1</sup>

فما كان من عبد الله بن أبي إلا أن استجاب لحلفائه في قريش لأنه كان يحقد على الرسول ﷺ وأصحابه كونه يعتقد أن مجيئ الرسول ﷺ إلى المدينة قد سلبه ملكا أوشك يتوجه في المدينة، جاء في سنن أبي داود: (فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِيٍّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، اجْتَمَعُوا لِقِتَالِ النَّبِيِّ ﷺ)<sup>2</sup>

فما كان موقف الرأى العام في المدينة من هذا التهديد الصارخ ؟

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ . وهو عليه الصلوة والسلام الذي يتزعم الرأى العام في المدينة . لَفَيْهِمْ، فَقَالَ: ((لَقَدْ بَلَغَ وَعِيدُ قُرَيْشٍ مِنْكُمْ الْمَبَالِغَ، مَا كَانَتْ تَكِيدُكُمْ بِأَكْثَرِ مِمَّا تُرِيدُونَ أَنْ تَكِيدُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ، تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا أَبْنَاءَكُمْ، وَإِخْوَانَكُمْ))<sup>3</sup> فلما سمعوا ذلك تفرقوا وانتهوا عن عزيمة قتال المسلمين، وهكذا أطاح الرسول ﷺ ومن معه بمؤامرة كانت ستخلخل الصف الإسلامي وتدخل الاضطراب والبلبله في المجتمع المسلم وتجعل الرأى العام في حيرة لولم تنفيذه في حال غفلة من المسلمين أو تغافل عنها.

ومع ذلك لم ينته الخطر عن المدينة، ومازالت العرب ترمي المسلمين من قوس واحدة، ولازال الشر منهم يتهددها، لذلك كان الرأى العام في المدينة شديد الحذر والخوف على أن يصيب رسول الله ﷺ مكروها " ولم يكن هذا مجرد وهم أو خيال، فقد تأكد لدى رسول الله ﷺ من مكائد قريش وإرادتها على الشر ما كان لأجله لا يبيت إلا ساهرا، أوفي حرس من الصحابة.<sup>4</sup> فعن عائشة . رضي الله عنها. قَالَتْ: سَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقْدَمَهُ الْمَدِينَةَ، لَيْلَةً، فَقَالَ: ((لَيْتَ رَجُلًا صَاحِحًا مِنْ أَصْحَابِي

<sup>1</sup> أخرجه أبوداود، أبوداود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السنجستاني (المتوفى:

275هـ)، سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج3، (لا.ط، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، د.ت)، كتاب

الخراج والإمارة والفيء، باب في خبر النضير، ص 156، بتريقيم: 3004، قال الألباني: صحيح الإسناد.

<sup>2</sup> أخرجه أبوداود، المرجع نفسه، ج3، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في خبر النضير، ص 156، بتريقيم: 3004، قال

الألباني: صحيح الإسناد.

<sup>3</sup> أخرجه أبوداود، المرجع نفسه، ج3، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في خبر النضير، ص 156، بتريقيم: 3004، قال

الألباني: صحيح الإسناد.

<sup>4</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 215

يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ)) قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ سَمِعْنَا حَشْحَشَةَ سِلَاحٍ، فَقَالَ: ((مَنْ هَذَا؟)) قَالَ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَا جَاءَ بِكَ؟)) قَالَ: وَقَعَ فِي نَفْسِي حَوْفٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ أَحْرُسُهُ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ نَامَ.<sup>1</sup>

وهو الأمر الذي يؤكد لنا تأهب الرأي العام في المدينة لأي طارئ أو خطر قد يصيب المسلمين عامة والرسول ﷺ خاصة، في حين يعكس لنا مدى توجس هذا الرأي العام مما قد يقدم عليه العدو الخارجي المتمثل في قريش وحلفائها بصورة خاصة.

### الفرع الثاني: التأهب للقتال والمقصد منه

في هذه الظروف الخطيرة التي كانت تهدد كيان المسلمين بالمدينة، والتي كانت تنبئ عن قريش أنهم لا يفيقون عن غيهم، ولا يمتنعون عن تمردهم بحال، أنزل الله تعالى الإذن بالقتال للمسلمين، ولم يفرضه عليهم قال تعالى: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)<sup>2</sup>. نزل الإذن بالمواجهة في وقت كان الرأي العام في المدينة يتوق إلى هذه المواجهة ليردّ جزءاً من العدوان، ويكفّ شرّ الأشرار، ويحدّ من تهديدات قريش وحلفائها، ويبعد خطرهما عن المدينة، حتى يعيشوا في موطنهم في أمن وسلام يعبدون ربهم بكل حرّية واطمئنان، ويقىمون شعائر دينهم بكل عزة وشموخ، ويزيجون الباطل حتى لا يكون عائقاً في طريقهم، وهو المقصد الذي جاءت الآيات تبينه من خلال الإذن بالقتال؛ قال تعالى: (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ)<sup>3</sup>.

### الفرع الثالث: السرايا ودورها في التأثير على الرأي العام الخارجي

لما نزل الإذن بالقتال كانت خطة النبي ﷺ السيطرة على الطريق الرئيس الذي تسلكه قريش من

<sup>1</sup> أخرجه مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج4، كتاب فضائل الصحابة . رضي الله عنهم .، باب فضل سعد بن أبي وقاص .

رضي الله عنه .، ص 1875، بترقيم: 2410

<sup>2</sup> سورة الحج، الآية: 39

<sup>3</sup> سورة الحج، الآية: 41

مكة إلى الشام في تجارتهم، وحتى يتسنى له ذلك كان لا بد من عقد معاهدات الحلف مع القبائل التي كانت مجاورة لهذا الطريق، وإرسال البعوث تلوى الأخرى إلى هذا الطريق، وقد قام رسول الله ﷺ فعلا بتحركات عسكرية هي أشبه بالدوريات الاستطلاعية وكان المقصد منها:

"الاستكشاف والتعرف على الطرق المحيطة بالمدينة، والمسالك المؤدية إلى مكة، وعقد المعاهدات مع القبائل التي مساكنها على هذه الطرق، وإشعار مشركي يثرب ويهودها وأعراب البادية الضاربين حولها بأن المسلمين أقوياء، وأنهم تخلصوا من ضعفهم القديم، وإنذار قريش عُقْبَى طيشها، حتى تفيق عن غيها الذي لا تزال تتوغل في أعماقه، وعليها تشعر بتفاقم الخطر على اقتصادها وأسباب معاشها فتجئح إلى السلم، وتمتنع عن إرادة قتال المسلمين في عقر دارهم، وعن الصد عن سبيل الله، وعن تعذيب المستضعفين من المؤمنين في مكة، حتى يصير المسلمون أحرارا في إبلاغ رسالة الله في ربوع الجزيرة."<sup>1</sup>

وقد أرسل رسول الله ﷺ بعض السرايا، وشارك فيها الكثير من الصحابة، ومنها ما قادها بنفسه، مثل سرية سيف البحر<sup>2</sup>، وسرية رابع<sup>3</sup>، وسرية الحزّار<sup>4</sup>، وغزوة الأبنواء<sup>5</sup>

وغزوة بُواط<sup>6</sup>، وغزوة سَفَوان<sup>7</sup>، وغزوة ذو العُشَيْرَة<sup>8</sup>، وسرية نخلة<sup>9</sup>، وغيرها .

<sup>1</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 217

<sup>2</sup> في رمضان سنة 1 هـ. الموافق مارس سنة 623 م. أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه السرية حمزة بن عبد المطلب.  
<sup>3</sup> في شوال سنة 1 من الهجرة- أبريل سنة 623 م، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبيدة بن الحارث بن المطلب في ستين راكبا من المهاجرين.

<sup>4</sup> في ذي القعدة سنة 1 هـ الموافق مايو سنة 623 م، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن أبي وقاص في عشرين راكبا  
<sup>5</sup> في صفر سنة 2 هـ الموافق أوت سنة 623 م، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه.

<sup>6</sup> في شهر ربيع الأول سنة 2 هـ سبتمبر سنة 623 م، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائتين من أصحابه.

<sup>7</sup> في شهر ربيع الأول سنة 2 هـ سبتمبر سنة 623 م أغار كرز بن جابر الفهري في قوات خفيفة من المشركين على مراعي المدينة، ونهب بعض المواشي، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من أصحابه لمطاردته.

<sup>8</sup> في جمادى الأولى، وجمادى الآخرة سنة 2 هـ الموافق نوفمبر وديسمبر سنة 623 م، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمسين ومائة ويقال: في مائتين، من المهاجرين يعترضون عيرا لقريش، ذاهبة إلى الشام

<sup>9</sup> في رجب سنة 2 هـ الموافق يناير سنة 624 م، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة في اثني عشر رجلا من المهاجرين.

فبعثت تلکم السرايا والغزوات في نفوس كفار قريش ومن حالفهم الرعب والخوف، حيث شعروا أن طريق تجارتهم أصبح غير آمن "ووقعوا فيما كانوا يخشون الوقوع فيه، وعلموا أن المدينة في غاية من التيقظ والترقب، تتربص كل حركة من حركاتهم التجارية، وأن المسلمين يستطيعون أن يزحفوا إلى ثلاثمائة ميل تقريبا، ثم يقتلوا ويأسروا رجالهم، ويأخذوا أموالهم، ويرجعوا سالمين غانمين، وشعر هؤلاء المشركون بأن تجارتهم إلى الشام أمام خطر دائم، لكنهم بدل أن يفيقوا عن غيهم ويأخذوا طريق الصلاح والمودعة- كما فعلت جهينة وبنو ضمرة- ازدادوا حقا وغيظا، وصمم صناديدهم وكبرأؤهم على ما كانوا يوعدون ويهددون به من قبل، من إبادة المسلمين في عقر دارهم، وهذا هو الطيش الذي جاء بهم إلى بدر.<sup>1</sup>

يقول الشيخ محمد الغزالي . رحمه الله .: "الحكمة في توجيه هذه السرايا على ذلك النحو المتتابع تتلخص في أمرين: أولهما: إشعار مشركي يثرب ويهودها وأعراب البادية الضارين حولها، أن المسلمين أقوياء، وأنهم تخلصوا من ضعفهم القديم. ذلك الضعف الذي مكن قريشا في مكة من مصادرة عقائدهم وحرّياتهم واغتصاب دورهم وأموالهم... فإن المتربصين بالإسلام في المدينة كثر ولن يصددهم عن النيل منه إلا الخوف وحده."<sup>2</sup> ثم يقول: "والأمر الثاني . في الحكمة من بعث السرايا . إنذار قريش عقبي طيشها، فقد حاربت الإسلام، ولا تزال تحاربه، ونكلت بالمسلمين في مكة، ثم بقت ماضية في غيها، لا تسمح لأحد من أهل مكة أن يدخل في دين الله. ولا تسمح لهذا الدين أن يجد قرارا في بقعة أخرى من الأرض، فأحب الرسول أن يشعر حكام مكة بأن هذه الخطة الجائرة ستلحق بهم الأضرار الفادحة وأنه قد مضى . إلى غير عودة . ذلك العصر الذي كانوا يعتدون فيه على المؤمنين، وهم بمأمن من القصاص."<sup>3</sup>

#### الفرع الرابع: فرض القتال وأثره على الرأي العام

وأما المسلمون فبعد سرية نخلة فرض القتال عليهم إثر نزول قوله تعالى: ( وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ، وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ، وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمْ فِيهِ،

<sup>1</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 221

<sup>2</sup> محمد الغزالي، فقه السيرة، مرجع سابق، ص 228

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 228 . 229 بتصرف

فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ. فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينَ لِلَّهِ، فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ<sup>1</sup>

وذم الذين ارتجفت قلوبهم لما سمعوا الأمر بالقتال: (فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ)<sup>2</sup>

"وإيجاب القتال والحض عليه، والأمر بالاستعداد له هو عين ما كانت تقتضيه الأحوال، ولو كان هناك قائد يسير أغوار الظروف لأمر جنده، بالاستعداد لجميع الطوارئ، فكيف بالرب العليم المتعال، فالظروف كانت تقتضي عراقا داميا بين الحق والباطل، وكانت وقعة سرية عبد الله بن جحش ضربة قاسية على غيرة المشركين وحميتهم، آلتهم، وتركتم يتقبلون على مثل الجمر. وآيات الأمر بالقتال تدل بفحواها على قرب العراك الدامي، وأن النصر والغلبة فيه للمسلمين نهائيا"<sup>3</sup> وهذا كله إعداد للرأي العام لما هو قادم من الأيام ستكون فيه المواجهة حتمية مع أهل الكفر والطغيان وقادة الظلم في قريش، ويبشرهم أن النصر والغلبة للمسلمين ليزداد تحفزهم وتطمئن قلوبهم، ولكن ترك كل ذلك مستورا لأجل .

## المطلب الثاني: غزوة بدر والرأي العام

### الفرع الأول: استطلاع الرأي العام الإسلامي قبل المواجهة

بعد تلك السرايا التي تعد تحفيزا للرأي العام وتدريباً عملياً له على المواجهة تأتي غزوة بدر الكبرى التي كانت بمثابة المواجهة الحقيقية الأولى على أرض الواقع، يتواجه فيها فرسان الإيمان مع جهابذة الكفر وجها لوجه، يمتحن الله فيها أهل الإيمان ويرغم فيها أنوف أهل الشرك .

"واستعد رسول الله صلى الله عليه وسلم للخروج ومعه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً (313، 314، 317 رجلاً)، 82 أو 83 أو 86 من المهاجرين، و61 من الأوس و170 من الخزرج. ولم يحتفلوا لهذا الخروج احتفالاً بليغاً، ولا اتخذوا أهبتهم كاملة، فلم يكن معهم إلا فرسان، فرس للزبير بن العوام، وفرس للمقداد بن الأسود الكندي، وكان معهم سبعون بعيراً

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآيات: 190-193

<sup>2</sup> سورة محمد، الآية: 20

<sup>3</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 222

ليعتقب الرجلان والثلاثة على بعير واحد، وكان رسول الله ﷺ وعليّ ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيرا واحدا.<sup>1</sup> أما جيش قريش فقد خرج من مكة "وكان قوام هذا الجيش نحو ألف وثلاثمائة مقاتل في بداية سيره، وكان معه مائة فرس وستمائة درع، وجمال كثيرة لا يعرف عددها بالضبط، وكان قائده العامّ أبا جهل بن هشام، وكان القائمون بتموينه تسعة رجال من أشرف قريش، فكانوا ينحرون يوما تسعا ويوما عشرا من الإبل."<sup>2</sup> وتحرك جيش مكة وخرجوا من ديارهم يملأهم البطر والرياء، وأقبلوا بجدهم وحديدتهم يحادون الله ورسوله، وعلى حمية وغضب وحنق على رسول الله ﷺ وأصحابه.<sup>3</sup>

ولما علم رسول الله ﷺ بخروج جيش قريش إليهم استدعى من معه من الجنود وعقد مجلسا استشاريا يستطلع رأيهم "أشار فيه إلى الوضع الراهن، وتبادل فيه الرأى مع عامّة جيشه، وقادته.

وحينئذ تزعزع قلوب فريق من الناس، وخافوا اللقاء الدامي، وهم الذين قال الله فيهم: (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُِونَ. يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ)<sup>4</sup> وأما قادة الجيش، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال:

(يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه، حتى تبلغه.) فقال له رسول الله ﷺ خيرا ودعا له به.<sup>5</sup> وهؤلاء القادة الثلاثة للرأي العامّ من المهاجرين، وهم أقلية في الجيش، ويريد رسول الله ﷺ استطلاع رأي الأنصار وهم الأغلبية، فقال رسول الله: (( أشيروا علي أيها الناس )) وتفطن إلى ذلك قائد الأنصار سعد بن معاذ فقال: والله، لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: (( أجل. ))

قال: فقد آمننا بك، فصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحقّ، وأعطيناك على ذلك عهدنا وموآثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فو الذي بعثك بالحقّ لو استعرضت بنا

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 224

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 226

<sup>3</sup> انظر المرجع نفسه، ص 226

<sup>4</sup> سورة الأنفال، الآيتان: 05 . 06

<sup>5</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 228

هذا البحر فخصته لخصناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوا غدا، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله.<sup>1</sup> إن النبي ﷺ إنما كان يريد أن يعرف رأي الأنصار أنفسهم في ذلك الأمر: "ترى هل سيصدرون في آرائهم وأحكامهم عن المعاهدة التي تمت بينهم وبينه عليه الصلاة والسلام من حيث أنها معاهدة خاصة تستوجب الالتزام بها، وإذن فليس من حقه أن يجبرهم عن القتال معه والدفاع عنه إلا في داخل المدينة كما تنص على ذلك المعاهدة. أم سيصدرون عن مشاعرهم الإسلامية ومعاهدتهم الكبرى مع الله تعالى؟ إذن فمن حق النبي ﷺ أن يكون الأمين فيهم على هذه المعاهدة، ومن واجبهم أن يبذلوا حقوق هذه المعاهدة ويقوموا بمسئولياتها كاملة."<sup>2</sup> وهو الأمر الذي كان يريد النبي ﷺ استيضاحه من الأنصار أنفسهم .

"ولدى التأمل فيما أجاب به سعد بن معاذ نعلم أن المبايعة التي ارتبط بها مع رسول الله ﷺ في مكة قبل الهجرة، لم تكن إلا مبايعة مع الله تعالى، ولم يكونوا يتصورون وهم يلتزمون الدفاع عن رسول الله ﷺ حينما يهاجر إليهم إلا دفاعا عن دين الله وشريعته. فليست القضية مسألة نصوص معينة اتفقوا مع رسول الله ﷺ عليها فهم لا يريدون أن يلتزموا بما وراءها، وإنما المسألة أنهم إنما وقَّعوا بذلك تحت صك عظيم تضمَّن قوله تعالى: ( إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ )<sup>3</sup>...<sup>4</sup>

وبهذا الموقف اطمأن رسول الله ﷺ إلى أن الرأي في الجيش المسلم على موقف واحد من مواجهة العدو، وأن ليس فيه ما يعرضه للاضطراب والخلل، وأنه من كان له رأيا مخالفا أو مغايرا لما عليه الناس فليظهر ويعالج قبل أن يحمى الوطيس، فلما استعرض رسول الله ﷺ الآراء في الجيش ووجدهم على قلب رجل واحد اطمأنَّ وسرَّ ونشَّطه ذلك، ثم قال: ((سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين: والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم))<sup>5</sup>

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 228 . 229

<sup>2</sup> محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، مرجع سابق، ص 229

<sup>3</sup> سورة التوبة، الآية: 111

<sup>4</sup> محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، مرجع سابق، ص 230

<sup>5</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 229

" ثم عبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشه، ومشى في موضع المعركة، وجعل يشير بيده: ((هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله، وهذا مصرع فلان غدا إن شاء الله))<sup>1</sup>. ثم بات رسول الله ع يصلي إلى جذع شجرة هنالك، وبات المسلمون ليلهم هادئ الأنفاس منير الآفاق، غمرت الثقة قلوبهم، وأخذوا من الراحة قسطهم، يأملون أن يروا بشائر رهم بعيونهم صباحا (إِذْ يُعَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ)<sup>2</sup> ...<sup>3</sup>

أما جيش قريش فقد أصابه الخور والانشقاق وعزم جزء منه بقيادة عتبة بن ربيعة على الانسحاب والرجوع إلى مكة لولا ثبات أبي جهل وتصميمه على المواجهة، وبالتالي فإن قريش دخلت المعركة وصفوف جيشها على غير وفاق.

وعند مياه بدر التقى الجيشان، وقامت المبارزات الأولى التي كانت وقود المعركة وبشارة أولى للمسلمين بالنصر كما وعدهم رسول الله ع، وقام رسول الله ع يناجي ربه ويناشده ما وعده من النصر فيقول:

" اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهللك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض))، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَا دَامَ يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَفَاكَ مُنَاشِدَتُكَ رَبِّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ( إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ<sup>4</sup> ) فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ<sup>5</sup>

"وبدأت أمارات الفشل والاضطراب في صفوف المشركين، وجعلت تتهدم أمام حملات المسلمين العنيفة، واقتربت المعركة من نهايتها، وأخذت جموع المشركين في الفرار والانسحاب المبدد، وركب

<sup>1</sup> أخرجه مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج4، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ عَلَيْهِ، وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ، ص 2202، بترقيم: 2873

<sup>2</sup> سورة الأنفال، الآية: 11

<sup>3</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 231 . 232

<sup>4</sup> سورة الأنفال، الآية: 09

<sup>5</sup> أخرجه مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج3، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم، ص 1383، بترقيم: 1763

المسلمون ظهورهم يأسرون ويقتلون حتى تمت عليهم الهزيمة.<sup>1</sup> وصرع قائد جيش المشركين الطاغية الأكبر أبو جهل وتبدد جيش الكفر وانقضت سحابة الظلم والغرور، وانتصر الحق وارتفعت راية الإسلام عالية خفاقة في سماء بدر لتعلن بداية مرحلة جديدة للإسلام والمسلمين.

### الفرع الثاني: موقف الرأي العام الخارجي عقب بدر

إن النصر الحاسم الذي ناله المسلمون في بدر ذهل له العرب قاطبة "بل إن أهل مكة استنكروا الخبر أول ما جاءهم، وحسبوه هذيان مجنون، فلما استبان صدقه صعق نفر منهم فهلك لتوه، وماج بعضهم في بعض من هول المصاب لا يدري ما يفعل... وقد اختلفت مسالك الأحزاب الكافرة بإزاء المسلمين بعد هذا الغلب الذي مكن للإسلام وأهله، وجعل سلطانهم مهيبا في المدينة وما حولها، ومد نفوذهم على طريق القوافل في شمال الجزيرة، فأصبح لا يمر بها أحد إلا يذنبهم."<sup>2</sup> إن هذه الهزيمة المدوية جعلت الرأي العام في مكة ينطوي على نفسه وهولا يصدق ما حل بهم يقول الشيخ محمد الغزالي: "فأما أهل مكة فقد انطوا على أنفسهم، يداوون جراحهم، ويستعيدون قواهم، ويستعدون لنيل ثأرهم. ويعلنون أن يوم الانتقام قريب، ولم تزدهم الهزيمة إلا كرها للإسلام، ونقمة على محمد وصحبه، واضطهادا لمن يدخل في دينه، فكان من ينشرح صدره للإسلام يحتفي به أو يعيش ذليلا مستضعفا."<sup>3</sup> هذا كان في مكة حيث دولة الكفر، فكيف كان الأمر في المدينة؟

### الفرع الثالث: الرأي العام في المدينة عقب بدر

في الوقت الذي كان فيه المسلمون مع رسول الله ﷺ في بدر يجالدون الكفار ويلحقون بهم شر الهزيمة، كان الجو ملبدا بالغيوم في المدينة، حيث أشاع اليهود والمنافقون مقتل النبي ﷺ وهزيمة المسلمين، ولا يوجد من يصد هذه الشائعة ويستوثق من الأخبار لبعد المسافة بين المدينة وبدر (نحو 160 كلم).

<sup>1</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 238 . 239

<sup>2</sup> محمد الغزالي، فقه السيرة، مرجع سابق، ص 255

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 256

وعقب بدر أرسل النبي ﷺ عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة إلى المدينة ليشرا أهلها بالنصر، وكان قد أعطى ناقته القصواء ليركبها زيد "ولما رأى أحد المنافقين زيد بن حارثة راكبا القصواء - ناقه رسول الله ﷺ قال: لقد قتل محمد، وهذه ناقته نعرفها، وهذا زيد لا يدري ما يقول من الرعب، وجاء فلأ<sup>1</sup> . فلما بلغ الرسول أن أحاط بهما المسلمون، وأخذوا يسمعون منهما الخبر، حتى تأكد لديهم فتح المسلمين، فعمت البهجة والسرور، واهتزت أرجاء المدينة تهليلا وتكبيرا، وتقدم رؤوس المسلمين - الذين كانوا بالمدينة - إلى طريق بدر، ليهتئوا رسول الله ﷺ بهذا الفتح المبين.<sup>2</sup> ثم إن النصر الذي أحرزه المسلمون في بدر أثر تأثيرا بالغاً على مجتمع المدينة المنورة، فمنهم المسلمون الذين ابتهجوا كثيرا لذلك، ومنهم الكافرون الذين أسلم منهم الكثير، ومنهم من أظهر الإسلام وأبطن الكفر فقط خشية من رسول الله ﷺ، كما ألقى هذا النصر الرعب في نفوس الكثيرين من المعادين للإسلام في المدينة، يقول المباركفوري: "ثم دخل رسول الله ﷺ المدينة مظفرا منصورا، قد خافه كل عدو له بالمدينة وحولها. فأسلم بشر كثير من أهل المدينة، وحينئذ دخل عبد الله بن أبي وأصحابه في الإسلام ظاهرا.<sup>3</sup>" وهكذا فإن خريطة الرأي العام في المدينة تغيرت، وصار جل سكانها يدينون بالإسلام.

#### الفرع الرابع: القرآن يوجه الرأي العام في المدينة بعد غزوة بدر

إثر غزوة بدر نزلت سورة الأنفال توجه الرأي العام في المدينة وترسم له الخطوط العريضة التي ينبغي التزامها في المرحلة القادمة وهذه السورة تعليق إلهي - إن صح هذا التعبير - على هذه المعركة، يختلف كثيرا عن التعليقات التي ينطق بها الملوك والقواد بعد الفتح. "إن الله تعالى لفت أنظار المسلمين - أولا - إلى التقصيرات والتقاريط الأخلاقية التي كانت قد بقيت فيهم، وصدرت بعضها منهم، ليسعوا في تكميل نفوسهم وتركيتها عن هذه التقاريط. ثم ثنى بما كان في هذا الفتح من تأييد الله وعونه ونصره بالغيب للمسلمين. ذكر لهم ذلك لئلا يغتروا بشجاعتهم وبسالتهم، فتنسور نفوسهم الغطرسة والكبرياء، بل ليتوكلوا على الله ويطيعوه ويطيعوا رسوله عليه الصلاة والسلام.

<sup>1</sup> أي منهزما

<sup>2</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 246

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 247

ثم بين لهم الأهداف والأغراض النبيلة التي خاض الرسول ﷺ لأجلها هذه المعركة الدامية الرهيبة، ودلهم على الصفات والأخلاق التي تسببت في الفتوح وفي المعارك.<sup>1</sup> ثم وعظ المشركين والمنافقين واليهود وأسارى المعركة لعلمهم يهتدوا وينظموا إلى الصف الإسلامي ويكونون عوناً ورافداً للرأي العام الإسلامي، ثم خاطب المسلمين حول موضوع الغنائم وقنن لهم مبادئ وأسس هذه المسألة.

" ثم بين وشرع لهم من قوانين الحرب والسلم ما كانت الحاجة تمس إليها بعد دخول الدعوة الإسلامية في هذه المرحلة، حتى تمتاز حروب المسلمين عن حروب أهل الجاهلية، ويقوم لهم التفوق في الأخلاق والقيم والمثل، ويتأكد للدنيا أن الإسلام ليس مجرد وجهة نظرية، بل إنه يثقف أهله عملياً على الأسس والمبادئ التي يدعو إليها. ثم قرر بنوداً من قوانين الدولة الإسلامية التي تقيم الفرق بين المسلمين الذين يسكنون داخل حدودها، والذين يسكنون خارجها.<sup>2</sup> وهكذا اتضحت الصورة كاملة لدى الرأي العام الإسلامي بهذا البيان التفصيلي الذي ورد في سورة الأنفال.

### المطلب الثالث: غزوة أحد والرأي العام

#### الفرع الأول: الرأي العام في مكة يستعد للثأر

كانت مكة تحترق غيظاً على المسلمين مما أصابها في معركة بدر من مأساة الهزيمة وقتل الصناديد والأشراف، "وكانت تجيش فيها نزعات الانتقام وأخذ الثأر، حتى إن قريشاً كانوا قد منعوا البكاء على قتلاهم في بدر، ومنعوا من الاستعجال، في فداء الأسارى، حتى لا يتفطن المسلمون مدى مأساتهم وحزهم.

وعلى أثر غزوة بدر اتفقت قريش على أن تقوم بحرب شاملة ضد المسلمين، تشفي غيظها، وتروي غلة حقدتها، وأخذت في الاستعداد للخوض في مثل هذه المعركة.<sup>3</sup>

وقام قادة الرأي في مكة بتحريض الناس ودفعهم إلى الاستعداد للمعركة القادمة فطلبوا من أصحاب الأموال التي كانت في القافلة التي نجا بها أبو سفيان . والتي كانت سبباً في معركة بدر . أن يحتجزوها للمعركة، كما فتحو باب التطوع لكل من يريد غزو المسلمين، كما قاموا بتحريض القبائل

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 249 . 250

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 250

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 264

ضد المسلمين. "ولما استدارت السنّة كانت مكة قد استكملت عدتها، واجتمع إليها من المشركين ثلاثة آلاف مقاتل من قريش والحلفاء والأحابيش."<sup>1</sup> وبهذا التحريض والدفع إلى التطوع جعلوا الرّأي العامّ في مكة ومن حولها لا شغل له إلا المعركة القادمة التي ستكون معركة الانتقام والثأر، وأن كل فرد في مكة يشعر أنه جزء منها لكونه مشاركا مباشرا أو يدفع من ينوب عنه، أو متطوعا بماله وسلاحه.

### الفرع الثاني: الرّأي العامّ في المدينة في حذر

ظل الرّأي العامّ في المدينة منذ غزوة بدر في استنفار عامّ وحذر شديد، يقول المباركفوري: "وظلت المدينة في حالة استنفار عامّ، لا يفارق رجالها السلاح، حتى وهم في الصّلاة، استعدادا للطوارئ. وقامت مفرزة من الأنصار - فيهم سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وسعد بن عباد - بحراسة رسول الله ﷺ، فكانوا يبيتون على بابه وعليهم السلاح. وقامت على مداخل المدينة وأنقابها مفرزات تحرسها، خوفا من أن يؤخذوا على غرة. وقامت دوريات من المسلمين - لاكتشاف تحركات العدو - تتجول حول الطرق التي يحتمل أن يسلكها المشركون للإغارة على المسلمين."<sup>2</sup>

### الفرع الثالث: الرسول ﷺ يستشير قادة الرّأي العامّ

ولما بلغ النّبّي ﷺ استعداد قريش وتحرك جيشها نحو المدينة جمع قادة المهاجرين والأنصار لاستشارتهم حول الوضع الجديد الذي يتهدّد المدينة، وهنا انقسم الرّأي إلى قسمين:

\* جماعة من المهاجرين والأنصار على رأسهم رسول الله ﷺ يرون بأن يتحصنوا في المدينة.

\* جماعة أخرى من فضلاء الصحابة متحمسين أشاروا على النّبّي ﷺ بالخروج والمواجهة خارج المدينة.

"وتنازل رسول الله ﷺ عن رأيه مراعاة لهؤلاء المتحمسين، واستقر الرّأي على الخروج من المدينة، واللقاء في الميدان السافر."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 265

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 266

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 267

إن استطلاع النَّبِيِّ ﷺ للرَّأي العامّ في هذا الوقت الحرج بالذات يدل على مدى الأهميّة التي يوليها الرسول ﷺ لهذا الرَّأي العامّ، وأنه ﷺ لم يكتف بمجرد استشارة النَّاس حول الوضع واستخراج آرائهم بل تنازل عن رأيه واتبع رأي الأغلبيّة فيه، وهذا يَعْلَمُنَا أنه لا غنى للحاكم المسلم وغيره عن تحسُّس اتِّجَاه الرَّأي العامّ بالشُّورى أو غيرها من الوسائل، وخاصّة في القضايا الحسّاسة والمصيرية التي يكون فيها جزء من المسؤوليّة على كاهل المجتمع.

### الفرع الرابع: الروح المعنوية للرَّأي العام بعد الهزيمة

بالرغم من أن معركة أحد انتهت بهزيمة المسلمين إلا أن ذلك لم يفت من عضدهم، ولم ينل من عزيمتهم، ولم تصبهم الهزيمة النفسيّة، بل "بات المسلمون في المدينة- ليلة الأحد الثامن من شهر شوال سنة 3 هـ بعد الرجوع من معركة أحد- وهم في حالة الطوارئ، باتوا- وقد أنهكهم التعب، ونال منهم أي منال- يجرسون أنقاب المدينة ومدخلها، ويجرسون قائدهم الأعلى رسول الله ﷺ خاصّة، إذ كانت تتلاحقهم الشبهات من كل جانب."<sup>1</sup>

ولا أدل على أن الروح المعنوية للمسلمين بقيت مرتفعة ولم ينلها الخور أن النَّبِيِّ ﷺ جمع أصحابه مرة أخرى ليعاود الكرة والهجوم على جيش قريش في "حمراء الأسد"، وقد خرج معه من شهد أحدا، ولم يستطع جيش قريش المواجهة مرة أخرى، بل فرَّ قافلا إلى مكة، وهكذا أحرز المسلمون نصرا. مرة أخرى. بالرعب من غير مواجهة.

### الفرع الخامس: تربية الرَّأي العامّ الإسلامي وتوجيهه من خلال غزوة أحد

رغم ما وقع للمسلمين من انكسار في غزوة أحد إلا أنها لا تخلو من الدروس التربوية التي أراد الله تعالى أن يسوقها لهم، ليتعلم من خلالها الرَّأي العامّ في المدينة ويوجهه الوجهة الصحيحة، ويعدّه لمستقبل الأيام، يقول ابن حجر العسقلاني مبينا جملة من الدروس المستفادة من غزوة أحد:

" قَالَ الْعُلَمَاءُ وَكَانَ فِي قِصَّةِ أُحُدٍ وَمَا أُصِيبَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ فِيهَا مِنْ الْقَوَائِدِ وَالْحِكَمِ الرَّبَّانِيَّةِ أَشْيَاءٌ عَظِيمَةٌ مِنْهَا:

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 297

. تَعْرِيفُ الْمُسْلِمِينَ سُوءَ عَاقِبَةِ الْمَعْصِيَةِ وَشُؤْمِ اِزْتِكَابِ النَّهْيِ لِمَا وَقَعَ مِنْ تَرْكِ الرُّمَاءِ مَوْقِفَهُمُ الَّذِي أَمَرَهُمُ الرَّسُولُ أَنْ لَا يَبْرَحُوا مِنْهُ .

. وَمِنْهَا أَنَّ عَادَةَ الرُّسُلِ أَنْ تُبْتَلَى وَتَكُونَ لَهَا الْعَاقِبَةُ ... وَالْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ أَنََّّهُمْ لَوْ ائْتَصَرُوا دَائِمًا دَخَلَ فِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ وَلَمْ يَتَمَيَّزِ الصَّادِقُ مِنْ غَيْرِهِ وَلَوْ ائْتَصَرُوا دَائِمًا لَمْ يَخْضَلِ الْمُقْصُودُ مِنَ الْبَعْتَةِ فَاقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ الْجَمْعَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ لِتَمْيِيزِ الصَّادِقِ مِنَ الْكَاذِبِ وَذَلِكَ أَنَّ نِفَاقَ الْمُنَافِقِينَ كَانَ مَخْفِيًّا عَنِ الْمُسْلِمِينَ فَلَمَّا جَرَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ وَأَظْهَرَ أَهْلُ النِّفَاقِ مَا أَظْهَرُوهُ مِنَ الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ عَادَ التَّلْوِيحُ تَصْرِيحًا وَعَرَفَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ لَهُمْ عَدُوًّا فِي دُورِهِمْ فَاسْتَعَدُّوا لَهُمْ وَتَحَرَّزُوا مِنْهُمْ .  
 . وَمِنْهَا أَنَّ فِي تَأْخِيرِ النَّصْرِ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ هَضْمًا لِلنَّفْسِ وَكَسْرًا لِشِمَاحَتِهَا فَلَمَّا ائْتَلَى الْمُؤْمِنُونَ صَبْرًا وَجَزَعَ الْمُنَافِقُونَ .

. وَمِنْهَا أَنَّ اللَّهَ هَيَأُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ مَنَازِلَ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ لَا تَبْلُغُهَا أَعْمَاهُمْ فَفَيَضُّهُمْ أَسْبَابُ الْإِئْتِلَاءِ وَالْمَحَنِ لِيَصِلُوا إِلَيْهَا. <sup>1</sup> هذه جملة من الدروس والتوجيهات التربوية للرأي العام الإسلامي.

#### الفرع السادس: الرأي العام الإسلامي في المدينة بعد أحد

كان لمأساة أحد أثر سيء على سمعة المؤمنين، فقد ذهبت ريحهم، وزالت هيبتهم عن النفوس، وزادت المتاعب الداخلية والخارجية على المؤمنين، وأحاطت الأخطار بالمدينة من كل جانب، وكاشف اليهود والمنافقون والأعراب بالعداء السافر، وهمت كل طائفة منهم أن تنال من المؤمنين، بل طمعت في أن تقضي عليهم، وتستأصل شأفتهم. <sup>2</sup> ولم تمر شهران على المعركة حتى كشرت بعض القبائل على أنيابها واستسهلت المدينة "تهيأت بنو أسد للإغارة على المدينة، ثم قامت قبائل عضل وقارة في شهر صفر سنة 4 هـ بمكيدة، سببت في قتل عشرة من الصحابة، وفي نفس الشهر قامت بنو عامر بمكيدة مثلها، سببت في قتل سبعين من الصحابة، وتعرف هذه الوقعة بوقعة بئر معونة، ولم تزل بنو النضير خلال هذه المدة تجاهر بالعداوة حتى قامت في ربيع الأول سنة 4 هـ بمكيدة تهدف إلى قتل النبي ﷺ: وتجرات بنو غطفان، حتى همت بالغزو على المدينة في جمادى الأولى سنة 4 هـ. <sup>3</sup>

<sup>1</sup> أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، عليه تعليقات العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ج7، (لا.ظ، بيروت، دار المعرفة، 1379 هـ)، ص 347 بتصرف

<sup>2</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 303

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 303

وكادت ربح المسلمين أن تذهب لولا أن النَّبِيَّ ﷺ تدارك بحكمته الموقف وأعاد للمسلمين هيبتهم وأكسبهم العلو والمجد من جديد، وذلك من خلال السرايا والبعوث التي قَلَمَ بها أظافر القبائل المناوئة على أطراف المدينة، وغزوة بني النضير<sup>1</sup> التي ردت كيد اليهود الذين كانوا يتحرقون على الإسلام والمسلمين، وكانوا هم الخطر المحدق داخل المدينة، وغزوات: نجد<sup>2</sup>، وبدر الثانية<sup>3</sup>، ودومة الجندل<sup>4</sup>... إلخ.

و"بهذه الإجراءات السريعة الحاسمة، وبهذه الخطط الحكيمة الحازمة نجح النَّبِيُّ ﷺ في بسط الأمن، وتنفيذ السلام في المنطقة والسيطرة على الموقف، وتحويل مجرى الأيام لصالح المسلمين، وتخفيف المتاعب الداخلية والخارجية التي كانت قد توالى عليهم، وأحاطتهم من كل جانب، فقد سكت المنافقون واستكانوا، وتم إجلاء قبيلة من اليهود، وبقيت الأخرى تظاهر بإيفاء حق الجوار وإيفاء العهود والمواثيق، واستكانت البدو والأعراب، وحادت قريش عن مهاجمة المسلمين، ووجد المسلمون فرصة لإفشاء الإسلام وتبليغ رسالات رب العالمين."<sup>5</sup>

### المطلب الرابع: غزوة الأحزاب والرأي العام

عاد السلام والأمن، وهدأت الجزيرة العربية بعد الحروب والبعثات التي استغرقت أكثر من سنة كاملة، إلا أن اليهود- الذين كانوا قد ذاقوا ألوانا من الذلة والهوان نتيجة غدرهم وخيانتهم ومؤامراتهم ودسائسهم- لم يفيقوا من غيِّهم، ولم يستكينوا ولم يتعظوا بما أصابهم نتيجة الغدر والتآمر، "فبعد نفيهم إلى خيبر ظلوا ينتظرون ما يحل بالمسلمين نتيجة المناوشات التي كانت قائمة بين المسلمين والوثنيين. ولما تحول مجرى الأيام لصالح المسلمين، وتمخضت الليالي والأيام عن بسط نفوذهم، وتوطد سلطانهم، تحرق هؤلاء اليهود أي تحرق. وشرعوا في التآمر من جديد على المسلمين، وأخذوا يعدُّون العدة،

<sup>1</sup> انظر المرجع نفسه، ص 307

<sup>2</sup> انظر المرجع نفسه، ص 311

<sup>3</sup> انظر المرجع نفسه، ص 312

<sup>4</sup> انظر المرجع نفسه، ص 313

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 313

لتهيئة ضربة إلى المسلمين تكون قاتلة لا حياة بعدها. ولما لم يكونوا يجدون في أنفسهم جرأة على مناورة المسلمين مباشرة، خططوا لهذا الغرض خطة رهيبة.<sup>1</sup>

إن اليهود في المدينة لم يندمجوا في المجتمع الإسلاميّ وبقوا يشكلون كيانا مستقلا رغم المعاهدات والمواثيق التي أمضوها مع المسلمين باعتبارهم جزء منهم، فقد بقوا يشكلون رأيا عامًا منفصلا عن الرّأي العامّ المدني، وسرعان ما أسفرت عن ذلك الحوادث والوقائع.

لقد هالهم انتصار المسلمين والاستقرار النسبي الذي يمرون به، فما برحوا يقومون بالمؤامرات وخاصةً يهود بني النضير؛ فشكّلوا وفدا من ساداتهم وزعمائهم يتصل بقريش والقبائل الأخرى يحرصون ضد المسلمين حتى استجابت لهم، وشكّلت قريش والقبائل المتحالفة معها جيشا قوامه عشرة آلاف مقاتل ليستأصلوا شأفة المسلمين، ولما بلغ ذلك رسول الله ﷺ في المدينة "سارع رسول الله ﷺ إلى عقد مجلس استشاري أعلى، تناول فيه موضوع خطة الدفاع عن كيان المدينة، وبعد مناقشات جرت بين القادة وأهل الشورى، اتفقوا على قرار قدمه الصحابي النبيل سلمان الفارسي . رضي الله عنه .. قال سلمان: يا رسول الله، إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا- وكانت خطة حكيمة لم تكن تعرفها العرب قبل ذلك-. وأسرع رسول الله ﷺ إلى تنفيذ هذه الخطة، فوكل إلى كل عشرة رجال أن يحفروا من الخندق أربعين ذراعا."<sup>2</sup>

وقام المسلمون بجد ونشاط يحفرون الخندق، ورسول الله ﷺ يحثهم ويساهمهم في عملهم هذا، ففي البخاري عن سهل بن سعد، قال: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق، وهم يحفرون، ونحن ننقل التراب على أكتادنا<sup>3</sup>، فقال رسول الله ﷺ: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والأنصار.<sup>4</sup> كان المسلمون يعملون بهذا النشاط وهم يقاسون من شدة الجوع، قال أنس وهو يحكي عن أهل الخندق: ((يُؤْتُونَ بِمِلءِ كَفِّي مِنَ الشَّعِيرِ، فَيُصْنَعُ لَهُمْ بِإِهَالَةٍ سَنِيخَةٌ، تُوضَعُ بَيْنَ يَدَيْ الْقَوْمِ، وَالْقَوْمُ جِيَاعٌ، وَهِيَ بَشِيعَةٌ فِي الْحَلْقِ، وَلَهَا رِيحٌ مُنْتِنٌ))<sup>5</sup>

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 314

<sup>2</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 316

<sup>3</sup> جمع كتد، وهو مجتمع الكتفين

<sup>4</sup> أخرجه البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج5، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ص 107، بترقيم:

<sup>5</sup> أخرجه البخاري، المرجع نفسه، ج5، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ص 108، بترقيم: 4100.

وأثناء حفر الخندق وقعت آيات من أعلام النبوة وبشائر تشحذ هممة المسلمين وترفع معنوياتهم وتزيد من نشاطهم، فقد بشرهم الرسول ﷺ بفتح الشام وفارس واليمن<sup>1</sup>.

"وكانت غزوة الخندق سنة خمس من الهجرة في شوال على أصح القولين، وأقام المشركون محاصرين رسول الله ﷺ والمسلمين شهراً"<sup>2</sup>

مما يلاحظ على الرأي العام في هذه الغزوة:

. تجند معظم الرأي العام المدني لهذه الغزوة حتى جمع رسول الله ﷺ كل من يستطيع الغزو أو الحفر والعمل فكانوا نحو أربعة آلاف رجل .

. إن الذين بقوا في المدينة إما نساء أو صغاراً أو عاجزين أو رجالاً كلفهم رسول الله ﷺ بجراحة المدينة.

. تصدي النساء لمؤامرة اليهود والقضاء عليها في مهدها<sup>3</sup>، تدل دلالة واضحة على مدى تجند

الرأي العام الإسلامي ويقظته.

. اتصال بني قريظة بقريش وبعض القبائل العربية للتحريض ضد المسلمين يعد خيانة عسكرية وسياسية وخرقا للعهد والمواثيق تستحق أقصى العقوبة.

. نلاحظ الروح المعنوية العالية للجيش الإسلامي رغم قلة عددهم (أربعة آلاف) مقابل جيش

الأحزاب ( عشرة آلاف )، وعبر عن ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى: ( وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ

الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا)<sup>4</sup>

. انكشاف أمر المنافقين وضعاف النفوس داخل جيش الإسلام الذين تزعزت نفوسهم لرؤية

جيش الأحزاب وأصابهم الذعر والخور وظنوا بالله ورسوله الظنوننا، قال تعالى: ( وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ

وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا)<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> انظر المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 318

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 325

<sup>3</sup> انظر قصة صفية بنت عبد المطلب . رضي الله عنها. في فارع حصن حسان بن ثابت وقتلها أحد اليهود عندما أراد خيانة المسلمين. ( انظر المرجع نفسه، ص 326)

<sup>4</sup> سورة الأحزاب، الآية: 22

<sup>5</sup> سورة الأحزاب، الآية: 12

. " إن معركة الأحزاب لم تكن معركة خسائر؛ بل كانت معركة أعصاب، لم يجر فيها قتال مرير، إلا أنها كانت من أحسم المعارك في تاريخ الإسلام، تمخضت عن تحاذل المشركين، وأفادت أن أية قوة من قوات العرب لا تستطيع استئصال القوة الصغيرة التي تنمو في المدينة، لأن العرب لم تكن تستطيع أن تأتي بجمع أقوى مما أتت به في الأحزاب."<sup>1</sup> ولذلك قال رسول الله ﷺ حين أجلى الله الأحزاب: ((الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم))<sup>2</sup>.

. مما يلاحظ أيضا مسارعة النبي ﷺ إلى استطلاع اتجاه الرأي العام وحرصه على الأخذ برأي قادة المجتمع والجيش وذلك حين استشارهم حول مصالحة بعض قادة القبائل العربية المنظمة إلى الأحزاب على ثلث ثمار المدينة، حتى ينصرفوا ويخفف الحصار عن المدينة، لكن السعديين ( سعد بن عبادة وسعد بن معاذ) - وهما يمثلان قادة الرأي العام في الأنصار - رفضا ذلك فالتزم النبي ﷺ برأيهما.

### المطلب الخامس: غزوة مؤتة والرأي العام

كانت معركة مؤتة في جمادي سنة ثمان للهجرة، وسبب هذه المعركة أن عامل اللقاء من أرض الشام من قبل قيصر: وهو شرحبيل بن عمرو الغساني قتل رسول الله ﷺ "وكان قتل السفراء والرسول من أشنع الجرائم، يساوي بل يزيد على إعلان حالة الحرب، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ حين نقلت إليه الأخبار، فجهز إليهم جيشا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، وهو أكبر جيش إسلامي، لم يجتمع قبل ذلك إلا في غزوة الأحزاب."<sup>3</sup>

تعتبر هذه المعركة أعظم حرب دامية خاضها المسلمون في حياة رسول الله ﷺ "ولما تهيأ الجيش الإسلامي للخروج حضر الناس، ودعوا أمراء رسول الله ﷺ، وسلموا عليهم، وحينئذ بكى أحد أمراء الجيش، عبد الله بن رواحة، فقالوا: ما يبكيك؟

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 325

<sup>2</sup> أخرجه البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج5، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ص 110، بترقيم:

4110

<sup>3</sup> المباكفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 394

فقال: أما والله ما بي حب الدنيا، ولا صباية بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا)<sup>1</sup> فلست أدري كيف لي بالصدور بعد الورود؟ فقال المسلمون: صحبكم الله بالسلامة، ودفع عنكم، وردكم إلينا صالحين غانمين... ثم خرج القوم، وخرج رسول الله ﷺ مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع، فوقف وودعهم.<sup>2</sup>

لما علم الجيش الإسلامي أثناء الطريق أن جيش الروم قوامه مائتا ألف جندي، وهم لا يعدو جيشهم ثلاثة آلاف شكلوا مجلسا استشاريا لبحث الأمر "لم يكن المسلمون أدخلوا في حسابهم لقاء مثل هذا الجيش العرمم، الذي بوغتوا به في هذه الأرض البعيدة- وهل يهجم جيش صغير، قوامه ثلاثة آلاف مقاتل فحسب، على جيش كبير عرمم، مثل البحر الخضم، قوامه مائتا ألف مقاتل؟ حار المسلمون، وأقاموا في معان ليلتين يفكرون في أمرهم، وينظرون ويتشاورون، ثم قالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ، فنخبره بعدد عدونا، فإمّا أن يمدنا بالرجال، وإمّا أن يأمرنا بأمره فنمضي له.

ولكن عبد الله بن رواحة عارض هذا الرأي، وشجّع الناس، قائلاً: يا قوم والله إن التي تكرهون لّتي خرجتم تطلبون، الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد، ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسينين، إما ظهور وإما شهادة. وأخيرا استقر الرأي على ما دعا إليه عبد الله بن رواحة.<sup>3</sup> ولا بد هنا من أن نقف عند بعض الملاحظات منها:

. وقوف الرأي العام في المدينة لتوديع الجيش الإسلامي دلالة على الاهتمام الكبير بهذه الواقعة، والتفافه حول قيادته ومساندته للقضايا التي تمهها، وتكشف مدى حبه الكبير للجهاد والمجاهدين. إن عدد ثلاثة آلاف جندي بالنسبة للمسلمين عدد كبير لم يجتمع إلا في غزوة الأحزاب، وهو ما يدل على مدى حب الرأي العام للتضحية في سبيل الله تعالى، والتسابق إلى ذلك، لأنه في اعتقادهم أن هذه الحرب ليست لأجل بسط النفوذ السياسي أو لأجل كسب المطامع المادية، كما هو الشأن بالنسبة للأمم الأخرى آنذاك، وإنما هذه التضحية بالنفس والنفيس وبذل المهج من أجل إعلاء راية الإسلام وبلوغ مرضاة الله تعالى، كما عبر عن ذلك عبد الله بن رواحة.

. إن مسارعة قادة الجيش إلى عقد مجلس استشاري فور بلوغهم عدد وعدة جيش العدو، يدل دلالة واضحة على مدى رسوخ هذا المبدأ في نفوس المسلمين، ألا وهو عدم إنفاذ أي أمر خطير مثل

<sup>1</sup> سورة مريم، الآية: 71

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 395

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 396

هذا إلا بعد مشاورة أهل الرأي، لأن الأمر خطير جدا فيه حصد للأرواح، لا يستطيع أن يقدم عليه قائد الجيش مهما أوتي من حنكة وذكاء وبراعة، لذلك كان لزاما مشاورة الجيش .

. إن رفع الروح المعنوية للجيش وشحن الهمم بالكلمة التي ألقاها عبد الله بن رواحة، تؤكد لنا أن العامل الأساس الذي يجمع الرأي العام الإسلامي ويوجهه هو الإيمان الذي يملأ القلوب فيحملها على ركب الخطوب، فتتعب في مرادها الأبدان، نعم هو الإيمان الذي يستسهل الصعاب مهما كانت، وتجعل أهله لا يبألون بعدد ولا عدة للعدو حتى وإن بلغت الخيال.

. يقول الشيخ البوطي بعد أن يذكر أن هذه المعركة بكل المقاييس هي مبعث للدهشة والعجب: " لكن الدهشة كلها تزول، والعجب ينتهي، إذا تذكرنا ما يفعله الإيمان بالله والاعتماد عليه، واليقين بوعده. بل إن المدهش بالنسبة للمسلمين . إذا كانوا مسلمين . أن لا يكونوا كذلك والعجب فيهم حقا، أن يكونوا مسلمين ثم يكون لأرقام العدد والعدة حساب مع ذلك في أفكارهم إلى جانب ما وعد الله به من نصر وتأييد، أوجنة ونعيم خالدين! .. فالمسلمون . كما قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه . لا يقاتلون بعدد ولا قوة، ولا كثرة، وإنما يقاتلون بهذا الدين الذي أكرمهم الله به ."<sup>1</sup>

ووقعت هذه المعركة الغريبة التي لم يعهد العرب مثلها في منطقة مؤتة وكان النصر حليف المسلمين. لقد قلبت هذه المعركة موازين الرأي العام العالمي، فهي "وإن لم يحصل المسلمون بها على الثأر، الذي عانوا مرارتها لأجله، لكنها كانت كبيرة الأثر لسمعة المسلمين، إنها ألقى العرب كلها في الدهشة والحيرة، فقد كانت الرومان أكبر وأعظم قوة على وجه الأرض، وكانت العرب تظن أن معنى جلادها هو القضاء على النفس وطلب الحتف بالظلف، فكان لقاء هذا الجيش الصغير - ثلاثة آلاف مقاتل - مع ذلك الجيش الضخم العرمرم الكبير - مائتا ألف مقاتل - ثم الرجوع عن الغزو من غير أن تلحق به خسارة تذكر، كان كل ذلك من عجائب الدهر"<sup>2</sup>، وكان يؤكد أن المسلمين من طراز آخر غير ما ألفته العرب وعرفته، وأنهم مؤيدون ومنصورون من عند الله، وأن صاحبهم رسول الله حقا، "ولذلك نرى القبائل اللدودة التي كانت لا تزال تثور على المسلمين جنحت بعد هذه المعركة إلى الإسلام، فأسلمت بنو سليم وأشجع وغطفان وذبيان وفزارة وغيرها.

<sup>1</sup> البوطي، فقه السيرة، مرجع سابق، ص 384

<sup>2</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 399

وكانت هذه المعركة بداية اللقاء الدامي مع الرومان<sup>1</sup>، فكانت توطئة وتمهيدا لفتوح البلدان الرومانية، واحتلال المسلمين الأراضي البعيدة النائية.

### المطلب السادس: فتح مكة والرأي العام

نستطيع أن نقول أن فتح مكة أعظم حدث في تاريخ السيرة النبوية، وهو يشكل منعرجا حاسما في تاريخ الإسلام، وبداية جديدة في تاريخ المسلمين، قال ابن القيم: "هو الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله، وجنده وحزبه الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجا، وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجا."<sup>2</sup>

إن من أسباب غزوة فتح مكة: أن قبيلة بني بكر التي دخلت في عهد قريش - حسب بنود معاهدة الحديبية - قد أغارت على خزاعة التي هي في عهد المسلمين، وأعانت قريش بني بكر. ثم شعر قادة قريش بالخطأ، فجاء زعيمها أبو سفيان إلى المدينة ليستدرك الأمر ويجدد العهد.

ومن خلال هذا الموقف نستكشف حقيقة الرأي العام في المدينة والمتمثل في مواقف قاداته بدءا برسول الله ﷺ وكبار الصحابة - رضي الله عنهم -، يقول المباركفوري: "وقدم أبو سفيان المدينة، فدخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: يا بنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس، فقال: والله لقد أصابك بعدي شرٌ.

ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلّمه فلم يردّ عليه شيئا، ثم ذهب إلى أبي بكر، فكلّمه أن يكلم له رسول الله ﷺ فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلّمه، فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ؟ فوالله لو لم أجد إلا الدرّ لجاهدتكم به، ثم جاء فدخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة وحسن غلام يدب بين يديهما فقال: يا علي إنك أمس القوم بي رحما، وإني قد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا، اشفع لي إلى محمد، فقال: ويحك يا أبا سفيان، والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه، فالتفت إلى فاطمة فقال: "هل لك أن تأمري ابنك هذا فيجير

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 399

<sup>2</sup> ابن القيم، زاد المعاد، مرجع سابق، ج3، ص 347

بَيْنَ النَّاسِ فَيَكُونُ سَيِّدَ الْعَرَبِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ؟ قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا يَبْلُغُ ابْنِي ذَاكَ أَنْ يُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ، وَمَا يُجِيرُ أَحَدٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: يَا أبا الحَسَنِ إِنِّي أَرَى الْأُمُورَ قَدِ اشْتَدَّتْ عَلَيَّ فَاَنْصَحْنِي، قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ لَكَ شَيْئًا يُعْنِي عَنْكَ، وَلَكِنَّكَ سَيِّدُ بَنِي كِنَانَةَ، فَتُمْ فَأَجِرْ بَيْنَ النَّاسِ، ثُمَّ الْحَقُّ بِأَرْضِكَ، قَالَ: أَوْ تَرَى ذَلِكَ مُغْنِيًا عَنِّي شَيْئًا، قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا أَظُنُّهُ، وَلَكِنِّي مَا أَحَدٌ لَكَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَقَامَ أَبُو سَفِيَانَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ بَيْنَ النَّاسِ، ثُمَّ رَكِبَ بَعِيرَهُ فَانْطَلَقَ.<sup>1</sup>

إن الرأي العام في المدينة كان على موقف واحد اتجه ما قامت به قريش وحليفاتها، ويطرح هذا الموقف الصحابة عليهم الرضوان، في رفضهم الشفاعة لأبي سفيان لدى رسول الله ﷺ، بل إن ابنته نفسها كان لها نفس الموقف اتجه أبيها الذي يمثل قريشا، ورغم اعتذار أبي سفيان ومحاولته إرجاع المياه لمجاريها إلا أن رسول الله ﷺ رفض ذلك، فما كان لأحد من أفراد المجتمع أن يخالف

إرادة رسول الله ﷺ، بل الجميع في المدينة تجند خلف موقفه عليه الصلوة والسلام. ثم إن رسول الله ﷺ اعتمد السرية في فتح مكة، ولم يعلم أحد من أهل مكة بخروجه. ومن علم من أهل المدينة بذلك حافظ على سرية الأمر ما عدا ما كان من حاطب بن أبي بلتعة<sup>2</sup>. وقد أخذ الله العيون فلم يبلغ إلى قريش أي خبر من أخبار تجهز المسلمين وتهيؤهم للزحف على مكة، مصداقا لدعوة الرسول ﷺ: (( اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها ))<sup>3</sup>

ولما دخل المسلمون مكة، قال رسول الله ﷺ لأهلها: (( يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَحْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَعَظَّمَهَا بِالْأَبَاءِ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ )<sup>4</sup>، ثُمَّ قَالَ: (( يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَيْ فَاعِلٌ بِكُمْ؟ )) قَالُوا: خَيْرًا، أَخِ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخِ كَرِيمٍ، قَالَ: (( فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ: لَا تَثْرِبِ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ اذْهَبُوا فَانْتُمُ الطُّلُقَاءُ ))<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 403

<sup>2</sup> انظر قصته في زاد المعاد لابن القيم، ج3، ص 351

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج3، ص 351

<sup>4</sup> سورة الحجرات، الآية: 13

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ج3، ص 359

ثم خطب رسول الله ﷺ في اليوم الثاني من الفتح وجدّد فيها حرمة مكة، ثم أخذ البيعة على أهل مكة "وأقام رسول الله ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً، يجدد معالم الإسلام، ويرشد النَّاس إلى الهدى والتقوى، وخلال هذه الأيام أمر أبا أسيد الخزاعي، فجدد أنصاب الحرم، وبث سراياه للدعوة إلى الإسلام، ولكسر الأوثان التي كانت حول مكة، فكسرت كلها، ونادى مناديه بمكة: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً إلا كسره.<sup>1</sup>"

وهكذا انتقل المجتمع المكي من الكفر إلى الإيمان بفضل الله تعالى ثم بهذا الفتح العظيم، وتشكل رأي عام جديد في مكة يقبل على الدعوة ويناصر الإسلام والمسلمين وينبذ الشِّرك والمشركين. الآن وبعد أن رأى المسلمون بأعينهم هذا الفتح العظيم الذي أكرمهم الله به أدركوا قيمة الدعوة السابقة، وقيمة الهجرة في سبيل الله، وأدركوا قيمة التضحية بالأرض والوطن والمال والأهل والعشيرة في سبيل الإسلام، إنه لن يضيع شيئاً من ذلك كله إذا بقي الإسلام، ولن يغني شيئاً من ذلك كله إذا ضاع الإسلام.

الآن وبعد هذا الفتح العظيم أدرك الرّأي العام الإسلامي قيمة الجهاد والاستشهاد والمحن، وبأنه لم يذهب منه شيئاً بدداً، وأنه لم ترق قطرة دم لمسلم هدرًا، ولكن كل ذلك كان جارياً وفق حساب، وتلك هي سنة الله في عباده، لا نصر بدون إسلام صحيح، ولا إسلام بدون عبودية خالصة لله تعالى، ولا عبودية بدون بذل وتضحية وجهاد في سبيل الله.

الآن أدرك الرّأي العام الإسلامي القيمة الكبرى لصلح الحديبية الذي أدهش الصحابة، ووقف على السر الإلهي لما سماه الله تعالى بالفتح آنذاك: ( فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا )<sup>2</sup>.

الآن أدرك الرّأي العام الإسلامي قيمة الهجرة، عندما فر المسلمون بدينهم مستخفين خائفين تاركين وراءهم المال والأهل والأرض من أجل أن يبقى لهم الدِّين، وهامهم قد رجعوا للأهل والأرض والمال، وقد كثروا بعد قلة، وتقووا بعد ضعف، واستقبلهم أولئك الذين أخرجوهم بالأمس أذلاء خاشعين صاغرين.

<sup>1</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 415

<sup>2</sup> سورة الفتح، الآية: 27

وها هم أهل مكة يدخلون في دين الله أفواجا ويصعد بلال الحبشي . الذي طالما عذب في رمضان مكة على أيدي المشركين . على ظهر الكعبة المشرفة لينادي: الله أكبر.. الله أكبر، والكل صاغر يسمع لصوته وهو يشق عنان السماء<sup>1</sup>.

هكذا ليتأكد لدى الرأي العام المسلم، أن الكفاح الحقيقي والجهاد يكون في سبيل الإسلام وأن أي نضال أو جهاد في غير ذلك إنما هو كفاح عن وهم لا حقيقة له ولا طائل.

## المبحث الثالث: تعامل الرأي العام الإسلامي مع اليهود والمنافقين في المدينة

### المطلب الأول: تعامل الرأي العام الإسلامي مع اليهود

#### الفرع الأول: المعاهدة مع اليهود

بعد أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، ووثق من رسوخ قواعد المجتمع الإسلامي الجديد، بإقامة الوحدة العقائدية والسياسية والنظامية بين المسلمين، "رأى أن يقوم بتنظيم علاقاته بغير المسلمين، وكان همُّه في ذلك هو توفير الأمن والسلام والسعادة والخير للبشرية جمعاء، مع تنظيم المنطقة في وفاق واحد، فسن في ذلك قوانين السماح والتجاوز التي لم تعهد في عالم مليء بالتعصب والتغالي.<sup>2</sup> وأقرب من كان يجاور المسلمين في المدينة هم اليهود، وهم وإن كانوا يبطنون العداوة للمسلمين إلا أنهم لم يكونوا يجاهروا بذلك ولم يظهروا أيّة خصومة في بادئ الأمر، لذلك بادر النبي ﷺ بعقد معاهدة معهم ترك لهم فيها مطلق الحرية في الدين والمال والتصرف، ولم يكن فيها أي بند يدعو إلى المصادرة أو التضيق أو الإبعاد.

<sup>1</sup> انظر البوطي، فقه السيرة، مرجع سابق، ص 396 . 397 . 398

<sup>2</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 212

وأهم بنود هذه المعاهدة:

- 1- إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، كذلك لغير بني عوف من اليهود.
- 2- وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.
- 3- وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.
- 4- وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم.
- 5- وإنه لم يَأْتِ امرؤ بحليفه.
- 6- وإن النصر للمظلوم.
- 7- وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.
- 8- وإن يثرب حرام جوفها لأجل هذه الصحيفة.
- 9- وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد رسول الله ﷺ.
- 10- وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها.
- 11- وإن بينهم النصر على من دهم يثرب.... على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.
- 12- وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم<sup>1</sup>.

تقتضي هذه المعاهدة أن تكون المدينة ومن حولها من مسلمين ويهود مجتمعاً واحداً، يتقاسمون نفس الانشغالات، وتحدهم نفس المواقف، وهم يد واحدة على من سواهم، حتى أن النبي ﷺ وصفهم بأنهم ( أمة مع المؤمنين )، ورغم ذلك فليهود الاستقلالية الدينية والمالية، كما أن هذه الوثيقة وحدت المواقف مع اليهود والنصارى ليكون رأياً عاماً واحداً ففي حالة تعرض أحد طرفي المعاهدة للاعتداء فيجب التناصر فيما بينهم. وأنه ينبغي الاتفاق بينهم في حالة الحرب، كما حددت هذه الوثيقة المرجعية لله ولرسوله في حالة وقوع اشتجار أو خصومة بينهم، واعتبرت قريشا وحلفائها أعداء لأهل هذه الوثيقة فلا تحالف معها ولا حماية لأهلها، أما في حالة مدهامة المدينة من قبل أي عدو

<sup>1</sup> انظر: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ج1، ( ط: 02، بمصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1375هـ/ 1955 م )، ص 503 504 . والمباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 212 بتصرف .

فعلى الجميع الدفاع عنها، كل من جانبه، كما تبين من خلال هذه البنود أن الوثيقة لا تقر ظلما أو إثما ولا تحمي ظلما أو آثما من أهل هذه المعاهدة .

ويتبين من خلال ذلك كله أن هذه المعاهدة وحثت مواقف الرأي العام في المدينة حول القضايا الكبرى التي تعرض للمجتمع المدني، ورغم المرونة التي أبدتها هذه المعاهدة مع اليهود إلا أنها حملتهم مسؤولية الدفاع عن المدينة ووجوب النصرة مع المؤمنين وكف الظلم والاعتداء، وأن لهم نفس الواجبات والحقوق مع المسلمين.

"وبذلك تم تنظيم العلاقات بين أبناء هذا المجتمع على اختلاف دياناتهم في دولة الإسلام الأولى دولة النبوة، وحقق هذا الميثاق العدل التام للجميع والارتياح والرضا من قبلهم. فحقوقهم محفوظة، وواجباتهم محددة، والعدو الوحيد لأبناء هذا الوطن الإسلامي بكل فئاته هم قريش فقط. وعليهم واجب التناصر ضدها، ويحرم التحالف معها."<sup>1</sup>

ونقول إن كلمة (الدستور) هي أقرب إطلاق مناسب في اصطلاح العصر الحديث على هذه الوثيقة، "وهي إذا كانت بمثابة إعلان دستور فإنه شمل جميع ما يمكن أن يعالجه أي دستور حديث يعني بوضع الخطوط الكلية الواضحة لنظام الدولة في الداخل والخارج، أي فيما يتعلق بعلاقة أفراد الدولة بعضهم مع بعض، وفيما يتعلق بعلاقة الدولة بالآخرين.

وحسبنا هذا الدستور الذي وضعه رسول الله ﷺ بوحى من ربه واستكتبه أصحابه، ثم جعله الأساس المتفق عليه فيما بين المسلمين وجيرانهم اليهود. حسبنا ذلك دليلا أن المجتمع الإسلامي قام منذ أول نشأته على أسس دستورية تامة، وأن الدولة الإسلامية قامت . منذ بزوغ فجرها . على أتم ما قد تحتاجه الدولة من المقومات الدستورية والإدارية."<sup>2</sup> وهكذا فإن الحقوق والواجبات بين المسلمين واليهود التي حددتها هذه الوثيقة بمثابة بنود دستورية تحميها الدولة وعلى رعايا هذه الدولة الالتزام بها. " فهل كان اليهود صادقين في موافقتهم على هذا العهد ؟ أغلب الظن أنهم لم يكونوا جاديين حين ارتضوه وقبلوا إنفاذه، وآفة العهود أن يرتبط الوفاء بما مدى المنفعة المرجوة منها، فإذا بدا أن المعاهدة المبرمة لا تحقق المطامع المبتغاة، قل التمسكُ بها والتمست الفرص للتحلل منها."<sup>3</sup> فما هي إلا فترة

<sup>1</sup> منير محمد غضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ج2، (ط: 06، الأردن، مكتبة المنار، 1411هـ/1990م)، ص 211

<sup>2</sup> البوطي، فقه السيرة النبوية، مرجع سابق، ص 225

<sup>3</sup> محمد الغزالي، فقه السيرة، مرجع سابق، ص 297

وجيزة حتى ضاق اليهود ذرعا بما تضمنه بنود هذه الوثيقة التي التزموا بها فخرجوا على الرسول ﷺ والمسلمين بألوان من الغدر والخيانة.

### الفرع الثاني: مكائد اليهود لتشتيت الرأي العام في المدينة

كان اليهود لا يتركون فرصة للنيل من المسلمين وإيقاع القلاقل بينهم إلا واغتموها ومن ذلك ما رواه ابن هشام: "مَرَّ شَأْسُ بْنُ قَيْسٍ، وَكَانَ شَيْخًا قَدَّ عَسَا<sup>1</sup>، عَظِيمَ الْكُفْرِ شَدِيدَ الضَّغْنِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، شَدِيدَ الْحَسَدِ لَهُمْ، عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ. فِي مَجْلِسٍ قَدَّ جَمَعَهُمْ، يَتَحَدَّثُونَ فِيهِ، فَعَاظَهُ مَا رَأَى مِنْ أَلْفَتِهِمْ وَجَمَاعَتِهِمْ، وَصَلَّاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَقَالَ: قَدَّ اجْتَمَعَ مَلَأُ<sup>2</sup> بَنِي قَيْلَةَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ، لَا وَاللَّهِ مَا لَنَا مَعَهُمْ إِذَا اجْتَمَعَ مَلَأُهُمْ بِهَا مِنْ قَرَارٍ. فَأَمَرَ فَتَى شَابًّا مِنْ يَهُودٍ كَانَ مَعَهُمْ، فَقَالَ: اعْمُدْ إِلَيْهِمْ، فَاجْلِسْ مَعَهُمْ، ثُمَّ أَدْكُرْ يَوْمَ بُعَاثٍ<sup>3</sup> وَمَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنْشِدُهُمْ بَعْضَ مَا كَانُوا تَقَاوَلُوا فِيهِ مِنَ الْأَشْعَارِ... فَفَعَلَ. فَتَكَلَّمَ الْقَوْمُ عِنْدَ ذَلِكَ وَتَنَارَعُوا وَتَفَاخَرُوا حَتَّى تَوَاتَبَ رَجُلَانِ مِنَ الْحَيِّينِ عَلَى الرُّكْبِ<sup>4</sup>. وَعِنْدَهَا قَامَتِ الشُّجَارُ بَيْنَ الْحَيِّينِ حَتَّى تَنَادَا: السَّلَاحُ السَّلَاحُ. "فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِيمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى جَاءَهُمْ، فَقَالَ: (( يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُ اللَّهُ، أَبَدَعُوا الْجَاهِلِيَّةَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ بَعْدَ أَنْ هَدَاكُمْ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ، وَأَكْرَمَكُمْ بِهِ، وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَاسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَأَلَّفَ بِهِ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ))، فَعَرَفَ الْقَوْمُ أَنَّهَا نَزْعَةٌ<sup>5</sup> مِنَ الشَّيْطَانِ، وَكَيْدٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَبَكَوْا وَعَانَقَ الرَّجَالُ مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ثُمَّ انصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، قَدَّ أَطْفَأَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَيْدَ عَدُوِّ اللَّهِ شَأْسِ بْنِ قَيْسٍ<sup>6</sup>.

هذا نموذج مما كان اليهود يفعلونه ويحاولونه من إثارة القلاقل والفتن في المسلمين، وإقامة العراقيل في سبيل الدعوة الإسلامية. "وقد كان لهم خطط شتى في هذا السبيل، كانوا يثنون الدعايات الكاذبة،

1 عسا: كبير

2 مَلَأُ الْقَوْمَ: أَشْرَفَهُمْ، وَقِيلَ: جَمَاعَتُهُمْ.

3 كَانَ يَوْمَ بُعَاثٍ يَوْمًا افْتَتَلَتْ فِيهِ الْأَوْسُ وَالخَزْرَجُ

4 ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق، ج 1، ص 556، بتصرف

5 النزعة: الإفساد بين الناس.

6 المرجع نفسه، ج 1، ص 556 بتصرف

ويؤمنون وجه النهار، ثم يكفرون آخره، ليزرعوا بذور الشكوك في قلوب الضعفاء، وكانوا يضيقون سبل المعيشة على من آمن إن كان لهم به ارتباط مالي، فإن كان لهم عليه يتقاضونه صباح مساء، وإن كان له عليهم يأكلونه بالباطل، ويمتنعون عن أدائه، وكانوا يقولون: إنما كان علينا قرضك حينما كنت على دين آبائك، فأما إذ صبوت فليس لك علينا من سبيل.<sup>1</sup> وغيرها من أساليب المكر والخداع التي تنم عن مدى حقدهم على الدعوة الإسلامية وبغضهم للمسلمين.

### الفرع الثالث: تميُّز الرَّأي العامِّ الإسلامي:

ونقصد هنا تميُّز المسلمين في عباداتهم وعاداتهم عن المجتمع اليهودي، "إضافة إلى ميثاق التحالف الذي حدد إسلامية الدولة، وأوضح أن المسلمين أمة من دون النَّاس، فلقد مر التميُّز الإسلاميِّ بمرحلتين:

\* المرحلة الأولى: مرحلة المجاملة لأهل الكتاب، وكان الهدف الأكبر من هذه المجاملة هو تأليف قلوبهم ودعوتهم إلى الإسلام وهم أهل الكتاب الأول... فكان يحرص عليه الصَّلَاة والسلام على موافقتهم ومجاملتهم في كثير من الأمور مما لا يمس أمور العقيدة. وخاصة في قضية العادات الاجتماعية حتى في تسريح شعره.<sup>2</sup> وهذا كله حرصاً منه عليه الصَّلَاة والسلام على المحافظة على الانسجام والتقارب معهم ومحاولة إيجاد لحمية بينهم وبين المسلمين باعتبارهم أهل الكتاب، فهم أقرب إليهم من أهل الوثنية.

\* المرحلة الثانية: "وذلك حين أعلن اليهود حربهم العنيفة المشبوبة على المسلمين. فأصبح يحرص على مخالفتهم في كل شيء ليكون للمسلمين تميزهم الكامل عنهم في العادات واللباس والعبادات كي ينهي هذه القدسية التي كانت لهم في نفوس المسلمين حين انحرفوا عن الحق."<sup>3</sup>

ومن القضايا التي تم فيها المفاصلة بأمر من الله تعالى ورغبة من رسول الله ﷺ:

1 . قضية تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة: وكان لحدث تغيير القبلة دويٌّ كبير في المجتمع الإسلاميِّ والمجتمع اليهودي على السواء. أنهى كل نقاط الالتقاء في الفريقين، ولنعرف أثر هذا الموقف

<sup>1</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 255

<sup>2</sup> منير محمد غضبان، المنهج الحركي للسيرة النبويَّة، مرجع سابق، ج2، ص 233 . 234 بتصرف

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 234

يكفي أن نعلم أن الله تعالى أنزل قرآنا يتلى في هذا الأمر، حوالي عشر آيات، وكان في ذلك حكمة عظيمة ومحنة للناس مؤمنهم وكافرهم.

"لقد تمت المفاصلة بين المسلمين واليهود، وأصبح للمسلمين قبلتهم الخاصة بهم نحو المسجد الحرام، ووجه هذا قلوب اليهود بالحقد والكيده ورد عليهم القرآن بقوله: (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ<sup>1</sup>)...<sup>2</sup> ولم يكن هذا إيذانا بالمفاصلة مع أهل الكتاب فحسب بل "كان هذا إيذانا كذلك باحتدام المعركة مع قريش. فالمسجد الحرام قبلة المسلمين، وهو تحت سيطرة قريش، والوثنية ضاربة أطنابها فيه، ولا بد من تحريره. وهكذا اتجهت أنظار المسلمين ثانية إليه، وبنظرة جديدة. تحمل كل معاني الإصرار على العودة إليه، وتخليصه من براثن الوثنية."<sup>3</sup> ولم ينته التميُّز عند هذا الحد بل تبعه التميُّز في الصيام أيضا.

2 . قضية التميُّز في الصيام: "لقد كان يوم عاشوراء هو يوم صوم المسلمين، ولعلمهم صاموه عاما على الأقل. وكان فريضة عليهم، وإذا بالآيات تترى لتؤكد تميُّز المسلمين في صومهم كذلك" فمنذ نزول قوله تعالى: ( شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ )<sup>4</sup> أصبح رمضان هو شهر الصيام الإسلامي وإن كان أصل الصيام قائما بين المؤمنين، كما هو الحال بالنسبة للصلاة فأصلها قائم ومشترك بين المؤمنين .

3 . قضية التميُّز في الزكاة: وكما كان التميُّز في قبلة الصلاة والتميُّز في الصيام " فلقد كان التميُّز كذلك في فريضة الزكاة، فقد كانت الزكاة والصدقات عامة لدى المؤمنين في الأرض. لكنها تتخذ الآن لدى المسلمين تحديدا آخر. فلقد حددت زكاة الفطر بنصاب معين، كما نزلت أنصبة الزكاة بشكل محدد وواضح لا لبس فيه."<sup>5</sup> هكذا نرى التميُّز في الصلاة والزكاة والصيام " وكان هذا إيذانا بتحديد أن المسلمين أمة من دون الناس، وأن اليهود قد كفروا بالحق الذي جاء من عند الله، وكانت

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 142

<sup>2</sup> منير محمد غضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، مرجع سابق، ج2، ص 235

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج2، ص 235 . 236

<sup>4</sup> سورة البقرة، الآية: 285

<sup>5</sup> منير محمد غضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، مرجع سابق، ج2، ص 237

هذه الأمور الحاسمة الخطيرة في شهر شعبان، إيذانا كذلك، بالتميز الإيجابي، وإرهاصا لغزوة بدر الكبرى التي سمّاها الله تعالى فرقانا. كما سمي كتابه الفرقان.<sup>1</sup>

إنما هذه المفاصلة في العبادات توجيه للرأي العام الإسلامي للتميز في سلوكه ومواقفه بل وفي

وجدانه عن غيره من الأمم الأخرى المخالفة في الدين وإن كانوا جيرانهم أو من بينهم، وهذا ما يتضح أكثر من خلال الحوادث التاريخية التي تحملها الأيام والليالي القادمة.

### الفرع الرابع: بدء الصراع بين المسلمين واليهود

لم يكن يدور بخلد المسلمين أن ينقضوا عهدا مع اليهود أو أن يطردوهم من أرض الجزيرة بل بالعكس توقع المسلمون أن يكونوا لهم عوناً على الوثنية باعتبارهم أهل كتاب وإيمان، فهم أقرب دينياً من كفار قريش، وأن التوحيد أدنى لقلوبهم من الشرك والوثنية، وهذه المشاعر الحسنة تتمشى مع القرآن النازل حينئذ، منها قوله تعالى: ( وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ )<sup>2</sup>. وقوله تعالى: ( وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٍ )<sup>3</sup>.

"بيد أن اليهود كانوا عند أسوأ الظن فلم تمض أيام على اختلاطهم بالمسلمين في المدينة حتى شرعوا يخرجون صدورهم ويعينون عليهم، ولو أنهم كذبوا بمحمد ع كما كذبوا بعيسى، من قبل واعتقدوا أن ما وراء توراهم باطل، واكتفوا بأداء عباداتهم في بيعهم، وحبسوا في أفواههم المطاعن على أنبياء الله... لتركهم المسلمون وشأنهم يكفرون إلى قيام الساعة، دون حرب أو ضرب... أمّا أن يجتهد المسلمون في بناء دولتهم فيجتهد هؤلاء في نقضها، أمّا أن يصطدم الإسلام بالشرك فينضمّ بنوا إسرائيل بعواطفهم وألسنتهم ودعايتهم ضد محمد وصحبه فهذا ما لا يستساغ."<sup>4</sup>

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ج 2، ص 237

<sup>2</sup> سورة الرعد، الآية: 43

<sup>3</sup> سورة الرعد، الآية: 36

<sup>4</sup> محمد الغزالي، فقه السيرة، مرجع سابق، ص 258

وأول من كشف على ضعيفته وهزأ بالمسلمين يهود بني قينقاع عندما اعتدوا على امرأة مسلمة وكشفوا عورتها في سوقهم وما انجرَّ عن ذلك من سوء عاقبتهم، فأمر رسول الله ﷺ بجلائهم عن المدينة<sup>1</sup>.

"والظاهر أن طوائف اليهود التي عاشت بين العرب كانت عصابات من المرتزقة اتخذت الدين عنوانا لمطامع اقتصادية بعيدة. فلما توهم أن هذه المطامع مهددة بالزوال، ظهر الكفر المخبوء، فإذا هو كفر بالله وسائر المرسلين."<sup>2</sup> وهذا الكفر هو الذي جعلهم يتآمرون مع كفار قريش ويحرضونهم ضد المسلمين، ويتعاونون معهم معنويا وماديا.

ومن ذلك ما قام به ( كعب بن الأشرف ) . وهو من سادة اليهود وأشرافهم . بعد غزوة بدر، حيث انبعث يهجو الرسول ﷺ والمسلمين، ويمدح عدوهم ويحرضهم عليهم، ولم يكتف بهذا بل سافر إلى قريش يحرضهم ويدعوهم إلى إدراك ثأرهم من المسلمين، "وعند ما كان بمكة سأله أبو سفيان والمشركون: أديننا أحب إليك أم دين محمد وأصحابه؟ وأي الفريقين أهدى سبيلا؟ فقال: أنتم أهدى منهم سبيلا، وأفضل، وفي ذلك أنزل الله تعالى: ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا )<sup>3</sup> ... ثم رجع كعب إلى المدينة على تلك الحال، وأخذ يشبب في أشعاره بنساء الصحابة ويؤذيهم بسلاطة لسانه أشد الإيذاء."<sup>4</sup>

حينئذ انتدب رسول الله ﷺ جماعة من الصحابة لقتل كعب جزاء لما اقترفت يدها ولسانه من الخيانة والتطاول على أعراض المسلمين وضربه عرض الحائط بنود العهد والميثاق<sup>5</sup>.

" ولما علمت اليهود بمصرع طاغيتها كعب بن الأشرف دبَّ الرعب في قلوبهم العنيدة، وعلموا أن الرسول ﷺ لن يتوانى في استخدام القوَّة حين يرى أن النصح لا يجدي نفعا لمن يريد العبث بالأمن

<sup>1</sup> سنتطرق لهذه الحادثة بشيء من التفصيل في المبحث الرابع بحول الله تعالى.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 262

<sup>3</sup> سورة النساء، الآية: 51

<sup>4</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 259

<sup>5</sup> انظر تفاصيل الواقعة من ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق، ج 2، ص 51. 57، وصحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف، ج 5، ص 90، بتقييم: 4037، والمباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 258.

261، ومحمد الغزالي، فقه السيرة، مرجع سابق، ص 262. 264.

وإثارة الاضطرابات وعدم احترام المواثيق، فلم يحركوا ساكناً لقتل طاغيتهم، بل لزموا الهدوء، وتظاهروا بإيفاء العهود، واستكانوا، وأسرعت الأفاعي إلى جحورها تختبئ فيها.<sup>1</sup> وهكذا تفرغ الرسول ع- إلى حين- لمواجهة الأخطار التي كان يتوقع حدوثها خارج المدينة، وأصبح المسلمون وقد تخفف عنهم كثير من المتاعب الداخلية التي كانوا يتوجسونها، ويشمّون رائحتها بين آونة وأخرى.

### الفرع الخامس: بنو قريظة يستعدون للرأي العام وينقضون العهد

بينما كان المسلمون يواجهون الشدائد في غزوة الأحزاب كانت أفاعي الغدر من اليهود تريد أن تبتث سمها في أجسادهم، ومن ذلك ما كان من كعب بن أسد القرظي زعيم بني قريظة الذي كان قد عاهد رسول الله ع على النصر في حالة الحرب، قال ابن هشام: "خَرَجَ عَدُوُّ اللَّهِ حِيَّيُّ بْنُ أَحْطَبِ النَّضْرِيِّ، حَتَّى أَتَى كَعْبَ ابْنِ أَسَدِ الْقُرَظِيِّ، صَاحِبَ عَقْدِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَعَهْدِهِمْ، وَكَانَ قَدْ وَاَدَعَ رَسُولَ اللَّهِ ع عَلَى قَوْمِهِ، وَعَاقَدَهُ عَلَى ذَلِكَ وَعَاهَدَهُ، فَلَمَّا سَمِعَ كَعْبُ بْنُ أَحْطَبِ بْنِ أَحْطَبِ أَعْلَقَ دُونَهُ بَابَ حِصْنِهِ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَأَبَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ"<sup>2</sup> وما زال به حتى فتح له، "فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا كَعْبُ، جِئْتِكَ بِعِزِّ الدَّهْرِ وَبِبحْرِ طَامٍ"<sup>3</sup>، جِئْتِكَ بِفُرَيْشٍ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا، حَتَّى أَنْزَلْتَهُمْ مُجْتَمِعِ الْأَسْيَالِ مِنْ رُومَةٍ، وَبِعَطْفَانٍ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا حَتَّى أَنْزَلْتَهُمْ بِذَنْبِ نَفْسِي إِلَى جَانِبِ أَحَدٍ، قَدْ عَاهَدُونِي وَعَاقَدُونِي عَلَى أَنْ لَا يَبْرَحُوا حَتَّى نَسْتَأْصِلَ مُحَمَّدًا وَمَنْ مَعَهُ. قَالَ: فَقَالَ لَهُ كَعْبُ: جِئْتَنِي وَاللَّهِ بِذَلِّ الدَّهْرِ، وَبِجَهَامٍ"<sup>4</sup>... وَيْحَكَ يَا حِيَّيُّ! فَدَعْنِي وَمَا أَنَا عَلَيْهِ، فَإِنِّي لَمْ أَرِ مِنْ مُحَمَّدٍ إِلَّا صِدْقًا وَوَفَاءً... فَلَمْ يَزَلْ حِيَّيُّ بِكَعْبِ حَتَّى نَقَضَ كَعْبُ بْنُ أَسَدِ عَهْدَهُ، وَبَرِيءٌ مِمَّا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ."<sup>5</sup>

<sup>1</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 261

<sup>2</sup> ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق، ج2، ص 221 بتصرف

<sup>3</sup> أطام: مُرْتَفَعٌ، وَيُرِيدُ كَثْرَةَ الرِّجَالِ.

<sup>4</sup> الجهام: السَّحَابُ الرَّيِّيقُ الَّذِي لَا مَاءَ فِيهِ.

<sup>5</sup> نفس المرجع، ج2، ص 221 بتصرف

وفعلا قام يهود بني قريظة بعمليات الحرب وحاولوا الإغارة على صبيان ونساء المسلمين في حصون المدينة وهي خالية من رجالها الذين تجندوا في غزوة الخندق، قال ابن هشام: " كَانَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي فَارِعٍ، حِصْنُ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَتْ:

وَكَانَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ مَعَنَا فِيهِ، مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ. قَالَتْ صَفِيَّةُ، فَمَرَّ بِنَا رَجُلٌ مِنْ يَهُودٍ، فَجَعَلَ يُطِيفُ بِالْحِصْنِ، وَقَدْ حَارَبَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ، وَقَطَعَتْ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ أَحَدٌ يَدْفَعُ عَنَّا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ فِي نُحُورِ عَدُوِّهِمْ، لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَنْصَرِفُوا عَنْهُمْ إِلَيْنَا إِنْ أَتَانَا آتٍ. قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا حَسَّانُ، إِنَّ هَذَا الْيَهُودِيَّ كَمَا تَرَى يُطِيفُ بِالْحِصْنِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ أَنْ يَدُلَّ عَلَيَّ عَوْرَتَنَا مِنْ وَرَاءِنَا مِنْ يَهُودٍ، وَقَدْ شُعِلَ عَنَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، فَاَنْزَلَ إِلَيْهِ فَأَقْتَلَهُ، قَالَ: يَعْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا بِنْتَةَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ مَا أَنَا بِصَاحِبِ هَذَا: قَالَتْ: فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ، وَمَ أَرَّ عِنْدَهُ شَيْئًا، احْتَجَزْتُ<sup>1</sup> ثُمَّ أَحَدْتُ عَمُودًا، ثُمَّ نَزَلْتُ مِنَ الْحِصْنِ إِلَيْهِ، فَضَرَبْتُهُ بِالْعَمُودِ حَتَّى قَتَلْتُهُ. "2

إذن فعمل اليهود هذا لا يدع مجالاً للشك أنهم غدروا المسلمين وخانوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ، وخروج اليهودي ليقرب حصون المدينة فيه دلالة على أن الرأي العام اليهودي في بني قريظة يوافق سيدهم في هذا النقض، وأنهم كانوا يبنون عمل فضيع في المدينة لولا حفظ الله تعالى ثم العمل البطولي الذي قامت به صفية عممة رسول الله ﷺ .

إن هذا الذي قامت به بنو قريظة كان سبباً كافياً لأن تعاقب عليه، فبمجرد انتهاء غزوة الأحزاب أمر رسول الله ﷺ المسلمين أن يتوجهوا إلى بني قريظة، وبعد حصار دام خمسا وعشرين ليلة نزلوا على حكم رسول الله ﷺ الذي حكم فيهم سعد بن معاذ بأن تقتل الرجال وتسي النساء والذرية وتقسم الأموال، فقال له رسول الله ﷺ: ((لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقَعَةٍ<sup>3</sup>))<sup>4</sup>

### الفرع السادس: خبير والرأي العام

<sup>1</sup> احتجزت: شددت وسطى.

<sup>2</sup> ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق، ج2، ص 228

<sup>3</sup> الأربعة: السموات، الواحدة: ربيع.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ج2، ص 240

تبعد خيبر عن المدينة المنورة نحو 185 كلم، وهي مدينة اليهود، ومركز الدسائس والمؤامرات على المسلمين والاستفزازات العسكرية، وكان الجدير بالمسلمين أن يلتفتوا إليها، لأنها بقيت تمثل موقع تهديد على المجتمع الإسلامي بعد غياب تهديد قريش.

"أما كون خيبر بهذه الصفة، فلا ننسى أن أهل خيبر هم الذين حاربوا الأحزاب ضد المسلمين،

وأثاروا بني قريظة على الغدر والخيانة، ثم أخذوا في الاتصالات بالمنافقين - الطابور الخامس في المجتمع الإسلامي - وبغطفان وأعراب البادية - الجناح الثالث من الأحزاب - وكانوا هم أنفسهم يهيئون للقتال، فألقوا المسلمين بإجراءهم هذه في محن متواصلة، حتى وضعوا خطة لاغتيال النبي ﷺ وإزاء ذلك اضطر المسلمون إلى بعوث متوالية، وإلى الفتك برأس هؤلاء المتآمرين، مثل سلام بن أبي الحقيق، وأسير بن زارم، ولكن الواجب على المسلمين إزاء هؤلاء اليهود كان أكبر من ذلك.<sup>1</sup> وإنما الذي أبطأ المسلمين بالقيام بهذا الواجب هو العدو الأكبر والخضم الألد المتمثل في قريش التي كانت تجابههم فلما انتهت هذه المجاهدة صفا الجو لمحاسبة هؤلاء المجرمين .

نستطيع أن نقول أن هذه الغزوة بالنسبة للمسلمين هي غزوة المغام، "قال المفسرون: إن خيبر كانت وعدا وعدها الله تعالى بقوله: (وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَافِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُوهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ<sup>2</sup>) يعني صلح الحديبية، وبالمغام الكثيره خيبر.<sup>3</sup> ولما كانت هذه الغزوة هي غزوة مغام، فإن كثيرا من المنافقين وضعاف الإيمان . الذين كان دأبهم التخلف عن القتال . سيحرصون على شهودها، كما قال المولى سبحانه وتعالى: ( سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَافِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ، يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ، قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا، كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ، فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يُفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا )<sup>4</sup> .

"فلما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى خيبر، أعلن ألا يخرج معه إلا راغب في الجهاد، فلم يخرج إلا أصحاب الشجرة وهم ألف وأربعمائة.<sup>5</sup> وهو عدد كاف لاقتلاع حصون خيبر من أساسها .

<sup>1</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 372

<sup>2</sup> سورة الفتح، الآية: 20

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 372 373

<sup>4</sup> سورة الفتح، الآية: 15

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 373

"وقد قام المنافقون يعملون لليهود، فقد أرسل رأس المنافقين عبد الله بن أبي إلى يهود خيبر: أن محمدا قصد قصدكم وتوجه إليكم، فخذوا حذرکم، ولا تخافوا منه، فإن عددکم وعدتکم كثيرة، وقوم محمد شرذمة قليلون، عزّل لا سلاح معهم إلا قليل. فلما علم ذلك أهل خيبر، أرسلوا كنانة بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس إلى غطفان يستمدونهم؛ لأنهم كانوا حلفاء يهود خيبر، ومظاهرين لهم على المسلمين. وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر إن هم غلبوا على المسلمين."<sup>1</sup>

وهذا الذي قام به المنافقون يدلنا على أن الرّأي العامّ لديهم يتوافق وتوجهات الرّأي العامّ اليهودي، إذ يسعون جميعا لهزيمة المسلمين وإلحاق الأذى بهم، وإذ أن الحروب هي المحك الحقيقي لمعادن النفوس، فسرعان ما انكشفت سرائرهم وظهرت توجهاتهم المتوافقة في الكيد للإسلام والمسلمين.

"وتقدم رسول الله ﷺ حتى اختار لمعسكره منزلا، فأتاه حباب بن المنذر، فقال: يا رسول الله، أرايت هذا المنزل أنزلكه الله، أم هو الرّأي في الحرب؟ قال: (( بل هو الرّأي )) فقال: يا رسول الله، إن هذا المنزل قريب جدا من حصن نطاة، وجميع مقاتلي خيبر فيها، وهم يدرون أحوالنا، ونحن لا ندري أحوالهم، وسهامهم تصل إلينا، وسهامنا لا تصل إليهم، ولا نأمن من بياتهم، وأيضا هذا بين النّخلات، ومكان غائر، وأرض وخيمة، لو أمرت بمكان خال من هذه المفاسد نتخذه معسكرا، قال ﷺ: (( الرّأي ما أشرت ))، ثم تحول إلى مكان آخر."<sup>2</sup>

وهنا نلاحظ أن الصحابي الجليل حُباب المنذر - رضي الله عنه - لم ييخل بالنصيحة والمشاورة لما رأى أن منزل الجيش غير مناسب، وهو نفسه الذي أشار على رسول الله ﷺ بتغيير مكان المعسكر في غزوة بدر، وفي كل مرة كان رسول الله ﷺ يعمل بمشورته، ما يدل على حنكته وحصافة رأيه في التخطيط والحرب، في حين يعكس مدى اهتمام الرّأي العامّ الإسلاميّ بقضاياه الكبرى، ومشاركته بالرّأي والعمل في إنجاز مهمته، وعدم الاكتفاء بالمواقف السلبيّة أمام الثغرات التي يراها في عمل القائد حتى ولو كان رسول الله ﷺ.

في حين أن رسول الله ﷺ كان يعمل بمشورة أصحابه، ويوافق من يمثّل الرّأي العامّ إذا رأى معه الصواب

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 373

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 376

ولما كانت ليلة الدخول قال ع: (( لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَيَّ يَدِيهِ، يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ ))، فَبَاتَ النَّاسَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَى، فَعَدَّوْا كُلَّهُمْ يَرْجُوهُ، فَقَالَ: ((أَيْنَ عَلِيٌّ؟))، فِقِيلَ يَشْتَكِي عَيْنِيهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنِيهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرًّا كَانَ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ فَقَالَ: أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: ((انْفُذْ عَلَيَّ رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَحِبُّ عَلَيْهِمْ، فَوَ اللَّهُ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ))<sup>1</sup>

ونلاحظ هنا كيف وجّه رسول الله ع اهتمام الرّأي العامّ في الجيش إلى معنى عظيم، وهو التعلق بحبة الله تعالى، والتفكير فيمن هو أهل لذلك، وصرّهم عن الاستغراق في التفكير في المغامرات الدنيوية من جهة، ورفع معنويات الجيش من جهة أخرى، وهو الأمر الذي حدث، فبات الناس لا همّ لهم إلا صاحب الرّاية الذي يحبه الله ورسوله.

إن الرّأي العامّ اليهودي تربى على الخوف والتوجس لذلك فإن اليهود "لا يعتمدون على تسيير الجيوش في الفضاء الرحب تصيب ويصاب منها... إنهم يكرهون اللقاء في تلك الميادين المكشوفة. وديدهم الذي لا ينفكون عنه، هو الكفاح من وراء الجدران... أذلك بقية من حرصهم على الحياة وتوقيهم الموت؟

فلما رأهم النّبّي ع، يهرعون إلى حصونهم أراد أن يقذف في قلوبهم الرعب، فصاح: ((الله أكبر، هلكت خير، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين.))<sup>2</sup>...<sup>3</sup> ويقول الشيخ الغزالي معلقاً على موقف يهود خيبر: "والقرى الفاجرة تجر على نفسها الهلاك إن عاجلاً وإن آجلاً، روي عن رسول الله ع أنه قال: (( إذا شاع الزنا والربا في قرية فقد أحلت بنفسها غضب الله تعالى ))"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> أخرجه البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج4، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، ص 60، بترقيم: 3009

<sup>2</sup> أخرجه البخاري، المرجع نفسه، ج1، كتاب الصّلاة، باب ما يذكر في الفخذ قال أبو عبد الله، ص 83، بترقيم: 371

<sup>3</sup> محمد الغزالي، فقه السيرة، مرجع سابق، ص 343

<sup>4</sup> الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري أبو عبد الله، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ج2، (ط: 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1411هـ / 1990م)، كتاب البيوع، أما حديث أبي هريرة، ص 43، بترقيم: 2261، ورد بلفظ: (إِذَا ظَهَرَ الزَّنا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ، فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ)، وقال صحيح الإسناد.

واليهود يشيع فيهم هذا الفساد المزدوج، فهم إلى اليوم دهاقين الربا في العالم، وهم قادة التبرج والعهر ونسوتهم لا يرددن يد لأمس، ولا ينفي هذا أن فيهم فئة تعرف الخلق والعفة، ولكنهم قليل. ( وَمَنْ قَوْمٌ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ )<sup>1</sup> والكثرة . لا القلة . هي التي تحدد مصائر الشعوب.<sup>2</sup>

ونصر الله تعالى المسلمين في خيبر وراحت قلاعها تتهاوى الواحدة تلو الأخرى، وغنم فيها المسلمون مغنم كثيرة كما وعدهم الله تعالى، وقسمت أراضيها على المسلمين وكانت كثيرة، ويدل على كثرة مغنم خيبر ما رواه البخاري عن ابن عمر . رضي الله عنهما . قال: ( ما شعبنا حتى فتحنا خيبر )<sup>3</sup>، وما رواه عن عائشة . رضي الله عنها . قالت: ( لما فتحت خيبر قلنا: الآن نشيع من التمر )<sup>4</sup> . ولما رجع رسول ﷺ إلى المدينة رد المهاجرون إلى الأنصار منائحهم التي كانوا منحوهم إياها من النخيل حين صار لهم بخيبر مال ونخيل<sup>5</sup> . وتغير حال المسلمين . ماديا . بعد هذه الغزوة .

### المطلب الثاني: مجابهة الرأي العام الإسلامي لدعاية المنافقين

إن من أكثر الناس حنقا على الإسلام والمسلمين في المدينة هم المنافقون وعلى رأسهم عبد بن أبي بن سلول، لأن الأوس والخزرج كانوا قد اتفقوا على سيادته وكانوا ينظمون له الخرز ليتوجوه إذ دخل فيهم الإسلام، فصرفهم عنه، فكان يرى أن رسول الله ﷺ سلبه ملكه، وهو الأمر الذي جعله يحقد عليه وعلى المسلمين. بيد "أن جميع أعداء الإسلام من اليهود والمنافقين والمشركين كانوا يعرفون جيدا أن سبب غلبة الإسلام ليس هو التفوق المادي، وكثرة السلاح والجيوش والعدد، وإنما السبب هي القيم والأخلاق والمثل التي يتمتع بها المجتمع الإسلامي، وكل من يمت بصلة إلى هذا الدين، وكانوا يعرفون أن منبع هذا الفيض إنما هو رسول الله ﷺ، الذي هو المثل الأعلى - إلى حد الإعجاز - لهذه القيم. كما عرفوا بعد إدارة دفعة الحروب طيلة خمس سنين، أن القضاء على هذا الدين وأهله لا يمكن

<sup>1</sup> سورة الأعراف، الآية: 159

<sup>2</sup> محمد الغزالي، فقه السيرة، مرجع سابق، ص 370

<sup>3</sup> أخرجه البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج5، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ص 140، بتقييم: 4243

<sup>4</sup> أخرجه البخاري، المرجع نفسه، ج5، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ص 140، بتقييم: 4242

<sup>5</sup> انظر ابن القيم، زاد المعاد، مرجع سابق، ج3، ص 317

بطريق استخدام السلاح<sup>1</sup>، فقرروا أن يشنوا حرباً دعائية واسعة ضد هذا الدين من ناحية الأخلاق والتقاليد، وأن يجعلوا شخصية الرسول أول هدف لهذه الدعاية. ولما كان المنافقون هم الطابور الخامس في صفوف المسلمين، ولكونهم سكان المدينة، كان يمكن له الاتصال بالمسلمين واستفزاز مشاعرهم كل حين.

تحمل فريضة الدعاية هؤلاء المنافقون، وعلى رأسهم ابن أبيّ. الذي تجلت مواقف العدائية في عدة محطات، وسنذكر ثلاثة نماذج مما قام به المنافقون لزعزعة الرأي العام الإسلامي ومحاولة تقسيمه، وذلك من خلال النيل من شخص الرسول ﷺ باعتباره القائد الأعلى والراعي للمجتمع المسلم ومحور تماسكه.

### الفرع الأول: الدعاية حول زواج الرسول ﷺ بزینب بنت جحش

ظهرت خطتهم في النيل من الإسلام ورسول الإسلام حينما " تزوج رسول الله ﷺ بأمة المؤمنين زينب بنت جحش، بعد أن طلقها زيد بن حارثة، كان من تقاليد العرب أنهم كانوا يعتبرون المتبني مثل الابن الصلي، فكانوا يعتقدون حرمة حليلة المتبني على الرجل الذي تبناه، فلما تزوج النبي ﷺ بزینب وجد المنافقون ثلمتين - حسب زعمهم - لإثارة المشاغب ضد النبي ﷺ:

الأولى: أن زوجته هذه كانت زوجة خامسة، والقرآن لم يكن أذن في الزواج بأكثر من أربع نسوة، فكيف صح له هذا الزواج؟.

الثانية: أن زينب كانت زوجة ابنه - متبناه - فالزواج بها من أكبر الكبائر، حسب تقاليد العرب - وأكثرها من الدعاية في هذا السبيل، واختلقوا قصصاً وأساطير، قالوا: إن محمداً رآها بغتة، فتأثر بحسنها فشغفه حباً، وعلقت بقلبه، وعلم بذلك ابنه زيد فخلى سبيلها لمحمد، وقد نشروا هذه الدعاية المختلقة نشرًا بقيت آثاره في كتب التفسير والحديث إلى هذا الزمان.<sup>2</sup> وقد كان الغرض إثارة البلبلة في صفوف المسلمين وإثارة الرأي العام حول رسول الله ﷺ كما كانوا يعتقدون أو يتمنون، وقد أثرت فعلاً تلك الدعاية أثراً قوياً في صفوف الضعفاء حتى نزل القرآن بالآيات البينات، فيها شفاء لما في الصدور، وينبئ عن سعة نشر هذه الدعاية أن الله استفتح سورة الأحزاب بقوله: (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليماً حكيماً)<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 338. 339

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 339

<sup>3</sup> سورة الأحزاب، الآية: 01

أما موقف المسلمين من ذلك فقد " كان النَّبِيُّ ﷺ يكابد كل ذلك بالصبر واللين والتلطف، وكان عامّة المسلمين يحترزون عن شرهم، أو يتحملونه بالصبر، إذ كانوا قد عرفوهم بافتضاحهم مرة بعد أخرى"<sup>1</sup> حسب قوله تعالى: ( **أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ**)<sup>2</sup>.

### الفرع الثاني: قول المنافقين: (( لئن رجعنا ليخرجن الأعز منها الأذل ))

بعد الفراغ من غزوة بني المصطلق ( شعبان سنة 06 هـ )، وأثناء الطريق إلى المدينة تخاصم غلامان أحدهما من المهاجرين والآخر من الأنصار، فاستغل كبير المنافقين ( عبد الله بن أبي بن سلول ) الواقعة، قال: " أوقد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما نحن وهم إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم أقبل على من حضره فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم."<sup>3</sup> وقد بلغ ذلك رسول الله ﷺ واستأذنه عمر . رضي الله عنه . في قتل هذا المنافق فقال له رسول الله ﷺ: (( فكيف يا عمر إذا تحدث النَّاسُ أن محمداً يقتل أصحابه؟ لا ولكن أذن بالرحيل ))<sup>4</sup>.

" ثم مشى بالنَّاسِ يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالنَّاسِ، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض، فوقعوا نياماً. فعل ذلك؛ ليشغل النَّاسَ عن الحديث."<sup>5</sup>

ومما يلاحظ من هذه الواقعة:

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 339

<sup>2</sup> سورة التوبة، الآية: 126

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 340

<sup>4</sup> ابن القيم، زاد المعاد، مرجع سابق، ج3، ص 240

<sup>5</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 340 . 341

. استغلال المنافقين للوقائع مهما كانت صغيرة لإحداث البلبلة في صفوف المسلمين وإرباك الرّأي العامّ وتحويله عن الالتفاف حول رسول الله ﷺ.

. يعمل المنافقون على إيهام أن الرّأي العامّ في المدينة يساند عبد الله بن سلول بوصف نفسه أنه الأعزّ وأن الرسول ﷺ هو الأذلّ.

. محاولة إفشاء الكلمة السيئة ( سمن كلبك يأكلك ) للتأثير في نفوس النّاس، وإسقاط جدار الهيبة لرسول الله ﷺ وأصحابه من قلوبهم.

. عدم إذن رسول الله ﷺ بقتل عبد الله بن سلول حرصا منه على استقرار الرّأي العامّ الخارجي خاصّة، وعدم إثارة الغبار حول الدعوة الإسلاميّة، لأنّ النّاس البعيدين عن المجتمع المسلم يرون المسلمين وحدة واحدة، وأن عبد الله بن أبيّ أو غيره من المنافقين جزء من الكيان الإسلاميّ، فإذا قام رسول الله ﷺ بقتل أحدهم يظهر وكأنه يقتل أصحابه، وبالتالي تنزل هيبة المسلمين من نظر أعداء الخارج، وهذه نظرة ثابتة من رسول الله ﷺ باعتباره رئيس الدّولة يعمل كل ما بوسعه للمحافظة على وحدة الأُمَّة واستقرار الرّأي العامّ فيها.

. ومن حكمة النّبّي ﷺ أن شغل النّاس بالمسير حوالي يومين وليلة حتى بلغ منهم التعب مبلغا، كي لا ينشغلوا بدعاية المنافقين، ويأمن بذلك تأثيرها وانعكاسها على صفوف الجيش ومن ثمّ عدم انتشارها في المجتمع المدنيّ.

### الفرع الثالث: حديث الإفك

إثر غزوة بني المصطلق. أيضا . وقعت قصة الإفك وملخصها: " أن عائشة رضي الله عنها كانت قد خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه في هذه الغزوة بقرعة أصابته، وكانت تلك عادته مع نسائه، فلما رجعوا من الغزوة نزلوا في بعض المنازل، فخرجت عائشة لحاجتها، ففقدت عقدا لأختها كانت أعارتها إياه، فرجعت تلتمس في الموضوع الذي فقدته فيه في وقتها، فجاء نفر الذين كانوا يرحلون هودجها فظنوها فيه فحملوا الهودج، ولا ينكرون خفته، لأنها رضي الله عنها كانت فتية السن لم يغشها اللحم الذي كان يثقلها، وأيضا فإن نفر لما تساعدوا على حمل الهودج لم ينكروا خفته، ولو كان الذي حملة واحدا أو اثنين لم يخف عليهما الحال، فرجعت عائشة إلى منازلهم، وقد أصابت العقد، فإذا ليس به داع ولا مجيب، فقعدت في المنزل، وظنت أنهم سيفقدونها فيرجعون في طلبها،

والله غالب على أمره، يدبر الأمر، فوق عرشه كما يشاء، فغلبتها عينها، فنامت، فلم تستيقظ إلا بقول صفوان بن المعطل: إنا لله وإنا إليه راجعون، زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛- وكان صفوان قد عرس في أخريات الجيش لأنه كان كثير النوم، فلما رآها عرفها، وكان يراها قبل نزول الحجاب، فاسترجع وأناخ راحلته، فقربها إليها، فركبتها، وما كلمها كلمة واحدة، ولم تسمع منه إلا استرجاعه، ثم سار بها يقودها، حتى قدم بها، وقد نزل الجيش في نحر الظهيرة، فلما رأى ذلك الناس تكلم كل منهم بشاكلته، وما يليق به، ووجد الخبيث عدو الله ابن أبي متنفسا، فتنفس من كرب النفاق والحسد الذي بين ضلوعه، فجعل يستحكي الإفك، ويستوشيه، ويشيعه، ويذيعه، ويجمعه، ويفرقه، وكان أصحابه يتقربون به إليه، فلما قدموا المدينة أفاض أهل الإفك في الحديث، ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم، ثم استشار أصحابه- لما استلبث الوحي طويلا- في فراقها، فأشار عليه علي رضي الله عنه أن يفارقها، يأخذ غيرها، تلويحا لا تصريحاً، وأشار عليه أسامة وغيره بإمساكها، وألا يلتفت إلى كلام الأعداء، فقدم على المنبر يستندر من عبد الله بن أبي، فأظهر أسيد بن حضير سيد الأوس رغبته في قتلها، فأخذت سعد بن عبادة- سيد الخزرج وهي قبيلة ابن أبي- الحمية القبلية، فجرى بينهما كلام تثار له الحيان، فخفضهم رسول الله ﷺ حتى سكتوا وسكت.<sup>1</sup>

وبقي الأمر في المدينة على ذلك الحال وحادثه الإفك تلوكها بعض الألسن حتى سقط فيها بعض الصحابة كمسطح بن أثاثه، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش، لمدة شهر كامل ثم نزل الوحي يبرئ أم المؤمنين عائشة . رضي الله عنها . في قوله تعالى: ( إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ ... ) العشر الآيات من سورة النور 11. 20.

ونخلص من هذه الحادثة إلى ما يأتي:

. الأثر الكبير للدعاية الكاذبة على الرأي العام في المدينة، وانقسامه إلى مكذب ومصديق ومتوقف .  
. ساد المجتمع المدني جو من القلق والاضطراب كاد يؤدي إلى الاختلاف والتناحر، ويدل عليه ما وقع بين سيدي الأوس والخزرج من المناكفة.  
. تدل مشاوره رسول الله ﷺ لأهل الرأي من الأقربين ومن أصحابه في قضية خاصة على أنها أصبحت قضية رأي عام، لكونها تخص رسول الله ﷺ وهو شخصية عامة، ومكانته عظيمة في قلوب المسلمين.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 341 342

. رغم القلق والاضطراب الذي ساد الرأي العام في المدينة إلا أنه بقي متماسكا، والأغلبية مع تكذيب الخبر، وإنما الانتظار لحسم الأمر عن طريق الوحي.

. ومما لا ينكر أن جزءا من الرأي العام بقي . قبل نزول الوحي . يناصر عبد الله بن أبي بن سلول من باب الحمية القبلية وخاصة قومه الخزرج وعلى رأسهم سعد بن عباد، وهو الأمر الذي حمله للرد على أسيد بن حضير سيد الأوس لما اقترح على رسول الله ﷺ بقتله.

. لقد جلد رسول الله ﷺ ثلاثة من المسلمين وقعوا في عرض عائشة عليها الرضوان، وهم: مسطح بن أثانة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش، ولم يبق الحد على من تولى كبره وأشاع ذلك المنكر وذلك لأحد أمرين: إما لِأَنَّ الحُدُودَ تُخَفِّفُ عَن أَهْلِهَا وَكَفَّارَةٌ، وَالْحَيْثُ لَيْسَ أَهْلًا لِذَلِكَ، وَقَدْ وَعَدَهُ اللهُ بِالْعَذَابِ الْعَظِيمِ فِي الآخِرَةِ، فَيُكْفِيهِ ذَلِكَ عَنِ الحُدِّ، وَإِذَا لِمَصْلَحَةٍ هِيَ أَعْظَمُ مِنْ إِقَامَتِهِ كَمَا تَرَكَ قَتْلَهُ مَعَ ظُهُورِ نِفَاقِهِ وَتَكَلُّمِهِ بِمَا يُوجِبُ قَتْلَهُ مَرَارًا، وَهِيَ تَأْلِيفُ قَوْمِهِ، وَعَدَمُ تَنْفِيرِهِمْ عَنِ الإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ كَانَ مُطَاعًا فِيهِمْ رَئِيسًا عَلَيْهِمْ، فَلَمْ تُؤْمِنْ إِثَارَةُ الفِتْنَةِ فِي حَدِّهِ<sup>1</sup>.

. افتضح رأس المنافقين وانقلاب الرأي العام الذي كان يناصره ويقف موقفه ضده، قال المباركفوري: "وهكذا وبعد شهر أقشعت سحابة الشك الارتياب والقلق والاضطراب عن جو المدينة، وافتضح رأس المنافقين افتضاحا لم يستطع أن يرفع رأسه بعد ذلك."<sup>2</sup> وقال ابن هشام:

"وَجَعَلَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَحْدَثَ الحَدِيثَ كَانَ قَوْمُهُ هُمُ الَّذِينَ يُعَاتِبُونَهُ وَيَأْخُذُونَهُ وَيُعْتَفُونَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعُمَرَ بْنِ الحُطَّابِ، حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِمْ: كَيْفَ تَرَى يَا عُمَرُ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتَهُ يَوْمَ قُلْتِ لِي أَقْتُلُهُ، لَأُرْعِدْتِ لَهُ أَنْفًا، لَوْ أَمَرْتَهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلْتُهُ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ: قَدْ وَاللَّهِ عَلِمْتُ لَأَمُرَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَعْظَمَ بَرَكَهً مِنْ أَمْرِي."<sup>3</sup> وهكذا بفضل حكمة الرسول ﷺ وصبره، انقلب الرأي العام الذي كان يناصر كبير المنافقين ضده في المدينة.

<sup>1</sup> انظر ابن القيم، زاد المعاد، مرجع سابق، ج3، ص 236

<sup>2</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 343

<sup>3</sup> ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق، ج2، ص 293

## المبحث الرابع: نماذج لقضايا الرّأي العامّ في المرحلة المدنية

### المطلب الأول: نماذج تشريعية

#### الفرع الأول: التهيئة للامتناع عن شرب الخمر

كان الخمر جزءاً من حياة العربي في الجاهلية، وهي من معالم الحياة الاجتماعية وأبرز عاداتها المتجذرة في النفوس، ولا يكاد يخلو مجلس من زينتها ولا يخلو سمر بغياها، وقيلت القصائد الكثيرة في مدحها وتصويرها، ولم يكن يدور بخلد أحدهم أن يأتي اليوم الذي يتعد عنها فضلاً عن أن ينتهي عنها، لذلك لما جاء الإسلام راع هذا الواقع، ولم يجرّمها للوهلة الأولى، بل تمّ تحريمها على أربعة مراحل، والحكمة من ذلك هي تهيئة الرّأي العامّ وتدريبه للانتهاة عنها .

. فقد بدأ ذلك بالتهيئة النفسية والذهنية، فلم تنزل في المرحلة المكية في الخمر إلا آية واحدة وهي قوله تعالى: [ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ]<sup>1</sup>، والآية بينت أن السكر ليس رزقا حسنا ( وتسمى بالموعظة السلبيّة )

. ثم نزل بالمدينة قوله تعالى: [ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ]<sup>2</sup> وفي الآية تنفير نفسي من الخمر بالموازنة بين نفعها وضررها، ويسميه الفقهاء (التحريم بالتلويح لا بالتصريح).

. ثم يأتي التحريم الجزئي للتدريب عن الامتناع عنها وهي التهيئة البدنية والنفسية في قوله تعالى: [ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ]<sup>1</sup>

<sup>1</sup> . النحل: 67

<sup>2</sup> البقرة 219

فصاروا لا يشربونها في النهار خشية أن تلحق عليهم الصلاة وهم سكارى، فكان الرجل لا يشربها إلا بعد صلاة العشاء. وهذا تدريب بدني ونفسي على الامتناع عنها.

. وهكذا بعد كل هذه التهيئة النفسية والعقلية والبدنية للرأي العام الإسلامي، تأتي المرحلة الأخيرة وهي الامتناع الكلي في قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ]<sup>2</sup>

قال الشيخ محمد علي الصابوني: "في تحريم الخمر بهذا الترتيب حكمة بليغة، وذلك أن القوم ألفوا شرب الخمر، وأصبحت جزءاً من حياتهم، فلو حرمت عليهم دفعة واحدة لشق ذلك على نفوسهم وربما لم يستجيبوا لذلك النهي، كما تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: (أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول ما نزل: لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً)."<sup>3</sup>

. وفي حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ما يدل على أن القرآن أول ما بدأ به هو تغيير الدهنيات وتشكيل الوعي، والرقي بالتفكير والتصورات، وتربية النفس والروح والسمو بأهدافها بنزول الآيات التي ترغب في الجنة وما يستتبع ذلك من عمل صالح في الدنيا، وترهب من النار بالانتهاء عن المفسد والانحرافات، ثم يأتي بعد ذلك الحديث عن الحلال والحرام لتقبله النفوس بكل راحة وطمأنينة ويسارع الناس إلى التطبيق بقولهم: (انتهينا ربنا انتهينا).

### الفرع الثاني: حول قضية التبني

لقد كان التبني منتشراً في الجاهلية قبل الإسلام، وكان الولد المتبني بمثابة ابن حقيقي للأسرة التي تبنته، وإذا حدث أن تبني شخص ولداً صار ابنه، وألحق بنسبه، وكان له شرف ذلك النسب، "وقد عرف الرومان واليونان الأقدمون عادة التبني وسجلوه في أنظمتهم وقوانينهم قبل عرب الجاهلية، وكانوا

<sup>1</sup> النساء: 43

<sup>2</sup> المائدة: 90 . 91

<sup>3</sup> محمد علي الصابوني، روائع البيان تفسير آيات الأحكام، ج 1، (ط: 04، الجزائر، مكتبة رحاب، 1410هـ/1990م)،

يلحقون الشخص بمن يريده، سواء أكان للمُتَّبِئِ نسب معروف من قبل أم لم يكن معروف النسب. وكان هذا عندهم بمثابة عقد يجري بين الطرفين، ويلتزمان به أملاً في أن يحقق لكل منهما فوائد مقصودة يريدها من هذا العقد.<sup>1</sup> وهذا الأمر جرى عليه العرف أيضاً في بداية الإسلام إلى غاية السنة الخامسة للهجرة، وقد تَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ مولاة زيد بن حارثة، وكان زيد قبل ذلك عبداً لخديجة زوج النَّبِيِّ ﷺ فأهدته إليه، وكان ذلك قبل البعثة.

"ولما ظهر الإسلام أكد ما قرره الأديان السماوية كلها من قبل، من أن النسب لا يثبت إلا بولادة حقيقية ناشئة عن علاقة زواج أسري مشروع. ومن هنا حرم الإسلام التَّبَيُّ تحريماً قطعياً، في الوقت الذي رآه مناسباً بعد تهيئة النفوس وإعدادها لذلك."<sup>2</sup> ونفى الإسلام أن يكون التَّبَيُّ سبباً لثبوت صلة النسب بين المَتَّبِئِ وأسرته وبين الشخص المَتَّبِئِ. قال الله تعالى: (وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)<sup>3</sup>

لقد كان الرَّأْيُ العَامُّ الغالب لدى العرب والمسلمين قبل التحريم ينظر إلى التَّبَيُّ على أنه جزء من الحياة الاجتماعية السائدة، بل يراه مظهراً من مظاهر المروءة ومن العادات الحسنة، وذلك لما يظهر من مزايا التَّبَيُّ عندهم، فهو إنقاذ للمتَّبِئِ من الهلاك والضياع، فضلاً على أنه استكثار من البنين للقوة والغلبة والعمل، واستئناس به لمن لا ذرية له... إلخ. كما كانوا يتخرجون من زواج المتَّبِئِ بامرأة مَتَّبَنَاهُ من بعده، ويعتبرون هذا أمراً منكراً وشاذاً، لذلك لما أراد زيد بن حارثة أن يطلق امرأته زينب بنت جحش، وعلم رسول الله ﷺ بالوحي أنه سيتزوجها، غلب عليه الحياء من المجتمع وقال له: (أمسك عليك زوجك واتق الله). وقد شرح القرآن كل ذلك في قوله تعالى: (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَخَشِيَ

<sup>1</sup> حسن عبد الغني أبوغدة، مقال حكم التَّبَيُّ في الإسلام، موقع رسالة الإسلام:

[islammessage.com/NewsDetails.aspx?id=6656](http://islammessage.com/NewsDetails.aspx?id=6656)، تاريخ التصفح: 05 / 04 / 2016 م

<sup>2</sup> حسن عبد الغني أبوغدة، حكم التَّبَيُّ في الإسلام، مرجع سابق.

<sup>3</sup> سورة الأحزاب، الآيتان: 04 . 05

النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا<sup>1</sup>.

جاء في تفسير القرطبي: " فلما تشكى زيد للنبي ﷺ خلق زينب، وأنها لا تطيعه، وأعلمه أنه يريد طلاقها، قال له رسول الله ﷺ على جهة الأدب والوصية: (اتق الله في قولك وأمسك عليك زوجك) وهو يعلم أنه سيفارقها ويتزوجها، وهذا هو الذي أخفى في نفسه، ولم يرد أن يأمره بالطلاق لما علم أنه سيتزوجها، وخشي رسول الله ﷺ أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد، وهو مولاه، وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من أن خشي الناس في شيء قد أباحه الله له، بأن قال: "أمسك" مع علمه بأنه يطلق. وأعلمه أن الله أحق بالخشية، أي في كل حال.<sup>2</sup>

وهنا يتبين أن خشية النبي ﷺ للناس وحيأوه منهم، مدى استعظام الرأي العام الزواج من حليمة المتبني ولو بعد تحريم التبني، لكن القرآن الكريم أراد أن يعطي صورة عملية واقعية لتحريم التبني نهائياً، فلم يكتف بمجرد الحكم، بل إنه قضى على ما يترتب عليه من آثار اجتماعية.

وهكذا اختار الله تعالى الوقت المناسب حتى يتقبل الناس هذا الحكم المتصل بعادة أسرية اجتماعية كانت متأصلة فيهم ومتفشية فيما بينهم. على أن تحريم الإسلام لعادة التبني أمر له دلالات وأسباب جديرة بالتعريف:

"أولها: أن عادة التبني سلوك مخالف للفطرة والواقع؛ لأنه افتراء على الحقيقة، فالأبوة والأمومة ليست ألفاظاً تردد، ولا عقداً يعقد، بل هي ارتباط لحم ودم، وحنان ومودة...

ثانيها: أن الشخص المتبني يبقى في الأسرة جسماً غريباً لصيقاً غير مؤتلف مع أفرادها بحكم الفطرة البشرية والتأثير النفسي.

ثالثها: أن الإسلام خص أفراد الأسرة بحقوق أديبة ومادية، ومن هذه الحقوق الحضانة والنفقة والميراث، وهذا الأخير لا يثبت بأنساب زائفة وأسباب مصطنعة.<sup>3</sup>

والجدير بالذكر أن الله تعالى هياً نفوس المؤمنين بتقبل ما سيشرع لهم من حرمة التبني والزواج بحليمة التبني بأن ذكرهم بأن الأمر كله له، وما كان للمؤمنين أن يختاروا أمراً آخر إذا قضى الله ورسوله أمراً،

<sup>1</sup> سورة الأحزاب، الآية: 37

<sup>2</sup> شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، تفسير سورة الأحزاب .

<sup>3</sup> حسن عبد الغني أبوغدة، حكم التبني في الإسلام، مرجع سابق.

وذلك من خلال تقديم الآية: ( وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ. وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا<sup>1</sup> ).

يقول سيد قطب . رحمه الله :: " ثم يعقب حادث الزواج حادث الطلاق وما وراءه من إبطال آثار التَّبَيُّ ... إبطاله بسابقة عملية يختار لها رسول الله ﷺ بشخصه، لشدة عمق هذه العادة في البيئة العربية، وصعوبة الخروج عليها. فيقع الابتلاء على رسول الله ﷺ ليحملها فيما يحمل من أعباء الدعوة وتقرير أصولها في واقع المجتمع، بعد تقريرها في أعماق الضمير: ( فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا. وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا<sup>2</sup> ) ...<sup>3</sup>

ثم يبين الله تعالى لنبيه وللمؤمنين أنهم سيواجهون ردود أفعال وأذى من المنافقين والكافرين جراء هذا التشريع الجديد، فليحذروا من التأثر بهم أو الميل إليهم: ( وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا<sup>4</sup> )

يقول سيد قطب . رحمه الله :: " هذا الدرس شوط جديد في إعادة تنظيم الجماعة المسلمة على أساس التصور الإسلامي . وهو يختص ابتداءً بإبطال نظام التَّبَيُّ ... وقد شاء الله أن ينتدب لإبطال هذا التقليد من الناحية العملية رسوله ﷺ ... فانتدب الله رسوله ليحمل هذا العبء فيما يحمل من أعباء الرِّسَالَةِ ... وما كان سواه قادراً على احتمال هذا العبء الجسيم، ومواجهة المجتمع بمثل هذه الخارقة لمألوفه العميق!<sup>5</sup> وما كان للرأي العام الإسلامي أن يتغير موقفه اتجاه هذه القضية الخطيرة لولا أن رسول الله ﷺ كان النموذج العملي لإبطال هذه العادة الاجتماعية المتأصلة عند العرب منذ الجاهلية.

<sup>1</sup> سورة الأحزاب، الآية: 56

<sup>2</sup> سورة الأحزاب، الآية: 37

<sup>3</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج5، ص 2820-2821

<sup>4</sup> سورة الأحزاب، الآية: 48

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ج5، ص 2864، بتصرف

## المطلب الثاني: نماذج سياسية

## الفرع الأول: صلح الحديبية

كان صلح الحديبية بين المسلمين وقريش في ذي القعدة سنة 06 هـ، وأهم ما جاء في وثيقة الصلح من بنود<sup>1</sup>:

1- الرسول ﷺ يرجع من عامه، فلا يدخل مكة وإذا كان العام القابل دخلها. المسلمون فأقاموا بها ثلاثاً، معهم سلاح الراكب، السيوف في القرب، ولا تتعرض قريش لهم بأي نوع من أنواع التعرض.

2- وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض.

3- من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وتعتبر القبيلة التي تنضم إلى أي الفريقين جزءاً من ذلك الفريق، فأبي عدوان تتعرض له أي من هذه القبائل يعتبر عدواناً على ذلك الفريق.

4- من أتى محمداً من قريش من غير إذن وليه - أي هاربا منهم - رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد - أي هاربا منه - لم يرد عليه.

لا يخفى في السيرة أن بعض المسلمين لم يرض عن بعض بنود الصلح وأصابه الهم، ويظهر ذلك من خلال:

. تباطؤ المسلمين في إجابة رسول الله ﷺ لما أمرهم بالنحر، حتى قام هو بالنحر والحلق حينها تبادل الناس بفعل ذلك.

. يقول المباركفوري: "هذه هي حقيقة بنود هذه الهدنة، لكن هناك ظاهرتان عمت لأجلهما المسلمين كتابة وحزن شديد، الأولى: أنه كان قد أخبرهم أن سنأتي البيت فنطوف به، فماله يرجع ولم يطف له؟"

الثانية: أنه رسول الله ﷺ على الحق، والله وعد إظهار دينه، فماله قبل ضغط قريش، وأعطى الدنية في الصلح؟ كانت هاتان الظاهرتان مثار الريب والشكوك والوساوس والظنون. وصارت مشاعر المسلمين

<sup>1</sup> انظر المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 350 - 351

لأجلهما جريحة، بحيث غلب الهم والحزن على التفكير في عواقب بنود الصلح.<sup>1</sup> ولعل أعظمهم حزنا كان عمر بن الخطاب، فقد "أتى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: بلى. قال: أليس قتلاتنا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى. قال: ففيم نعطي الدنيا في ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم، قال: (( يا ابن الخطاب إني رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري، ولن يضيعني أبدا )) قال: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: (( بلى، فأخبرتكم أنا نأتيه العام؟ )) قال: لا. قال: (( فإنك آتية ومطوف به ))<sup>2</sup>

هذه هي هدنة الحديبية، ومن سبر أغوار بنودها مع خلفياتها لا يشك أنها فتح عظيم للمسلمين، فكريش لم تكن تعترف بالمسلمين أي اعتراف، بل كانت تهدف استتصال شأفتهم، وتنتظر أن تشهد يوما ما نهايتهم، وكانت تحاول بأقصى قوتها الحيلولة بين الدعوة الإسلامية، وبين الناس، بصفتها ممثلة الزعامة الدينية والصدارة الدنيوية في جزيرة العرب، ومجرد الجنوح إلى الصلح اعتراف بقوة المسلمين، وأن قريشا لا تقدر على مقاومتهم، ثم البند الثالث يدل فحواه على أن قريشا نسيت صدارتها الدنيوية وزعامتها الدينية، وأنها لا تهمها الآن إلا نفسها، أما سائر الناس وبقية جزيرة العرب فلو دخلت في الإسلام بأجمعها، فلا يهم ذلك قريشا، ولا تتدخل في ذلك بأي نوع من أنواع التدخل.

أليس هذا فشلا ذريعا بالنسبة إلى قريش؟ وفتحا مبينا بالنسبة إلى المسلمين؟ إن الحروب الدامية التي جرت بين المسلمين وبين أعدائهم لم تكن أهدافها - بالنسبة إلى المسلمين - مصادرة الأموال وإبادة الأرواح، وإفناء الناس، أو إكراه العدو على اعتناق الإسلام، وإنما كان الهدف الوحيد الذي للمسلمين من هذه الحروب هو الحرّية الكاملة للناس في العقيدة والدين (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ).<sup>3</sup> لا يحول بينهم وبين ما يريدون أي قوة من القوات، وقد حصل هذا الهدف بجميع أجزائه ولوازمه، وبطريق ربما لا يحصل بمثله في الحروب مع الفتح المبين، وقد كسب المسلمون لأجل هذه الحرّية نجاحا كبيرا في الدعوة، فبينما كان عدد المسلمين لا يزيد على ثلاثة آلاف قبل الهدنة، صار عدد الجيش الإسلامي في سنتين عند فتح مكة عشرة آلاف.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 354

<sup>2</sup> أخرجه البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج 3، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة

الشروط، ص 193، بتقييم: 2731

<sup>3</sup> سورة الكهف، الآية: 29

أما البند الثاني؛ فهو جزء ثان لهذا الفتح المبين، فالمسلمون لم يكونوا بادئين بالحروب، وإنما بدأتها قريش، يقول الله تعالى: **(وَهُمْ بَدَأُواكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)**<sup>1</sup>، أما المسلمون فلم يكن المقصود من دورياتهم العسكرية إلا أن تفيق قريش عن غطرستها، وصددها عن سبيل الله، وتعمل معهم بالمساواة، كل من الفريقين يعمل على شاكلته فالعقد بوضع الحرب عشر سنين حدا لهذه الغطسة والصد، ودليل على فشل من بدأ الحرب وضعفه وانتهياره.

أما البند الأول، فهو حد لصد قريش عن المسجد الحرام، فهو أيضا فشل لقريش، وليس فيه ما يشفي قريشا سوى أنها نجحت في الصد لذلك لعام واحد فقط.

أعطت قريش هذه الخلال الثلاث للمسلمين، وحصلت بإزائها خلة واحدة فقط، وهي ما في البند الرابع، ولكن تلك الخلة تافهة جدا، ليس فيها شيء يضر بالمسلمين، فمعلوم أن المسلم ما دام مسلما لا يفر عن الله ورسوله، وعن مدينة الإسلام، ولا يفر إلا إذا ارتد عن الإسلام ظاهرا أو باطنا، فإذا ارتد فلا حاجة إليه للمسلمين، وانفصاله من المجتمع الإسلامي خير من بقاءه فيه، وهذا الذي أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: **((إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله))**<sup>2</sup> وأما من أسلم من أهل مكة - فهو وإن لم يبق للجوئه إلى المدينة سبيل - لكن أرض الله واسعة، ألم تكن الحبشة واسعة للمسلمين حينما لم يكن يعرف أهل المدينة عن الإسلام شيئا؟ وهذا الذي أشار إليه النبي ﷺ بقوله: **((ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا))**<sup>3</sup>

والأخذ بمثل هذا الاحتفاظ، وإن كان مظهر الاعتزاز لقريش، لكنه في الحقيقة ينبئ عن شدة انزعاج قريش وهلعهم وخورهم، وعن شدة خوفهم على كيانهم الوثني، وكأنهم كانوا قد أحسوا أن كيانهم اليوم على شفا جرف هار، لا بد له من الأخذ بمثل هذا الاحتفاظ. وما سمح به النبي ﷺ من أنه لا يسترد من فرّ إلى قريش من المسلمين، فليس هذا إلا دليلا على أنه يعتمد على تثبيت كيانه وقوته كمال الاعتماد، ولا يخاف عليه من مثل هذا الشرط.<sup>4</sup> تلك هي حقيقة صلح الحديبية الذي اعترض عليه

<sup>1</sup> سورة التوبة، الآية: 13

<sup>2</sup> أخرجه مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج3، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، ص 1411، بترقيم:

1784

<sup>3</sup> أخرجه مسلم، المرجع نفسه، ج3، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، ص 1411، بترقيم: 1784

<sup>4</sup> انظر المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 352 354

قادة الرأي العام المسلم بادئ الأمر لكن بمرور الوقت تبين لهم صواب موقف رسول الله ﷺ والخطأ الذي كانوا عليه في معارضتهم له.

### \* أثر صلح الحديبية على الرأي العام الخارجي:

بعد صلح الحديبية دخل المجتمع الإسلامي في المدينة مرحلة جديدة، فقريش كانت أقوى الأعداء وألدها على المسلمين انسحبت من ميدان المواجهة إلى المصالحة، وانهارت نزعاتها العدائية إلى حد كبير، فقريش هي الممثلة للوثنية وزعيمتهم في ربوع الجزيرة العربية، وبالتالي فإن جميع القبائل العربية الوثنية انكفأت عن نفسها وانحسر شرها.

أما اليهود فبعد غزوة بني قريظة وجلاتهم عن يثرب جعلوا خبير مركزاً لتجمعهم ودسائسهم "ثم إن هذه المرحلة التي بدأت بعد الصلح أعطت المسلمين فرصة كبيرة لنشر الدعوة الإسلامية وإبلاغها، وقد تضاعف نشاط المسلمين في هذا المجال".<sup>1</sup>

وقد حرص النبي ﷺ في هذه المرحلة على مكاتبة معظم ملوك الأرض آنذاك يدعوهم إلى الإسلام، فمنهم من أسلم ومنهم من أبي، فقد أرسل إلى النجاشي ملك الحبشة، وإلى المقوقس ملك مصر، وإلى كسرى ملك فارس، وإلى قيصر ملك الروم، وإلى المنذر حاكم البحرين، وإلى هودذة بن علي صاحب اليمامة، وإلى الحارث الغساني صاحب دمشق، وإلى ملك عمان، وغيرهم... وإن هذه المراسلات تآذن بعهد جديد للدعوة الإسلامية، وتوسعها وبلوغ ربوع الأرض، وشغلت الرأي العام العالمي آنذاك، وعرفته بهذا الدين وهذا الرسول ﷺ.

أما انعكاس ذلك على الرأي العام الداخلي في المدينة، فإنه لاشك حول اهتمامهم إلى أهداف أعظم وغايات أكبر، حيث اشترأت أعناقهم إلى ما تعود به الرسل من عند الملوك وإلى المدى الذي بلغته الرسالة المحمدية، فتبعث في نفوسهم العزيمة على مواصلة درب الدعوة، ومناصرة رسول الله ﷺ، والثقة في دينهم وعقيدتهم وزيادة تماسكهم والتفافهم حول أهدافهم السامية.

### الفرع الثاني: توجيه الرسول ﷺ الرأي العام المعارض

حدث بعد غزوة حنين أن قسم النبي ﷺ الغنائم فخص بعض رؤساء القبائل وأشرف مكة، وكان المؤلف قلوبهم أول من أعطى، وحظي بالأنصب الجزلة، فوجد الأنصار في أنفسهم شيئاً،

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 357

" وكانت هذه القسمة مبنية على سياسة حكيمة، لكنها لم تفهم أول الأمر، فأطلقت السنة شتى بالاعتراض.<sup>1</sup>"

قال ابن هشام: "لَمَّا أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أُعْطِيَ مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا، فِي فُرَيْشٍ وَفِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَجَدَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُمْ الْقَالَةُ<sup>2</sup> حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقَدْ لَقِيَ وَاللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ، لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفِيءِ الَّذِي أَصَبْتَ، فَسَمْتُ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتُ عَطَايَا عَظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ."

قَالَ: (فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟)

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَنَا إِلَّا مِنْ قَوْمِي.

قَالَ: (فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ)<sup>3</sup>.

قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدُ، فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ.

قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ، فَدَخَلُوا، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ. فَلَمَّا اجْتَمَعُوا لَهُ أَتَاهُ سَعْدُ، فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَاتَّيَّ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: (يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ: مَا قَالَةٌ بَلَغْتَنِي عَنْكُمْ، وَجِدَّةٌ<sup>4</sup> وَجَدْتُمُوهَا عَلَيَّ فِي أَنْفُسِكُمْ؟ أَمْ آتَيْتُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ، وَأَعْدَاءً فَأَلْفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ!)  
قَالُوا: بَلَى، اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرٌ وَأَفْضَلُ.

ثُمَّ قَالَ: أَلَا تُحِبُّونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟

قَالُوا: بِمَاذَا نُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنْ وَالْفَضْلُ.

قَالَ ﷺ: أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ، فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصِدَقْتُمْ: أَتَيْتَنَا مُكْذِبًا فَصَدَقْنَاكَ، وَمَخْدُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَأَوْيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَاسَيْنَاكَ. أَوْجَدْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُعَاعَةٍ<sup>5</sup>

<sup>1</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 426

<sup>2</sup> القالة: الكلام الرديء

<sup>3</sup> الحظيرة: شبه الزريبة التي تصنع للإبل والماشية.

<sup>4</sup> الموجدة: العتاب، ويروى جدة.

<sup>5</sup> اللعاعة: بقلة خضراء ناعمة، شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها.

مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسَلِّمُوا، وَوَكَّلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ، أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ؟  
فوالذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتُ الْأَنْصَارُ شِعْبًا، لَسَلَكَتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ. اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ.)

قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قَسَمًا وَحِطًّا. ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَفَرَّقُوا.<sup>1</sup>

نلاحظ أنه على إثر توزيع الغنائم تشكل رأي عام لدى الأنصار بأن رسول الله ﷺ فضل قومه من أهل مكة عنهم، وطارت الكلمات الرديئة تعزز موقف هذا الاتجاه، وهو ما عبر عنه ممثلهم زعيم الأنصار (سعد بن عباد) بكل صراحة للرسول ﷺ عندما قال له: (يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفياء الذي أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء.)، ويؤكد سعد بن عباد - رضي الله عنه - أنما كلامه يعكس وجهة نظر قومه، وأنه جزء منهم، فعندما سأله رسول الله ﷺ: (أين أنت من ذلك يا سعد؟) قال: (يا رسول الله ما أنا إلا من قومي).

ومن حكمة النبي ﷺ أنه تدارك الأمر عند بدايته حتى لا يتسع الأمر ولا يتعمق في نفوس الناس، ويتخذ بعض ضعفاء الإيمان أو المنافقون ذريعة للظعن أو سببا للفرقة بين المسلمين، فإنه دعا أصحاب هذا الموقف إلى لقاء عام، وخاطبهم بكل صراحة ومودة، وخاطب فيهم إيمانهم ومحبتهم لرسول الله ﷺ، وبين لهم أن الذي وزعه على الناس لا يعدو أن يكون شيئا قليلا من متاع الدنيا - شبهه بلعاعة - ليتألف به قلوبهم، وأنه وكلهم إلى عمق إيمانهم ورسوخ إسلامهم، ومدى محبتهم لرسول الله ﷺ، ثم ذكرهم بأنه لم يرغب بقومه عن الأنصار، وأن وفاءه للأنصار وتقديره لما قدموه في سبيل الإسلام لا يحوه الزمان ولا تساويه هذه الغنائم، ثم أظهر محبته وانحيازه لهم حتى رضوا وسكنوا وبكوا لشدة تأثرهم، وهدأت العاصفة.

لقد عمد رسول الله ﷺ في توجيه الرأي العام في هذه الحادثة إلى جملة من الأساليب، أهمها:

<sup>1</sup> ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق، ج2، ص 498 - 500

1. أسلوب الجدل والمناقشة: اعتمد رسول الله ﷺ مع الأنصار المناقشة الهادئة والجدال والتي هي أحسن بداية من السؤال الأول الذي وجهه لهم: ( يا معشر الأنصار ما قالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها علي في أنفسكم؟ )، وسؤاله ﷺ: ( ألا تحبوني يا معشر الأنصار؟ ). وقد ورد في هذا الأسلوب الخطاب العاطفي الذي يرقق القلوب ويستميلها نحو الصواب والحق، ويدل عليه ما ختم به خطابه: (ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله ﷺ إلى رحالكم؟ فو الذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شاة شعبا، وسلكت الأنصار شعبا، لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار).

كما ورد في أسلوب النبي ﷺ هذا الخطاب العقلي المبني على الحجة والبيان ومن ذلك ما ابتدأ به خطابه ﷺ للأنصار: (ألم آتكم ضلالا فهداكم الله؟ وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟). وحتى يمحو كل ما يمكن أن يتسبب في نفوسهم من المآخذ على رسول الله ﷺ فقد صارحهم إلى أبعد حد عندما كشف لهم ما يمكن أن يختلج في نفوسهم فقال لهم: (ألا تحبوني يا معشر الأنصار؟ ... أما والله لو شتمت لقتلتم، فلصدقتم ولصدقتم: أتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فأويناك، وعائلا فأسيناك). ثم بعد ذلك يكشف لهم السبب الحقيقي الذي غاب عن أذهانهم، والذي لأجله فضل به بعض الناس بهذه الغنائم عن غيرهم، فقال: (أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟).

2. أسلوب عرض الحقائق: وهو أن الرسول ﷺ كان صريحا وصادقا. كيف لا وهو رسول الله ﷺ. مع الأنصار عندما يذكرهم بما مَنَّ الله عليهم من نعم: (ألم آتكم ضلالا فهداكم الله؟ وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟)، وقوله عندما يعترف لهم بفضلهم عليه وعلى الدعوة الإسلامية: (أما والله لو شتمت لقتلتم، فلصدقتم ولصدقتم: أتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فأويناك، وعائلا فأسيناك)، فهذا الأسلوب في عرض الحقائق كما هي كان له تأثير عظيم في نفوس الأنصار، ولذلك لم يسعهم إلا الإقرار بصدق الحقائق التي عرضت عليهم وصوابها ولم يعترضوا على شئ منها، ويؤيد ذلك قولهم: ( بلى الله ورسوله أمَّنُّ وأفضل، وقولهم: ) رضينا برسول الله قسما وحظا ).

3 . أسلوب تحويل الانتباه: كان اهتمام الأنصار في هذه الحادثة مركزا على تفضيل الرسول ﷺ . في توزيعه للغنائم . لبعض العرب من مكة، وهو الأمر الذي حَزَّ في نفوسهم، فأراد رسول الله ﷺ توجيه انتباههم إلى اكتسابهم ما هو أفضل من الغنائم، وأعظم من الاشتغال بأعراض دنيوية زائلة، ألا وهي نعمة الإيمان التي هداهم الله إليها بعد أن كانوا ضلَّالًا، ونعمة الغنى بعد أن كانوا فقراء، ونعمة الأخوة بعد أن كانوا أعداء، ثم بيَّن لهم أن أعظم مكسب فاز به الأنصار وهو رجوع النَّبِيِّ ﷺ معهم، وتفضيله لهم عن سائر النَّاس .

وبذلك رجع الأنصار عما كانوا عليه من الاهتمام بشأن الغنائم وما تعلق بها إلى الرضا بما أَرَادَهُ رسول الله ﷺ لهم من تعلق همتهم بإيمانهم وأخوتهم واستحضار محبتهم لرسول الله ﷺ وخدمتهم لدينهم ودعوتهم، وإعلاء شأن دينهم وعقيدتهم، وأن لا يفسدوا ماضيهم في الجهاد والتضحية في سبيل الله لأجل لعاة تألف بها رسول الله ﷺ قلوب بعض ضعفاء الإيمان، فلما استحضر الأنصار كل ذلك، بكوا حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: (رضينا برسول الله ﷺ قسما وحظا).

### الفرع الثالث: الموقف من المخلفين

وقعت حادثة المخلفين عقب غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة، "وكانت هذه الغزوة - لظروفها الخاصة بها - اختبارا شديدا من الله تعالى، امتاز به المؤمنون من غيرهم. كما هو دأبه تعالى في مثل هذه المواطن، حيث يقول: (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ<sup>1</sup>) فقد خرج لهذه الغزوة كل من كان مؤمنا صادقا، حتى صار التخلف أمانة على نفاق الرجل، فكان الرجل إذا تخلف وذكره لرسول الله ﷺ قال لهم: ((دعوه، فإن يكن فيه خير سيلحقه الله بكم، وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم منه))، فلم يتخلف إلا من حبسهم العذر، أو الذين كذبوا الله ورسوله من المنافقين، الذين قعدوا بعد أن استأذنوا للقعود كذبا، أو قعدوا ولم يستأذنوا رأسا.<sup>2</sup> نعم كان هناك ثلاثة نفر من المؤمنين الصادقين تخلفوا من غير مبرر. وهم الذين أبلاهم الله، ثم تاب عليهم.

<sup>1</sup> سورة آل عمران، الآية: 179

<sup>2</sup> المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 440

"وأما نفر الثلاثة من المؤمنين الصادقين- وهم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية- فاختاروا الصدق، فأمر رسول الله ﷺ الصحابة ألا يكلموا هؤلاء الثلاثة، وجرت ضد هؤلاء الثلاثة مقاطعة شديدة، وتغير لهم النَّاس، حتى تنكرت لهم الأرض، وضاعت عليهم بما رحبت، وضاعت عليهم أنفسهم، وبلغت بهم الشدة أنهم بعد أن قضوا أربعين ليلة من بداية المقاطعة أمروا أن يعتزلوا نساءهم، حتى تمت على مقاطعتهم خمسون ليلة، ثم أنزل الله توبتهم (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاعَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، وَضَاعَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا، إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)<sup>1</sup>.

وفرح المسلمون، وفرح الثلاثة فرحا لا يقاس مداه وغايته، فبشروا وأبشروا واستبشروا وأجازوا وتصدقوا، وكان أسعد يوم من أيام حياتهم.<sup>2</sup>

ويظهر موقف الرأى العام جليا في هذه الحادثة لما تجند النَّاس جميعا في موقف واحد أثناء مقاطعة المتخلفين الثلاثة عن غزوة تبوك إذعانا لأمر رسول الله ﷺ وتربية لهم على سلوكهم المخالف لهديه، وهو أيضا تربية للأمة جميعا .

إنَّ "الرأى العام في الإسلام حين يخاصم ويقاطع هدفه الإصلاح والعلاج، لا التشهير والهدم، وهذا ما يميزه عن المجتمعات المادية، فالثلاثة الذين خُلفوا عن الجهاد بغير عذر وأمر الرسول ﷺ الأمة بمقاطعتهم واستعمل رسول الله ﷺ سلاح الرأى العام، هذا وسيلة صالحة لإبرار أثر التخلف عن الجهاد على الأمة، وقيام الأمة جميعها بواجب المقاطعة، حتى أقارب المقاطع وزوجه يقاطعونه.

حتى إذا حققت المقاطعة ثمرتها التربوية للمتخلفين خاصة، وللأمة عامة نزل الحكم من السماء بإنهاء المقاطعة والتوبة على الذين تخلفوا وتابوا وأنابوا.<sup>3</sup> ، فالرأى العام هنا وسيلة تربوية لأفراد المجتمع الذين أخلوا بواجباتهم أو أخلوا بمبادئهم أو قيمهم.

### المطلب الثالث: نماذج نفسية واجتماعية

<sup>1</sup> سورة التوبة، الآية: 118

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 440

<sup>3</sup> عبد اللطيف حمزة، الإعلام في صدر الإسلام، مرجع سابق، ص 50

## الفرع الأول: المحبة الخالصة أساس نجاح القيادة

كان سكان المدينة بكل أطياهم رجالا ونساء وأطفالا ينتظرون بكل شوق قدوم رسول الله ﷺ المدينة، وتجند الرأى العام كله لاستقباله في ثنية الوداع، وهذا الشوق والانتظار يدل على مدى الحب الوارف لرسول الله ﷺ الذي يغمر قلوبهم، ويدل على ذلك أنه لما دخل عليه الصلاة والسلام المدينة "التفّ من حوله الأنصار كل يمسك زمام راحلته يرجو النزول عنده فكان ﷺ يقول لهم: (( دعوها فإنها مأمورة ))، فلم تزل راحلته تسير في فجاج المدينة وسككها حتى وصلت إلى مربد لغلّامين يتيمن من بني النجار أمام دار أبي أيوب الأنصاري، فقال النبيّ ﷺ:

(( ههنا المنزل إن شاء الله )) . فجاء أبو أيوب فاحتمل الرحل إلى بيته، وخرجت ولائد بني النجار . فيما يرويه ابن هشام . فراحا بمقدم النبيّ ﷺ، وجواره هن، وهن ينشدن:

نحن جوار بني النجار يا حبذا محمد من جار

فقال عليه السلام هن: (( أحببيني؟ ))، فقلن: نعم، فقال: (( الله يعلم أن قلبي يحبكن ))<sup>1</sup>

يقول الشيخ البوطي: "وتكشف لنا الصورة التي استقبلت بها المدينة المنورة رسول الله ﷺ عن مدى المحبة الشديدة التي كانت تفيض بها أفئدة الأنصار من أهل المدينة رجالا ونساء وأطفالا. لقد كانوا يخرجون كل يوم إلى ظاهر المدينة ينتظرون تحت لفح الشمس وصول رسول الله ﷺ إليهم، حتى إذا هبّ النهار ليدير، عادوا أدراجهم ليعودوا إلى الانتظار صباح اليوم الثاني، فلما طلع الرسول عليهم، جاشت العواطف في صدورهم وانطلقت ألسنتهم تهتف بالقصائد والأهازيج فرحا لمراه عليه الصلاة والسلام ومقدمه عليهم، ولقد بادهم رسول الله ﷺ المحبة ذاتها."<sup>2</sup>

من العوامل الأساسية التي تجعل الرأى العام يتجند خلف قائده هو المحبة العارمة والتقدير والاحترام الكبيران له، فهذه العاطفة القلبية تسهل عليه جمع الناس على أهداف سامية، كما تسهل عليه توجيههم وتربيتهم على المثل العليا لأنه يكون بمثابة القدوة الذي لا يرد قوله، ولا يسقط فعله، طبعا لن يكون أي قائد في مرتبة رسول الله ﷺ، لكن لن يستغني أي زعيم للرأى العام عن هذا الحبل العاطفي، إذا أراد النجاح في مهمته.

<sup>1</sup> البوطي، فقه السيرة النبوية، مرجع سابق، ص 199

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 204 . 205

وإن هذا الحب الصادق والتفاني من قبل المؤمنين والمؤمنات لرسول الله ﷺ هو الذي جعل الرأى العام في المدينة يلتف حوله ﷺ ويحدث المعجزات، وهذه بعض النماذج من بعض المؤمنين التي تكشف لنا عمق المودة التي يكنُّها الرأى العام لقائده وزعيمه رسول الله ﷺ:

. لما فرغ رسول الله ﷺ من دفن شهداء أحد وانصرف راجعا إلى المدينة، لقيته في الطريق حمنة بنت جحش، فنعي إليها أخوها عبد الله بن جحش، فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب، فاسترجعت واستغفرت، ثم نعي لها زوجها مصعب بن عمير، فصاحت وولولت، فقال رسول الله ﷺ: (( إن زوج المرأة منها لمكان ))<sup>1</sup>

. "ومر رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها بأحد، فلما نعوا لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير إليها، حتى إذا رآته قالت: كل مصيبة بعدك جلل - تريد صغيرة"<sup>2</sup>

. "وجاءت أم سعد بن معاذ تعدو نحو رسول الله ﷺ وهو على فرسه وسعد بن معاذ أخذ بلجامها. فقال له سعد: يا رسول الله أمي؟ فقال ﷺ: (( مرحبا بها ))، فوقف لها، فدنت حتى تأملت رسول الله ﷺ، فعزاها رسول الله ﷺ بابنها عمرو بن معاذ. فقالت: أما إذا رأيتك سالما فقد اشتويت المصيبة: أي استقلتيتها؛ ودعا رسول الله ﷺ لأهل من قتل بأحد: أي بعد أن قال لأم سعد: (( يا أم سعد أبشري، وبشّري أهلهم أن قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعا، وقد شفّعوا في أهلهم جميعا ))، قالت: رضينا يا رسول الله، ومن يبكي عليهم بعد هذا؟! ثم قالت: يا رسول الله ادع لمن خلفوا. فقال: (( اللهم أذهب حزن قلوبهم، واجبر مصيبتهم، وأحسن الخلف على من خلفوا ))..."<sup>3</sup>

تلك نماذج واقعية تترجم الحب الأسطوري بين القائد ورعيته، حتى فاق حبه الولد والزوج والأب والناس أجمعين، ذلك الحب الذي استطاع به رسول الله ﷺ أن يجمع المسلمين على كلمة سواء، ويوحد صفوفهم ومواقفهم أمام نوائب الدهر وتصاريف الزمان إلى أن بلغ بهم برّ الأمان.

<sup>1</sup> انظر ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق، ج2، ص 98

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ج2، ص 99

<sup>3</sup> علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين، السيرة الحلبية، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون،

ج2، ( ط: 02، بيروت، دار الكتب العلمية، 1427هـ)، ص 345

## الفرع الثاني: رفع المعنوبات

صادف إبّان الهجرة أن كانت المدينة موبوءة (بحمّى) المَلاريا، فلم تمض أيام حتى مرض بها أبو بكر، وبلال.

"واستوخم الصحابة جو المهجر الذي أوهم، ثم أخذت تستيقظ غرائز الحنين إلى الوطن المفقود. وكان النَّبِيُّ ﷺ يصبر الصحابة على احتمال الشّدائد، ويطالبهم بالمزيد من الجِدِّ والتضحية لنصرة الإسلام"<sup>1</sup>، وقال: (( لا يصبر على لأواء المدينة وشدّتها أحد من أمّتي إلا كنت له شفيعا يوم القيامة أو شهيدا. ))<sup>2</sup>.

"وهذا ضرب من جمع القلوب على المهجر الجديد، حتى تطيب به، وتنفر من مغادرته. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قدم النَّبِيُّ ﷺ عليه الصَّلَاة والسلام المدينة؛ وعك أبو بكر وبلال، فدخلت عليهما فقلت: يا أبت كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟ وكان أبو بكر إذا أخذته الحمّى يقول:

كلّ امرئ مصبّح في أهله ... والموت أدنى من شرك نعله"<sup>3</sup>

قالت: فأخبرت رسول الله ﷺ بذلك فقال: (( اللهم حبّب إلينا المدينة، كحبّنا مكة أو أشد، اللهم وصحّحها، وبارك لنا في مدّها وصاعها، وانقل حمّاه، واجعلها بالجحفة ))<sup>4</sup>. وعن أنس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (( اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة ))<sup>5</sup>.

وعن أبي هريرة، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى بأول الثمر قال: «اللهم بارك لنا في مدينتنا، وفي ثمارنا، وفي مدّنا، وفي صاعنا، بركة مع بركة، اللهم إن إبراهيم عبدك ونبّيك

<sup>1</sup> محمد الغزالي، فقه السيرة، مرجع سابق، ص 183

<sup>2</sup> أخرجه الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد، مرجع سابق، ج15، مسند المكثّرين من الصحابة، مسند أبي هريرة. رضي الله عنه،

ص 84، بتريقيم 9161

<sup>3</sup> محمد الغزالي، فقه السيرة، مرجع سابق، ص 184

<sup>4</sup> أخرجه الإمام أحمد، المرجع نفسه، ج40، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق. رضي الله عنها، ص 332،

بتريقيم: 24288

<sup>5</sup> أخرجه البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج3، كتاب فضائل المدينة، باب المدينة تنفي الخبث، ص 23،

بتريقيم: 1885

وخليلك، وإني عبدك ونبئك، وإنه دعاك لمكة، وأنا أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة، ومثله معه» ثم يعطيه أصغر من يحضر من الولدان. <sup>1</sup>

"بهذا التشويق والإقبال ارتفع الروح المعنوي بين المسلمين، واتجهت القوى الفتية إلى البناء، متناسية الماضي وما يضم من ذكريات، إن الهجرة الخالصة لا تعود في هبة، ولا ترجع عن تضحية، ولا تبكي على فائت، بل هي كما قال الشاعر:

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد ... إليه بوجه آخر الدهر تقبل <sup>2</sup> وبمثل هذه الروح العالية ثبتت أقدام المسلمين واستقر بهم الحال في المدينة.

### الفرع الثالث: إثارة الرأي العام الإسلامي

بيننا في المبحث الثاني من هذا الفصل أن النبي ﷺ منذ دخوله المدينة المنورة حرص أن يبني علاقة طيبة مع اليهود لذلك أبرم معهم معاهدة تراعي حسن الجوار وتؤكد التعاون والتآزر فيما بينهم وبين المسلمين ومما جاء في هذه المعاهدة من بنود: "وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم... وإن النصر للمظلوم... وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله ﷺ... وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم" <sup>3</sup>

إن البنود التي وردت في هذه المعاهدة كفيلة بأن تبني مجتمعا قويا متماسكا مهما تنوعت عقائده أو ثقافته، مجتمعا متعاوننا ومتآزرا أمام الأحداث المصيرية التي تواجهه، وبالضرورة حينئذ فإنه لا يتولد عنه إلا رأي عام متوافق في موقفه أمام الأعاصير والأحداث، أوفي حالة نشوب خلاف أو خصومات بين أفرادها وفئاته، وخاصة أن المعاهدة بينت أن المرجعية لله ورسوله ﷺ في حال حدوث أي اشتجار بين أهل الصحيفة، وأنه لا نصرة للظالم من أي طرف كان. لكن عصبية اليهود وحبهم لذواتهم وتفضيلهم لجنسهم بالإضافة إلى حقدهم الدفين جعلهم يتناسون ويتجاوزون ما كان بينهم وبين المسلمين من عهود ومواثيق.

<sup>1</sup> أخرجه مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج2، كتاب الحج، باب فضل المدينة، ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة، وتبين تحريمها، وتحريم صيدها وشجرها، وتبين حدود حرمها، ص 1000، بترقيم: 1373

<sup>2</sup> محمد الغزالي، فقه السيرة، مرجع سابق، ص 183 - 185 بتصرف

<sup>3</sup> انظر ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق، ج1، ص 503 304

في منتصف شوال من السنة الثانية للهجرة حدث أن "امرأة من العرب قدمت بجلب لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوائها، فضحكوا بها، فصاحت. فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهودياً، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم على اليهود، فعضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع.<sup>1</sup> فكانت هذه الحادثة التي تنبئ عن دناءة معدن اليهود سببا لحدوث غزوة بني قينقاع وجلائهم من المدينة المنورة.

إن هذه الحادثة تدل على مدى الحقد الدفين في صدور اليهود على المسلمين، وأنه لم يلبث طويلاً حتى تكشف هذا الحقد والبغض في هذه الصورة.

إنه مهما أخفى اليهود حقدهم وعصبيتهم فالأحداث كفيلاً أن تظهره وتجليه للعيان، لأن الحقد لا يصبر على حقه ولا يتمكن من حبس مكونات نفسه وضغائن قلبه، وقد كانت كل مرة تظهر منهم بعض شراراته للمسلمين ولكن ليس بهذه الحدة، ومن ذلك أنه بعد غزوة بدر جمع رسول الله ﷺ يهود بني قينقاع في سوقهم ثم حذرهم من مغبة ما يتبادر منهم وإلا فإنه سيحل بهم ما حل بقريش فقال لهم: "احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة، وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم، قالوا: يا محمد، إنك ترى أننا قومك! لا يعزتك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربتناك لتعلمن أننا نحن الناس."<sup>2</sup>

رغم هذا الرد الوقح منهم على النبي ﷺ إلا أن الرأي العام المسلم صبر عليهم، وعاملهم باللطف والإحسان عسى أن يتوبوا أو يتعظوا لكن دون جدوى، بل زادهم هذا الحلم والأناة غرورا وصلفاً إلى أن وقع حتفهم بأيديهم.

ومما يلاحظ في هذه الحادثة تميز الرأي العام الإسلامي في المدينة عن غيره من اليهود والنصارى حتى في المظهر، وهو الأمر الذي يظهر جلياً في لباس المرأة المسلمة التي دخلت سوق اليهود، وهو رمز التعفف والظهر والطاعة المطلقة لله تعالى ورسوله، وأن المجتمع المسلم يدين بهذا المظهر لله تعالى، وكل فرد فيه يشعر أنه معنيٌ بحماية هذا المظهر، وأن أي انتهاك له هو انتهاك حرمة المسلمين جميعاً،

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ج2، ص 48

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ج2، ص 47

ومن هذا المنطلق قامت حمية المسلم الذي استجاب لصرخة المسلمة لما كُشفت سوأها وانقضت على اليهودي المعتدي عليها فقتله. وهذا لا شك هو شعور كل مسلم غير على دينه وقيمه وأخلاقه، وهو رد فعله الطبيعي اتجاه ما يرى من اعتداء وظلم. وهذا عنصر أساسي يميز أفراد الرأي العام الإسلامي عن غيرهم.

ومما يدل على الموقف الموحد للمسلمين من انتهاكات اليهود وخيانتهم؛ أن عبادة بن الصامت . رضي الله عنه . كان حليفا لبني قينقاع، فلما وقع منهم ذلك مشى إلى رسول الله ع وقال له: ( إنني أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم )<sup>1</sup>.

إن هذه الحادثة كانت السبب المباشر الذي استنفر المسلمين جميعا ضد يهود بني قينقاع، ومحاصرتهم في حصونهم مدة من الزمن ثم جلائهم عن المدينة " ولو أن اليهود احترموا ما بينهم وبين المسلمين من عهود ومواثيق، لما وجدوا من المسلمين من يسئ إليهم بكلمة أو يزعجهم في مسكن أو مقام، ولكنهم أبوا إلا شرًا فكان مرد الشر على نفوسهم."<sup>2</sup>

وعلى إثر حصار بني قينقاع وما تمخض عنه من أحداث نزل قوله تعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ )<sup>3</sup> . نزلت هاتان الآيتان ردًا على المنافقين الذين حاجوا عن أوليائهم من اليهود ولم يرضوا بحكم الله ورسوله، فنزلت الآيتان فيهما تحذير بل وتهديد بأن من يتولى اليهود فإنه منهم .

يقول سيد قطب . رحمه الله .: " وتشير نصوص هذا الدرس إلى طريقة المنهج القرآني في تربية الجماعة المسلمة وإعدادها لدورها الذي قدره الله لها كما تشير إلى مقومات هذا المنهج والمبادئ التي يريد تقريرها في النفس المسلمة وفي الجماعة المسلمة في كل حين. وهي مقومات ومبادئ ثابتة، ليست خاصة بجيل من هذه الأمة دون جيل. إنما هي أساس النشأة للفرد المسلم وللجماعة المسلمة في كل جيل. " <sup>4</sup> ثم بين . رحمه الله حقيقة هذا المنهج المتميز فيقول: "إن هذا القرآن يربي الفرد المسلم على

<sup>1</sup> محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية، مرجع سابق، ص 248

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 252

<sup>3</sup> سورة المائدة، الآيات: 51 . 52

<sup>4</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج2، ص 907

أساس إخلاص ولاءه لربه ورسوله وعقيدته وجماعته المسلمة، وعلى ضرورة المفاصلة الكاملة بين الصف الذي يقف فيه وكل صف آخر لا يرفع راية الله، ولا يتبع قيادة رسول الله ولا ينضم إلى الجماعة التي تمثل حزب الله.<sup>1</sup>

ثم يبين - رحمه الله - حقيقة المفاصلة بين الرأي العام الإسلامي وغيره من الرأي العام الكافر، وأنه الأمر الأساسي الذي ينبغي أن تنطلق منه مواقف المسلم اتجاه أعداء الإسلام سواء أكانوا في داخل المجتمع المسلم أو خارجه، وهو الدافع الأساسي في موالاته للمؤمنين وتحديد مواقفه، وأهدافه في المجتمع، فيقول: " ثم يربي القرآن وعي المسلم بحقيقة أعدائه، وحقيقة المعركة التي يخوضها معهم ويخوضونها معه. إنها معركة العقيدة. فالعقيدة هي القضية القائمة بين المسلم وكل أعدائه.. وهم يعادونه لعقيدته ودينه، قبل أي شيء آخر، وهم يعادونه هذا العداء الذي لا يهدأ لأنهم هم فاسقون عن دين الله، ومن ثم يكرهون كل من يستقيم على دين الله: ( قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْفَمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ، وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا، وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ. وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ)<sup>2</sup> فهذه هي العقدة وهذه هي الدوافع الأصيلة! وقيمة هذا المنهج، وقيمة هذه التوجيهات الأساسية فيه، عظيمة.<sup>3</sup>، ثم يبين رحمه الله أين تكمن قيمة هذا المنهج فيقول: "فإخلاص الولاء لله ورسوله ودينه وللجماعة المسلمة القائمة على هذا الأساس، ومعرفة طبيعة المعركة وطبيعة الأعداء فيها.. أمران مهمان سواء في تحقيق شرائط الإيمان أو في التربية الشخصية للمسلم، أو في التنظيم الحركي للجماعة المسلمة.<sup>4</sup>

وإنه لا يمكن أن تتميز مواقف الرأي العام المسلم اتجاه الأعداء الذين يكيدون للإسلام والمسلمين إلا إذا كانت هناك مفاصلة نفسية كاملة بينهم وبين معسكرات الكفر، " فالذين يحملون راية هذه العقيدة لا يكونون مؤمنين بها أصلاً، ولا يكونون في ذواتهم شيئاً، ولا يحققون في واقع الأرض أمراً ما لم تتم في نفوسهم المفاصلة الكاملة بينهم وبين سائر المعسكرات التي لا ترفع رايتهم، وما لم يتمحص ولاؤهم لله ورسوله ولقيادتهم الخاصة المؤمنة به، وما لم يعرفوا طبيعة أعدائهم وبواعثهم وطبيعة المعركة

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ج2، ص 907

<sup>2</sup> سورة المائدة، الآية: 59

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج2، ص 908

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ج2، ص 908

التي يخوضونها معهم، وما لم يستيقنوا أنهم جميعاً إلب عليهم، وأن بعضهم أولياء بعض في حرب الجماعة المسلمة والعقيدة الإسلامية على السواء.<sup>1</sup> وهذا هو سر تميز الرأي العام المسلم عن غيره.

وفي الختام تعتبر المرحلة المدنية المرحلة المثالية للمجتمع الإسلامي، وبالتالي فإن الرأي العام فيه يعكس جزءاً من الحياة المثالية في هذه المرحلة، ولذلك تطرقنا إلى جملة من الأحداث في هذه المرحلة التي تشكل حولها الرأي العام، أو قامت بتوجيهه وبلورته حول موقف معين.

فكانت البداية من مرحلة تأسيس المجتمع الإسلامي والتي تتمثل في معرفة واقع الرأي العام في المدينة عند الهجرة الذي ينقسم إلى ثلاثة أقسام؛ المسلمون، والمشركون، واليهود. ثم بناء المسجد النبوي الذي كان بمثابة الجامعة التي يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته، وفيه تتبلور مواقفهم حول جميع الأحداث التي يمرون بها، ثم القاعدة الأساسية التي قام عليها المجتمع الإسلامي ألا وهي المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ثم إقامة معاهدة تحالف مع اليهود ليكونوا أمة واحدة مع المسلمين في كيان اجتماعي وسياسي واقتصادي موحد.

أما الغزوات التي قام بها المسلمون في هذه المرحلة فكانت بمثابة الأوتاد التي تشد أركان الخيمة ضد متقلبات الزمن وأعاصيره، فقد كانت هذه الغزوات بدءاً من بدر حتى فتح مكة عبارة عن دفاعات قوية ضد كل المخاطر الخارجية التي تهدد كيان الدولة الإسلامية بالمدينة، ولذلك نجد أن الرأي العام كان متجنداً في كل واقعة غير متردد أو متخاذل. ما عدا ما كان من المنافقين في بعض المواقف، بل حريصاً كل الحرص على النصر، وينعكس ذلك من خلال روح البذل والتفاني، والحرص على النصح وتقديم المشورة في هذه الوقائع بما يراه مناسباً.

ولقد كان موقف الرأي العام من اليهود و المنافقين متميزاً، وخاصة من اليهود الذين لم يحترموا العهود والمواثيق المبرمة معهم، فكان جزاؤهم الجلاء والفصل عن المجتمع، وأما المنافقون ولأنهم لم يجاهروا بالكفر والعداوة. رغم ما قاموا به من مواقف عدائية واستفزازية كحادثة الإفك. فصبر عليهم المسلمون حتى اندثروا وزالوا. وهناك جملة أخرى من الحوادث التي وقعت في المدينة برز فيها الرأي العام بشكل واضح، حوادث ظهر فيها مدى محبة المسلمين لرسول الله ﷺ والتي تعتبر أساس متين للتلاحم و الانسجام في الرأي العام المدني، وكم كان رسول الله ﷺ يحرص على رفع معنوياته وتقويته، ورغم ذلك

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ج2، ص 908

قد ظهر رأي عام معارض في بعض الحوادث كما في صلح الحديبية أو في حادثة تقسيم الغنائم بعد غزوة حنين، وكيف عمل رسول الله ﷺ على توجيهه و تصحيح مساره. ويظهر جليا موقف الرأي العام الموحد في المدينة في مقاطعة المخلفين عن غزوة تبوك إلى أن نزلت توبتهم، فقد حرص القرآن الكريم على تربية الرأي العام وتوجيهه من هذه الحادثة وغيرها، مثل تهيئته للامتناع عن شرب الخمر التي تمت عبر أربع مراحل، ثم كيف غيّر القرآن نظرة الرأي العام لقضية التبي من كونها عادة مستحكمة إلى ظاهرة محرمة تنافي الشرع والدين. أما حادثة المرأة التي كشف اليهود عورتها فهي تكشف لنا مدى غيرة الرأي العام الإسلامي على الأعراض و الأخلاق، وهو الأمر الذي عجل بجلاء يهود بني قينقاع وفصلهم عن المجتمع الإسلامي.

الخاتمة

من خلال ما تقدم من استعراض نخلص إلى النتائج الآتية:

1 . إن طبيعة الإسلام العالمية تفرض على المسلمين الاهتمام بما يدور حولهم من أحداث وبما يصنع من رأي عام عالمي لأجل التأثير فيه أو تغييره لصالح قضايا المسلمين، أو الوقاية منه وتحسين الشعوب المسلمة من تأثيراته السلبية .

2 . الرأي العام في الإسلام يشترك مع الرأي العام في المجتمعات الإنسانية الأخرى في كونه:

. رأي أو موقف الجماعة حول قضايا معينة يقوم حولها الجدل والحوار

. أنه يتأثر بجملة من العوامل النفسية والاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية .

. أنه يؤثر على الواقع، وله ثمرته ونتائجه الآنية أو الدائمة في واقعه الذي يظهر فيه .

3 . إن الرأي العام في الإسلام يتميز عن غيره بجملة من المميزات أهمها :

. أن الرأى العام الإسلامي لا تعلق إرادته بإرادة الله القاهر فوق عباده، ولا تتجاوز سلطاته سنة رسوله ﷺ، وبالتالي لا سيادة للرأي العام المخالف لأحكام الشرع أو الأخلاق العامة.

. أن حكم الأغلبية لا يرجح جانب الصواب دائما في الرأى العام الإسلامي إلا ما كان متوافقا وأحكام الشرع.

. إن الوحدة الأساسية للرأى العام الإسلامي هي الإنسان، الذي حدّد الإسلام طريقه في الأرض والكون، و جعل منه نورا ربانيا يسعى في الأرض بناء وعمرانا .

. إن المصدر الحقيقي الذي يعوّل عليه في تشكيل الرأى العام الإسلامي أو تغييره أو التأثير فيه هو الوحي ( القرآن و السنة ) وما ينبثق عنه من نظم وقيم ومبادئ ومفاهيم وقواعد سلوكية فردية كانت أو جماعية... والتي يسهل التوافق عليها بين جميع أفراد المجتمع المسلم ، وحتى الذي لا يخضع في سلوكه ومواقفه لهذه المبادئ فإنه لا ينكرها عقليا أو عاطفيا ، وبالتالي إذا أصبحت أمرا واقعا لا يمكنه معارضتها جهرا ، وهو المطلوب في تشكيل الرأى العام .

. إن الرأي العام الإسلامي يتميز بقيمة الإجماع حول موقف أو رأي معين اتجاه بعض القضايا ذات البعد الشرعي، وهو الأمر الذي لا يوجد في المجتمعات الأخرى، بل أن هناك من ينكر وجود إجماع في المجتمع البشري، كما هو الحال بالنسبة ل: "دوفيفات".

. الحرية من أهم الخصائص التي يركز عليها الرأي العام الإسلامي، و لا يمكن أن يكون الإكراه بقوة السلطان أو المال أو السلاح عاملاً لظهور رأي عام يعول عليه، و أن خضوع الناس لبعض الوقت للأمر الواقع لا يعبر بالضرورة عن رأي عام حقيقي .

. إن النخبة الحقيقية التي يدين لها المجتمع ويخضع لها الرأي العام ليسو أرباب المال أو السلطان، بل العلماء الصادقون العاملون.

. اعتماد الأسلوب اللين والموعظة الحسنة والبعد عن الغلظة والعنف وسوء الأخلاق في التعبير عن الرأي.

4 . الرأي العام المحلي في المجتمعات المسلمة تتأثر بالرأي العام العالمي والإقليمي، وتلعب وسائل الإعلام والاتصال الدور الأهم في ذلك .

5 . إن الوسائل التقنية الحديثة محايدة وتؤدي ثمارها الإيجابية إذا أحسن المسلمون استعمالها في إدارة الرأي العام المحلي أو العالمي حول قضاياهم وهمومهم .

6 . كلما كانت القيم الإسلامية سائدة والشرعية مهيمنة في المجتمع، كلما كان للرأي العام دور أكبر ، لأن الإسلام يربي الفرد والجماعة على روح المسؤولية والمشاركة الإيجابية من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والشورى والتعاون... إلخ، وغيرها من القيم الاجتماعية والسياسية.

7 . إن الرأي العام في الإسلام بإمكانه توجيه الأحداث بما يتوافق وروح الإسلام وأحكامه لا يجيد عنها، وبذلك يحقق للأمة استقرارها وتطورها في إطار المنهج الإسلامي.

8 . إن مراعاة العناصر الأساسية المكونة للرأي العام الإسلامي، مع حسن استغلال وسائل الاتصال الحديثة وفق منهج علمي حديث، كفيل بأن يؤثر في المحيطين الإقليمي والعالمي لتحقيق

الغاية السامية التي خلق الله تعالى لأجلها الإنسان، وهي إخلاص العبودية له وعمارة الأرض و تحقيق السعادتين في الدنيا و الآخرة .

تلك هي بعض النتائج التي توصلنا إليها من خلال عناصر البحث، ولا ندعي أننا أصبنا الكمال أو التمام لكن حسبنا الاجتهاد في التسديد والمقاربة .

و في الأخير نقول :

الرأي العام شجرة من أشجار التاريخ، تُثمرُ حينما يأتيها الماء العذب ، ولكنّ الماء ليس كل شيء في الثمرة، فهي تتقاسمه مع شيء آخر اسمه النوع ( أو الأصل ) ... فأصل الشجرة له دخل في تركيب الثمرة، وبدون هذين المتناصفين . الماء والنوع ( أو الأصل ) . لا يمكن للشجرة أن تُجني ثمارها أبداً . في الإسلام هناك الماء ، وهناك النوع ( أو الأصالة ) ... وأصالة الإسلام تكفيه كي يكون راسخاً في الأرض ، شامخاً في السماء ... أما الماء ، فهو بحاجة إلى من يمد يده فيسقي به شجرة الحياة ، لتورق من جديد ، وتثمر من جديد .

و الله تعالى ولي التوفيق .

# التوصيات

رغم الجهد الذي بذل في هذا البحث والنتائج المتوصل إليها، إلا أننا لا ندعي بلوغ تمام النهاية في هذا الموضوع، بل إن هناك جوانب كثيرة مازالت تحتاج إلى جهود أخرى لتسليط الضوء عليها وإتمامها، ولذلك نوصي طلبة الدعوة والإعلام بصورة خاصة، وجميع الأساتذة

والمهتمين بالدراسات الإعلامية الإسلامية بما يأتي:

. الاهتمام بدراسة الجانب التطبيقي للرأي العام الإسلامي وفق آليات حديثة.

. إبراز خصوصيات الرأي العام الإسلامي بدقة أكبر وتفصيل وعمق وفق منهج علمي رصين.

. أن تتناول الدراسات في الرأي العام الإسلامي المراحل التاريخية في عصر الخلفاء الراشدين وما بعده، وتتبع التغيرات التي طرأت على الرأي العام في المجتمعات الإسلامية لبلورة نظريات تصلح أن تكون قواعد لانطلاق بحوث علمية جادة في هذا المضمار.

. هناك حوادث تاريخية في المرحلة المدنية تزيد من إبراز ملامح الرأي العام الإسلامي في عهد النبوة تحتاج إلى مزيد من تسليط الضوء عليها، لم تتمكن من إدراجها في البحث بسبب ضيق الوقت ومحدودية الموضوع، نوصي طلبة الاختصاص بزيادة الاهتمام بها.

كما نوصي مسؤولي إدارة معهد العلوم الإسلامية بالوادي:

. بتوفير المصادر والمراجع المتخصصة في الرأي العام بصورة عامة، والرأي العام الإسلامي بصورة خاصة، لأنه لا غنى لطلبة الدعوة والإعلام عنها في مثل هذه الدراسات.

. العمل على تأسيس مخبر علمي يهتم بدراسة الرأي العام وقياسه وتحليله وفق منهج حديث يشرف عليه أساتذة مختصون.

كما نوصي المراكز والجمعيات والمؤتمرات وغيرها بمختلف طبعاتها واختصاصاتها بما يأتي:

. الاهتمام بدراسة الرأي العام وتوجهاته، إذ هو الموجه الحقيقي لدفة الأحداث اليومية في كثير من الأحيان، في حين أنه بمثابة البوصلة التي يعرف بها توجهات الجماهير.

. أن يعتمدوا في توجههم للرأي العام على الدراسات العلمية الموثقة المبينة على البيانات ونتائج  
المخابر المتخصصة، كي لا تكون أعمالهم مجرد ردود عاطفية تهدم أكثر مما تبني.

نوصي رجال الإعلام والمسؤولين في السلطة على السواء بما يأتي:

. اعتماد المعايير الإسلامية في توجيه الرأي العام، لأنه كلما كان الرأي العام متشعبا بالقيم  
الإسلامية، كلما كانت مواقفه أكثر نفعاً وأوفر مردودية، وأكثر تقوية للمؤسسات القائمة سواء  
أكانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، والتي هي العامل الأساس للاستقرار والنمو.

. الحرص على نشر قيم الحرية التي كفلها الإسلام للجميع في المجتمع الإسلامي، والتي هي المناخ  
الطبيعي لنمو رأي عام سليم يكون بمثابة المؤسسة الشعبية الرقابية على المجتمع وعلى رجال  
السياسة والاقتصاد والثقافة وغيرها...

# الفهارس

## فهرس الآيات القرآنية

رقم الصفحة	رقم الآية	السورة و رقمها	الآية أو شرطها
79	25	البقرة (2)	(وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...)
144 145	142		(سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا...)
24	177		(لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ...).
120	190 193		(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ...)
159	219		(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ...)
51	256		(لا إكراه في الدين...)
75	258		(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ...)
145	285		(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ...)
77	02 . 01		(أَلَمْ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...)
80	04		(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ هُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ...)
09	23	آل عمران (3)	(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ...)
51	35		(إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا...)
75	64		(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ...)
80	91		(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَرَاءً...)
45 ، 60 ، 63	104		(وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ...)
82 ، 62	110		(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...)

43 ، 55 ، 101	159	آل عمران (3)	(فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ...)
48	172		(الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ...)
171	179		(مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ...)
40	01	النساء (4)	(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...)
48	20		(وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ فَنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا...)
159	43		(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ...)
147	51		(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ...)
91	65		(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ...)
72	83		(وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ...)
32	135-136		(يا أيُّها الذين ءامنوا...)
47	140		(وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ...)
38	144		(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ...)
80	167 169		(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ...)
32	171	(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ...)	
95 47	02	المائدة (05)	(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ...)
32	15		(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ...)
178	51-52		(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ...)
38	54		(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ...)
179	59	(5)	

21، 159 160	91. 90		(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْحُمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ ..)
100	100		(قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ...)
42	38	الأنعام	(مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ...)
100	116	(6)	(وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ...)
91	03		(اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ...)
22	59، 61، 60	الأعراف	(لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ..)
21	158	(7)	(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...)
152	159		(وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ...)
100	06.05		(كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ...)
21	09		(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ...)
124	11	الأنفال	(إِذْ يُعَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ ...)
123	11	(8)	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ...)
32	21.20		(وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ...)
108	75		(وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَوْلَٰ مَرَّةٍ ...)
166	13		(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ...)
64	71	التوبة (09)	(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ...)
43، 95	105		(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ...)
25، 123	111	التوبة	(وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ...)
172	118	(09)	(أَوَّلًا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ...)
154	126		

78	111	يوسف (12)	(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ...)
146	36	الرعد (13)	(وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ...)
146	43		(وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا...).
159	67	النحل (16)	(وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا...)
79	97		(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً...)
74 . 74 100 ،	125		(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ...)
87	36	الإسراء (17)	(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...)
165	29	الكهف (18)	(فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ...)
134	71	مريم (19)	(وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا...)
101	44 . 43	طه (20)	(إِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى...)
84	30	الحج (22)	(فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ...)
117	39		(أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ...)
،65 118	41		(الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ...)
45 44	02	النور (24)	(الرَّانِيَةُ وَالرَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ...)
154	11		(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ...)
86 ، 82	13 . 12		(لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا...)
75	46	العنكبوت (29)	(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...)

154	01		(يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ...)
161	05 .04		(وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تَظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ...)
133	12		(وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ...)
69	21		(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...)
133	22	الأحزاب	(وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ...)
36، 99، 91	36	(33)	(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا...)
161، 163	37		(وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ...)
163	48		(وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ...)
163	56		(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا...)
79	74.73	الزمر (39)	(وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا...)
84	28	غافر (40)	(إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ...)
55	38	الشورى (42)	(وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ...)
120	20	محمد(47)	(فَإِذَا أَنْزَلْتُمْ سُورَةَ مُحْكَمَةٍ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ...)
150	15	الفتح	(سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُوهَا...)
150	20	(48)	(وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَائِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُوهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ...)
139	27		(فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا...)
87، 86	06		(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا...)
87	08		(فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ...)
87	12		(اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ...)

24-32، 83، 96 138	13	الحجرات (49)	(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ..)
76	3735	الطور (52)	(أَمْ خُلِيفُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِفُونَ...)
40	18	الحشر (59)	(اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ...)
47	02	الصف (61)	(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا...)
52	08	المنافقون (63)	(يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ...)
39	06	الانفطار (82)	(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ...)
79	11	البروج (85)	(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ...)
39	10.07	الشمس (91)	(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا..)
32	01	الكافرون (109)	(قل يا أيها الكافرون...)

## فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	طرف الحديث
173	أَتَحْبِبُنِي؟...
162	اتق الله في قولك وأمسك عليك زوجك...
177	احذروا من الله مثل ما نزل بقرئش من التَّعْمَةِ...
80	اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط...
122	أشيروا علي أيها النَّاس...
81	أَلَا إِنَّهُ يُنصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ..
168	أَلَا مُجِيبُونِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟...
108 .107	أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ فَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ....
169 .168	أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ....
81	إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهٌ حَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا...
27	إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي - أوقال: أمة محمد ع على ضلالة...
170	إن زوج المرأة منها ليمكن...
133	الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم...
151	انفدُ على رسلك حتى تنزل بساحتهم...
166	إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله...
109	أَوْمٌ وَلَوْ بِشَاةٍ ...
84	آيَةُ الْمَنَافِقِ ثَلَاثٌ...
114	الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة...
165	بلى، فأخبرتكم أنا نأتيه العام؟...
36	تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ
40	تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ...
113 .112	تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ...

114	حَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَحَاهُ الْمُسْلِمَ...
171	دعوه، فإن يكن فيه خير سيلحقه الله بكم....
173	دعوها فإنها مأمورة...
114	الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ...
151	الرأي ما أشرت...
84	سُئِلَ عَنِ الْكِبَائِرِ فَقَالَ: ((الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ...))
11	سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِسَنَةِ عَامَةٍ ...
46	سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب...
123	سيروا و أبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين...
81	عرضت علي الجنة والنار فلم أر كاليوم في الخير والشر...
168	فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحُظَيْرَةِ...
165	فإنك آتية ومطوف به..
138	فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته...
168	فَأَيُّنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟...
49	فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الدُّبَّ الْقَاصِيَةَ...
155	فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه؟...
28	فَمَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ...
144	قِتَالُ الْمُسْلِمِ أَحَاهُ كُفْرٌ، وَسَبَابُهُ فُسُوقٌ...
158	كَيْفَ تَرَى يَا عُمَرُ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتُهُ يَوْمَ قُلْتِ لِي أَقْتُلُهُ...
52	لا بل نحسن صحبته...
113	لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا...
114 . 113	لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا،...
100	لَا تَكُونُوا إِمْعَةً...
113	لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ...
52	لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه...

80	لا يجتمعان في قلب عبدٍ في مثل هذا الموطن...
113	لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقَهُ...
175	لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتي...
151	لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ عَدًّا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَيَّ يَدِيهِ...
116	لَقَدْ بَلَغَ وَعِيدُ قُرَيْشٍ مِنْكُمْ الْمَبَالِغَ...
149	لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْفَعَةٍ...
152	الله أكبر، هلكت خيبر...
173	الله يعلم أن قلبي يحبكن...
175	اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة...
174	اللهم أذهب حزن قلوبهم...
124	اللهم أنجز لي ما وعدتني...
176 . 175	اللهم بارك لنا في مدينتنا، وفي ثمارنا، وفي مدنا...
175	اللهم حبب إلينا المدينة، كحبنا مكة أو أشد...
138	اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش...
132	اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والأنصار...
122	اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والأنصار...
117	لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ...
113 . 96	الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا...
79	ما من عبدٍ قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة...
114	مَا مِنْ مُسْلِمٍ كَسَا مُسْلِمًا ثَوْبًا...
71	مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ...
65 . 45 . 26 66 .	مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا...
50 . 47 . 27	مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ...
113	الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ...

113	الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنْ اشْتَكَى عَيْنُهُ، اشْتَكَى كُلَّهُ....
65 . 47 . 26	مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيَعْبِرْهُ ...
40	مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً...
49	مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ...
123	هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله...
173	ههنا المنزل إن شاء الله...
65	والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر...
114	وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الحَطِيبَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ...
36	وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللَّهِ...
166	ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا...
165	يا ابن الخطاب إني رسول الله ولست أعصيه...
174	يا أم سعد أبشري، وبشيري...
83	يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ...
28	يَا عَائِشَةُ، لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ...
. 169 168	يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ: مَا قَالَةَ بَلَعْتَنِي عَنْكُمْ...
170	
143	يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُ اللَّهُ، أَبَدَعَوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ...
138	يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَحْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ...
138	يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَبِي فَاعِلٍ بِكُمْ؟...

## فهرس الآثار

الصفحة	الراوي	طرف الأثر
92	عمر بن الخطاب	أشيروا علي ودلوني على رجل أستعمله...
134	عبد الله بن رواحة	أما والله ما بي حب الدنيا، ولا صباية بكم...
137	عمر بن الخطاب	أَنَا أَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟...
178	عبادة بن الصامت	إني أتولى الله ورسوله والمؤمنين...
160	أم المؤمنين عائشة	أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار...
92	أبو بكر الصديق	أيها الناس ... إني قد وليت عليكم ولست بخيركم...
137	أم المؤمنين أم حبيبة	بَلْ هُوَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنْتَ مُشْرِكٌ نَجَسٌ...
174	أم سعد بن معاذ	رضينا يا رسول الله، ومن يبكي عليهم بعد هذا؟!....
165	عمر بن الخطاب	ففيهم نعطي الدنية في ديننا....
122	سعد بن معاذ	فقد آمننا بك، فصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق..
28	عبد الله بن مسعود	فَمَا رَأَاهُ الْمُؤْمِنُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ...
158	عمر بن الخطاب	قَدْ وَاللَّهِ عَلِمْتُ لَأَمُرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْظَمَ بَرَكََةً مِنْ أَمْرِي...
86	الحارث بن أبي ضِرَارٍ الحُرَاعِيِّ	قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَانِي إِلَى الْإِسْلَامِ، فَدَخَلْتُ فِيهِ....
53	علي بن أبي طالب	كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم...
87	قتادة	لا تقل: رأيت، ولم تر، وسمعت، ولم تسمع...
153	أم المؤمنين عائشة	لما فتحت خيبر قلنا: الآن نشبع من التمر...
175	أم المؤمنين عائشة	لما قدم النبي ﷺ إلى المدينة وعك أبو بكر وبلال...
49	عمر بن الخطاب	اللهم، غفرا كل الناس أفاقه من عمر...
56	أبو هريرة	ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من النبي ﷺ...
153 . 152	عبد الله بن عمر	ما شعبنا حتى فتحنا خيبر...

148	صفية بنت عبد المطلب	وَكَانَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ مَعَنَا فِيهِ...
137	علي بن إبي طالب	وَيُحَاكُّ يَا أَبَا سَفِيَانَ، وَاللَّهِ لَقَدْ عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ...
132	أنس بن مالك	يُؤْتُونَ مِثْلَ كَفِّي مِنَ الشَّعِيرِ...
175	أم المؤمنين عائشة	يَا أَبَتِ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ وَيَا بِلَالٍ كَيْفَ أَجِدُكَ؟...
174	أم سعد بن معاذ	يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعَ لِمَنْ خَلَفُوا...
165	عمر بن الخطاب	يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهَمَّ عَلَى بَاطِلٍ؟...
122	المقداد بن عمرو	يَا رَسُولَ اللَّهِ امضْ لِمَا أَرَاكَ اللَّهُ فَنَحْنُ مَعَكَ ...
174	سعد بن معاذ	يَا رَسُولَ اللَّهِ أُمِّي...
151	الحباب بن المنذر	يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ أَنْزَلَكَهُ اللَّهُ...
168	سعد بن عبادة	يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنْ الْأَنْصَارِ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ...
151	الحباب بن المنذر	يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا الْمَنْزِلَ قَرِيبٌ جِدًا مِنْ حَصْنِ نَطَاةٍ
168	سعد بن عبادة	يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَنَا إِلَّا مِنْ قَوْمِي...
135 . 134	عبد الله بن رواحة	يَا قَوْمَ وَاللَّهِ إِنْ التَّي تَكْرَهُونَ لَلَّتِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ، الشَّهَادَةَ...
148	حسان بن ثابت	يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ...

## فهرس الأعلام المترجم لهم

الصفحة	الإسم
15	إبراهيم زيد الكيلاني
12	أوتو إدوارد ليوبولد فون بسمارك، (Otto von Bismarck) ...
12	إيميل دوفيفات Emile Dovifat
17	جان جاك روسو Jean-Jacques Rousseau.
94	دانكال مكدوجال . Duncan MacDougall
18	شارل لوي دي سيكوندا المعروف باسم (مونتيسكيو) (Montesquieu)
43	محمد عبد الله دراز
13	محيي الدين عبد الحلیم
13	مختار التهامي
12	وليام ألبيج (William albig)

## فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم، مصحف المدينة الإلكترونية. برواية حفص عن عاصم. طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

### ثانياً: المعاجم والقواميس

1. أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبوالحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (لا.ط، لا.م، دار الفكر، 1399هـ/1979م).
2. جمال الدين محمد بن مكرم أبو الفضل (ابن منظور)، لسان العرب، (ط:3، بيروت، دار صادر، 1414 هـ / 1993 م).

### ثالثاً: كتب التفسير

1. إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، (ط: 03، لا.م، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999 م)
2. الحسين بن محمد أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي (ط: 01، دمشق بيروت، دار القلم، الدار الشامية، 1412 هـ).
3. سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، (ط: 17، بيروت، القاهرة، دار الشروق، 1412 هـ).
4. عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي أبو البركات، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، (ط: 01، بيروت، دار الكلم الطيب، 1419هـ/1998 م)

5. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، (لا.ط، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984م)
6. محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي أبو عبد الله شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق هشام سمير البخاري، (لا.ط، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار عالم الكتب، 2003 م)
7. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ط: 01، لا.م، مؤسّسة الرّسالة، 2000م).
8. محمد علي الصابوني، روائع البيان تفسير آيات الأحكام، (ط: 04، الجزائر، مكتبة رحاب، 1410هـ/1990م).

#### رابعاً: كتب الحديث والشروح

1. ابن دقيق العيد، شرح متن الأربعين حديثاً النبويّة، (ط: 06، بمكة المكرمة، المكتبة الفيصلية، مؤسّسة الريان، 2003م)
2. أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، عليه تعليقات العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (لا.ظ، بيروت، دار المعرفة، 1379 هـ)
3. أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبد الله، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، (ط: 01، لا.م، مؤسّسة الرّسالة، 1421هـ/ 2001 م)
4. الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري أبو عبد الله، المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (ط: 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1411هـ/1990م)

5. سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ( ط: 01، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، 1415هـ / 1994م )
6. سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتَانِي، أبو داود، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ( لا.ط، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، د.ت).
7. عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ( ط: 01، بيروت، لبنان، دار الكتب العلميّة، 1417هـ )
8. مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، موطأ الإمام مالك، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، ( لا.ط، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، سنة: 1406هـ / 1985م )
9. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ( ط: 01، لا.م، دار طوق النجاة، 1422هـ )
10. محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، سنن الترمذي تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، ( ط: 02، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1395هـ / 1975 )
11. محمود بن الجميل أبو عبد الله، شرح الاربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ( ط: 01، الجزائر، دار الإمام مالك، 1428هـ / 2007م )
12. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ( لا.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت )

13 . موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ( ط: 1 ، القاهرة، دار الشروق،  
1423هـ / 2002م )

### خامسا: كتب السيرة والتاريخ

1 . صفى الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ( ط: 02، المنصورة، دار الوفاء، 1420هـ/  
2000 م )

2 . عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، السيرة النبوية، تحقيق:  
مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ( ط: 02، بمصر، شركة مكتبة ومطبعة  
مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1375هـ / 1955 م )

3 . علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين بن برهان الدين، السيرة الحلبية، إنسان  
العيون في سيرة الأمين المأمون، ( ط: 02، بيروت، دار الكتب العلمية، 1427هـ )

4 . عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن  
عبد المحسن التركي، ( ط: 01، لا.م، ) ( ط: 01، لا.م، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،  
1997م )

5 . محمد الغزالي، فقه السيرة، ( ط: 06، لا.م، دار الكتب الحديثة، 1965 )

6 . محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، زاد المعاد  
في هدي خير العباد، ( ط: 27،، بيروت، مؤسسة الرسالة، الكويت، مكتبة المنار الإسلامية،  
1415هـ / 1994م )

7 . محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، ( ط: 10، بيروت لبنان ودمشق سورية، دار الفكر  
المعاصر ودار الفكر، 1991 م )

8 . منير محمد غضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ( ط: 06، الأردن، مكتبة المنار، 1411هـ/  
1990 م )

## سادسا: كتب في الرأي العام والإعلام

1. إبراهيم زيد الكيلاني، الرّأي العامّ في المجتمع الإسلاميّ، دورية تنشرها: الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة، السنّة السادسة عشرة، العدد الواحد والستون. محرم - صفر - ربيع الأول 1404هـ/1984م
2. سعيد إسماعيل صيني، مدخل إلى الرّأي العامّ والمنظور الإسلاميّ، ( لا.ط، لا.م، مؤسّسة الرّسالة، 2000م )
3. عاطف عدلي العبد ونهى عاطف العبد، الرّأي العامّ والفضائيات، ( ط:01، القاهرة، مصر، دار الإيمان للطباعة، توزيع دار الفكر العربي، 2007م).
4. عبد اللطيف حمزة، الإعلام في صدر الإسلام، ( لا.ط، القاهرة، دار الفكر العربي، 1970 م )
5. محيي الدّين عبد الحلّيم، الرّأي العامّ في الإسلام، (ط:02، لا.م، دار الفكر العربي، 1410هـ / 1990 م )
6. مختار التهامي وعاطف عدلي العبد، الرّأي العامّ، ( ط:01، لا.م، لا.ن، 1426هـ / 2005 م )

## سابعا: كتب عامة

1. حاكم المطيري، الحرّيّة أو الطوفان، ( ط: 02، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1429هـ / 2008م )
2. حاكم المطيري، تحرير الإنسان وتجريد الطغيان، ( لا.ط، لا.م، لا.ن، 1427هـ / 2007م )
3. خالد بن عثمان السبد، الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر (أصوله وضوابطه وآدابه)، ( ط: 01، لا.م، لا.ن، 1995م )

4. رشيد رضا، حقوق النساء في الإسلام وحظهن من الإصلاح المحمدي العام، تعليق محمد ناصر الدين الألباني، (لا.ط، لا.م، المكتب الإسلامي، 1984م).
5. عباس محمود العقاد، الإنسان في القرآن الكريم، (لا.ط، القاهرة، مصر، دار العلوم للطباعة، سنة:1973م )
6. عبد الحميد اسماعيل الأنصاري، الشورى وأثرها في الديمقراطية، ( ط: 03، صيدا، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، 1980م).
7. عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، (ط:08، مصر، مكتبة الدعوة، شباب الأزهر، د.ت (
8. عماد الدين خليل، الرؤية الإسلامية، ( لا.ط، الدوحة، دار الثقافة، د.ت)
9. فتحي يكن، مشكلات الدعوة والداعية، ( ط: 06، لا.م، مؤسّسة الرّسالة، 1996)
10. محمد الصادق عفيفي، المجتمع الإسلامي وأصول الحكم، ( ط: 01، لا.م، دار الاعتصام، 1980م )
11. محمود الخالدي، نظام الشورى في الإسلام، (طبعة خاصة بالجزائر، الجزائر، مكتبة الرّسالة الحديثة، شركة الشهاب الجزائر)

## ثامنا: مقالات

1. عادل الصعدي، مقال: التكافل الاجتماعي، نشر بموقع جامعة الإيمان باليمن <http://www.jameataleman.org/main>. تاريخ التصفح: 29 / 03 / 2016م
2. عبد القادر بن فالح الحجيري السلمي، مقال: الحسبة في الإسلام، منشور في موقع صيد الفوائد تحت رقم: 10484556716، تاريخ التصفح: جانفي 2015م

- 3 . حسن عبد الغني أبوغدة، مقال حكم التَّبَيُّ في الإسلام، موقع رسالة الإسلام: [islammessage.com/NewsDetails.aspx?id=6656](http://islammessage.com/NewsDetails.aspx?id=6656)، تاريخ التصفح: 05 / 04 / 2016 م.
- 4 . صبحي عسيلة، مقال الرّأي العامّ، دورية مفاهيم الأسس العلميّة للمعرفة، دورية يصدرها المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية بمصر، العدد: 23، السنّة الثانية، نوفمبر 2006م
- 5 . موقع الإتحاد العامّ للطلاب السودانيين الخرطوم، السودان، مقال: تشكيل الرّأي العامّ، (<https://www.facebook.com/SudaneseStudent>)، تاريخ التصفح: 2016/03/05 م.

## فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
	إهداء
	شكر وتقدير
	ملخص البحث
	قائمة الرموز والإشارات
أ	المقدمة
08	الفصل الأول: الرأي العام في الإسلام (المحددات المعرفية)
09	المبحث الأول: تعريف الرأي العام، نشأته، ملامحه، وأنواعه في الإسلام
09	المطلب الأول: تعريف الرأي العام
09	الفرع الأول: التعريف اللغوي
09	1. الرأي
10	2. العام
12	الفرع الثاني: التعريفات الاصطلاحية
12	1. تعريف الرأي العام عند الغربيين
13	2. تعريف الرأي العام عند العرب والمسلمين
15	3. التعريف الإسلامي للرأي العام
17	المطلب الثاني: نشأة الرأي العام
17	الفرع الأول: نشأة الرأي العام في الغرب
19	الفرع الثاني: نشأة الرأي العام عند العرب قبل الإسلام
19	الفرع الثالث: نشأة الرأي العام في الإسلام
20	المطلب الثالث: ملامح الرأي العام في الإسلام
20	الفرع الأول: ملامح الرأي العام في القرآن
23	1. تغيير القرآن نظرة الإنسان للحياة التي كانت سائدة في الجاهلية

25	2 . تغيير نظرة الإنسان للقتال والحرب
25	الفرع الثاني: ملامح الرأي العام في السنة
29	الفرع الثالث: ملامح الرأي العام في بعض مصادر التشريع
29	1 . الإجماع
30	2 . العرف
31	3 . المصلحة المرسله
32	المطلب الرابع: أقسام الرأي العام في الإسلام
32	الفرع الأول: أقسام الرأي العام باعتبار الإيمان
32	1 . الرأي العام الإنساني
32	2 . الرأي العام الإسلامي
32	3 . الرأي العام الوثني
32	4 . الرأي العام الذمّي
33	5 . رأي عام المنافقين
33	الفرع الثاني: أقسام الرأي العام باعتبار السبق
33	1 . رأي عام المهاجرين
33	2 . رأي عام الأنصار
34	الفرع الثالث: أقسام الرأي العام باعتبار المذهبية
34	1 . رأي عام أهل السنة والجماعة
34	2 . رأي عام الشيعة
34	الفرع الرابع: أقسام الرأي العام باعتبار الفتوية
34	1 . رأي عام العلماء والفقهاء
34	2 . رأي عام الحكام والأمراء
34	3 . رأي عام العامة
34	الفرع الخامس: أقسام الرأي العام باعتبار الكم
34	1 . رأي عام إجماعي

35	2 . رأي عام الأغلبية
35	3 . رأي عام الأقلية
35	الفرع السادس: أقسام الرأي العام باعتبار الزمن
35	1 . رأي عام مؤقت
35	2 . رأي عام دائم
36	المبحث الثاني: مقومات الرأي العام، أهميته، مكانته، دوره ومظاهره في الإسلام
36	المطلب الأول: مقومات الرأي العام في الإسلام
36	الفرع الأول: الوحي
37	الفرع الثاني: وحدة الدين والعقيدة
38	الفرع الثالث: وحدة اللغة
39	الفرع الرابع: الإنسان
41	المطلب الثاني: أهمية الرأي العام في الإسلام
42	المطلب الثالث: مكانة الرأي العام في الإسلام
44	المطلب الرابع: دور الرأي العام في الإسلام
44	الفرع الأول: رعاية تطبيق الأحكام الشرعية
45	الفرع الثاني: حراسة المبادئ الإسلامية وصيانة قيمتها في المجتمع
46	الفرع الثالث: الرأي العام ودوره في مقاطعة مجالس المنكرات
47	الفرع الرابع: رفع الروح المعنوية للأمة وتقوية أواصرها
48	الفرع الخامس: استثارة مشاعر الأمة للقيام بواجب معين
49	المطلب الخامس: مظاهر الرأي العام في الإسلام
49	الفرع الأول: التزام الجماعة وعدم الخروج عليها
50	الفرع الثاني: التكافل الاجتماعي
50	الفرع الثالث: العبادات الجماعية
51	المبحث الثالث: عوامل وأساليب تكوين الرأي العام في الإسلام

51	المطلب الأول: عوامل تكوين الرأي العام في الإسلام
51	الفرع الأول: الحرية أساس الرأي العام
51	1 . معنى الحرية عند العرب
51	2 . معنى الحرية في الإسلام
52	3 . الحرية في عهد النبوة
52	4 . الحرية في عهد الخلافة الراشدة
54	5 . الحرية والرأي العام في الإسلام
54	الفرع الثاني: الشورى والرأي العام
54	1 . مفهوم الشورى في الإسلام
55	2 . مشروعية الشورى
56	3 . أهمية الشورى في الإسلام
57	4 . نظام الشورى وأساليب التعبير عن الرأي العام
58	5 . أهل الشورى وأهل الرأي
59	6 . الفرق بين الشورى والرأي العام
61	7 . أوجه الاتفاق بين الشورى والرأي العام
61	الفرع الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والرأي العام
61	1 . تعريف المعروف والمنكر
61	أ . المعروف
62	ب . المنكر
63	2 . وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
63	أ . من القرآن
65	ب . من السنة
66	ج . من الإجماع
66	3 . مجالات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
67	4 . مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

67	5 . مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالنسبة للرأي العام
67	6 . أوجه الاختلاف بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والرأي العام
68	7 . أوجه الاتفاق بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و الرأي العام
69	الفرع الرابع: عوامل أخرى
69	1 . الحركة العلمية في صدر الإسلام
69	2 . الفتوحات الإسلامية
69	3 . القدوة الحسنة
70	4 . المناسبات الدينية
70	5 . الثقافة الإسلامية
70	6 . المسجد
71	7 . الأسرة
72	8 . المدرسة
72	9 . أهل الحل والعقد
73	10 . نظام الحسبة
73	11 . وسائل الإعلام
74	المطلب الثاني: أساليب تكوين الرأي العام في الإسلام
74	الفرع الأول: الأساليب الإيجابية
74	1 . أسلوب الجدل والنقاش
77	2 . أسلوب التكرار
77	3 . أسلوب عرض الحقائق
78	4 . أسلوب تحويل الانتباه
79	5 . أسلوب العقوبات والجزاء
82	الفرع الثاني: الأساليب السلبية التي نبذها الإسلام
82	1 . أسلوب الترويح للعصبية القبلية أو النقاء العرقي

83	2 . أسلوب التزوير والخداع
85	3 . الحرب النفسية
88	المبحث الرابع: الرأي العام في الإسلام والأيديولوجيات المعاصرة
88	المطلب الأول: الرأي العام في النظم الديمقراطية المعاصرة
89	المطلب الثاني: الرأي العام في النظم الاستبدادية
91	المطلب الثالث: الرأي العام في الإسلام
93	المطلب الرابع: أوجه الاتفاق والاختلاف بين الرأي العام في الإسلام والمفاهيم الحديثة
93	الفرع الأول: أوجه الاتفاق
93	1 . الرأي العام يعنى المثل الاجتماعية والخلقية
94	2 . الرأي العام يدعم الهيئات والمنشآت
95	3 . الرأي العام يرفع الروح المعنوية للجماهير
96	الفرع الثاني: أوجه الاختلاف
98	1 . إرادة الله تصنع الرأي العام
99	2 . حكم الأغلبية لا يرجح جانب الصواب دائما في الرأي العام الإسلامي
100	3 . الاستعانة بالأسلوب الحسن في إبداء الرأي
103	الفصل الثاني: التنزيلات الواقعية للرأي العام في المرحلة المدنية
105	المبحث الأول: الرأي العام في مرحلة تأسيس المجتمع الإسلامي
105	المطلب الأول: واقع الرأي العام في المدينة عند الهجرة
106	المطلب الثاني: بناء المسجد النبوي
108	المطلب الثالث: المؤاخاة بين المسلمين
110	المطلب الرابع: ميثاق التحالف
112	المطلب الخامس: توطيد الصلة ورفع المعنويات
116	المبحث الثاني: الرأي العام والغزوات

116	المطلب الأول: الرأي العام والاستعداد للجهاد
116	الفرع الأول: موقف الرأي العام الإسلامي من التهديد الخارجي
117	الفرع الثاني: التأهب للقتال والمقصد منه
118	الفرع الثالث: السرايا ودورها في التأثير على الرأي العام الخارجي
120	الفرع الرابع: فرض القتال وأثره على الرأي العام
121	المطلب الثاني: غزوة بدر والرأي العام
121	الفرع الأول: استطلاع الرأي العام الإسلامي قبل المواجهة
124	الفرع الثاني: موقف الرأي العام الخارجي عقب بدر
125	الفرع الثالث: الرأي العام في المدينة عقب بدر
126	الفرع الرابع: القرآن يوجه الرأي العام في المدينة بعد غزوة بدر
127	المطلب الثالث: غزوة أحد والرأي العام
127	الفرع الأول: الرأي العام في مكة يستعد للثأر
127	الفرع الثاني: الرأي العام في المدينة في حذر
128	الفرع الثالث: الرسول ﷺ يستشير قادة الرأي العام
128	الفرع الرابع: الروح المعنوية للرأي العام بعد الهزيمة
129	الفرع الخامس: تربية الرأي العام وتوجيهه من خلال غزوة أحد
130	الفرع السادس: الرأي العام الإسلامي في المدينة بعد أحد
131	المطلب الرابع: غزوة الأحزاب والرأي العام
134	المطلب الخامس: غزوة مؤتة والرأي العام
136	المطلب السادس: فتح مكة والرأي العام
140	المبحث الثالث: تعامل الرأي العام الإسلامي مع اليهود والمنافقين في المدينة
140	المطلب الأول: تعامل الرأي العام الإسلامي مع اليهود
140	الفرع الأول: المعاهدة مع اليهود
142	الفرع الثاني: مكائد اليهود لتشتيت الرأي العام في المدينة
144	الفرع الثالث: تميز الرأي العام الإسلامي

146	الفرع الرابع: بدء الصراع بين المسلمين واليهود
148	الفرع الخامس: بنو قريظة يستعدون الرأي العام وينقضون العهد
149	الفرع السادس: خيبر والرأي العام
153	المطلب الثاني: مجابهة الرأي العام الإسلامي لدعاية المنافقين
154	الفرع الأول: الدعاية حول زواج الرسول ﷺ بزینب بنت جحش
155	الفرع الثاني: قول المنافقين: (( لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ))
156	الفرع الثالث: حديث الإفك
159	المبحث الرابع: نماذج لقضايا الرأي العام في المرحلة المدنية
159	المطلب الأول: نماذج تشريعية
159	الفرع الأول: التهيئة للامتناع عن شرب الخمر
160	الفرع الثاني: حول قضية التبي
164	المطلب الثاني: نماذج سياسية
164	الفرع الأول: صلح الحديبية
167	الفرع الثاني: توجيه الرسول ﷺ الرأي العام المعارض
170	1. أسلوب الجدل والمناقشة
170	2. أسلوب عرض الحقائق
171	3. أسلوب تحويل الانتباه
171	الفرع الثالث: الموقف من المخلفين
173	المطلب الثالث: نماذج نفسية واجتماعية
173	الفرع الأول: المحبة الخالصة أساس نجاح القيادة
175	الفرع الثاني: رفع المعنويات
176	الفرع الثالث: إثارة الرأي العام الإسلامي
182	الخاتمة
186	التوصيات

189	الفهارس
190	. فهرس الآيات القرآنية
196	. فهرس الأحاديث النبوية
200	. فهرس الآثار
202	. فهرس الأعلام المترجم لهم
203	. فهرس المصادر والمراجع
210	. فهرس الموضوعات